جلال طالباني

الجبهة الوطنية المتحدة

ضرورتها، طبيعتها، أهدافها، مستلزماتها

منشورات مكتب تنمية الفكر و التوعية
في الاتحاد الوطني الكردستاني
بورد الأرشيف و التأريخ

مكتب تنمية الفكر و التوعية

مكتب تنمية الفكر و التوعية مؤسسة ثقافية وتربوية، تأسست عام ٢٠٢٠ بموجب النظام الداخلي للاتحاد الوطني الكوردستاني، المصادق عليه في المؤتمر الرابع، تتولى توفير أرضية التوعية الفكرية والسياسية وفق مبادىء الاشتراكية الديمقراطية، وتعزيز قيم الديمقراطيةوالعلمانية وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية وتداول موضوعات الفكر المعاصر وتوفير الادبيات التنظيمية وضمان وسائل التربية وتأهيل الكوادر في شتى المجالات وتدوين تاريخ الاتحاد الوطني الكوردستاني والثورة الجديدة ودوره في انبعاث روح المقاومة، وارشفة مطبوعات الاتحاد الوطني الكوردستاني وإعادة طبعها.

مشروع المؤلفات الكاملة للرئيس جلال طالباني

هو مشروع طموح يهدف في المرحلة الاولى الى جمع كل مايمكن الوصول اليه من المؤلفات المنشورة و غير المنشورة للرئيس مام جلال من كتب ومقالات و مقابلات مرئية ومسموعة ورسائل، ومن ثم طبعها ونشرها وترجمتها.

وهو مشروع مفتوح لمشاركة الجميع في انجازه من السادة الذين يحتفظون في أرشيفهم شيء من تلك المؤلفات ، مع الاحتفاظ بحقوقهم المعنوية.

انه أبسط مشروع وفاء لأدامة نهج الرئيس مام جلال بما احتواه من فكر وتحليل وسياسات عملية هادفة ومنيرة لدرب النضال على طريق التحرر الوطني والسلم والديمقراطية و حقوق الانسان وحق تقرير المصير.

نجم الدين فقي عبدالله
المشرف العام على المشروع
مسؤول الهيئة الاستشارية لمكتب تنمية الفكر والتوعية

مشروع المؤلفات الكاملة

١

جلال طالباني

الجبهة الوطنية المتحدة

ضرورتها، طبيعتها، أهدافها، مستلزماتها

- عنوان الكتاب: الجبهة الوطنية المتحدة
- تأليف: جلال طالباني
التنضيد: جوان صوقي
التصميم الداخلي: اميرة عمر
- تصميم الغلاف: هريم عثمان
- الطبع: ميديا گرافيک
- عدد النسخ: (2000) نسخة
السعر: (6000) دينار
- سنة الطبع: 2021
- التسلسل: (15/560)
- رقم الإيداع: (1554) لسنة 2021 للمديرية العامة للمكتبات العامة

المشرف العام لمشروع المؤلفات الكاملة لجلال طالباني
نجم الدين فقي عبدالله

الاشراف على سلسلة الكتب
عثمان حسن شاكر

منشورات مكتب تنمية الفكر و التوعية
في الاتحاد الوطني الكردستاني
بورد الأرشيف و التأريخ

www.pukhoshiari.com info@pukhoshiari.com

الإهــداء

- الى جميع المناضلين الثائرين الصامدين، في سبيل التحرير الوطني والديموقراطي الناجز.
- الى الفدائيين الفلسطينيين الذين ينورون بدمائهم دروب التحرير والانعتاق، دروب النضال والفداء، ويجسدون بكفاحهم العادل أسلوب النضال الشعبي المسلح سبيلا لتحرير فلسطين و لتحرير شرقنا.

أهدي هذا الكراس **المؤلف**

المحتويات

توضيح ١١

تنبيه للقارئ ١٣

الفصل الأول

ضرورة الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة ١٩

الفصل الثاني

طبيعة الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة ٣١

أنواع الجبهة المتحدة ٣٦

١- الجبهة الشعبية ٤١

٢- الجبهة الوطنية المتحدة ٤٢

نوع الجبهة الوطنية في بلادنا ٤٨

طبيعة الثورة الوطنية الديمقراطية..... ٥١

إستحالة قيام الحكم البورجوازي المستقل في الظروف العالمية الراهنة ٥٦

الأنحراف البورجوازي الصغير عن الديمقراطيةالشعبية ٦٠

حقيقة التطور اللارأسمالي ٦٢

التسرع البورجوازي الصغير في الدعوة الفورية الى الاشتراكية في البلدان المتأخرة ٦٨

مواقف الطبقات الاجتماعية من الثورة الوطنية الديمقراطية ٧٩

دور البورجوازية الوطنية للامم المستعمرة وشبه المستعمرة ٨٨

اسباب عجز البورجوازية عن قيادة الثورة ٩٥

دور البورجوازية الوطنية العراقية ١٠٠

دور البورجوازية الصغيرة العراقية ١٠٢

التحريفية في خدمة البورجوازية ضد الطبقة العاملة ١٠٣

اسباب عجز البورجوازية الصغيرة عن قيادة الثورة ١٠٦

التجربة العراقية مع البورجوازية الصغيرة ١١٣
التسرع اليساري البورجوازي الصغير ١١٩
الطبقة العاملة قائدة للثورة الديمقراطية **١٢٨**
كيف تستطيع الطبقة العاملة أن تمارس دور القيادة في الثورة الوطنية الديمقراطية ١٣٣
دور الفلاحين في الثورة ١٤٣
اسباب عجز الفلاحين عن قيادة الثورة ١٥٠

الفصل الثالث

أهداف الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة ١٥٣
الميثاق الوطني لاتحاد الاحزاب والمنظمات التقدمية ١٥٧

الفصل الرابع

مستلزمات الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة ١٦٥

توضيح

لقد كتب الرئيس مام جلال هذا البحث التحليلي النظري حول الجبهة الوطنية المتحدة خلال عامي ١٩٧١-١٩٧٢ عندما كان في منفاه الاختياري في بلاد الشام متنقلا بين بيروت و دمشق. وتم نشر البحث في حينه خلال عامي ١٩٧٢-١٩٧٣ في حلقات اسبوعية متسلسلة في مجلة (الهدف) الاسبوعية، لسان حال الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي اصدرها في عام ١٩٦٩ و كان غسان كنفاني رئيساً لتحريرها لغاية استشهاده. وأخيراً، وفي عام ١٩٧٣ تم طبع ونشر البحث في كتاب مستقبل في بيروت تحت عنوانه الحالي. ومن الأهمية التنويه الى أن الكتاب قد مُنِع من دخوله الى العراق نظراً لآرائه الراديكالية الثورية ومناهضته الصريحة للأنظمة الاستبدادية اللاديمقراطية بجميع اشكالها ومناداته للديمقراطية الشعبية والأشتراكية العلمية. لذا كان لابد لنا، نحن الشباب المنتمون الى (العصبة الماركسية - اللينينية)في كردستان العراق في حينه، على إعادة نسخ ماكان يُنشر منه في مجلة الهدف يدوياً أو باستخدام الآلة الطابعة إن أمكن، واستخدام البحث ضمن المواد الدراسية للتوعية الفكرية في الخلايا التنظيمية و الحلقات الثقافية. لذا من الجدير بالملاحظة، ان النسخة المعادة طبعها هنا من كتاب (الجبهة الوطنية المتحدة) للرئيس مام جلال، استند كلياً الى إحدى تلك النسخ القديمة المعاد طباعتها على الآلة الطابعة مع ما كانت تحويها من أخطاء مطبعية كثيرة وغياب التنقيط في عموم الكتاب. وهذا ما أخذ منا جهداً مضاعفاً في التصحيح والتدقيق، مع إننا لانستطيع القول بأن هذه الطبعة هي الكاملة والتامة، بل نتوخى البحث والمتابعة الى حين الحصول على النسخة الأصلية من الكتاب.

إن لهذا البحث أهمية تأريخية كبيرة، سواء من حيث محتواه التحليلي النظري الكبير للموضوع قيد الدراسة، أو من حيث أهميته السياسية العملية في حينه للثوريين

والمنظمات والاحزاب اليسارية الاشتراكية المنخرطة في النضال الثوري والتحرري من أجل الديمقراطية والاشتراكية.

فمن حيث منهجية البحث في هذا الكتاب التحليلي، ولأجل تحليل نظري شامل لمفهوم الجبهة الوطنية المتحدة، استند مام جلال الى منهج البحث الديالكتيكي، واستخدم بالأخص قانون (التناقض) ومبدأ (وحدة وصراع الأضداد) كأساس للتطور والتغير في جميع المجالات: الطبيعة والمجتمع والفكر.

فالكتاب بهذا المعنى يعتبر تجربة تحليلية فريدة لكيفية الاستخدام النظري والتطبيقي لقانون وحدة وصراع الاضداد لتحليل بنية المجتمع وصراع الطبقات وتحديد الاهداف المرحلية والاستراتيجية و مستلزمات وآليات النضال للوصول الى تلك الاهداف. ويعتبر هذا من الدروس الأساسية التى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة النادرة لمام جلال، والتي كانت منسية تماماً. فنرجو ان نكون في إعادة طبعها قد خطونا خطوة هادفة لإعادة منهجية مام جلال النضالية العلمية والاشتراكية التقدمية الى الأذهان، على طريق إحياء جميع كتاباته ودراساته الأخرى كجزء أساسي من التراث الفكري الثوري لحركة التحرر الوطني الكردستاني بشكل خاص والحركات الثورية في الشرق الأوسط بشكل عام.

نجم الدين فقي عبدالله
٢٠٢١/٥/١

تنبيه للقارئ

يجد القاريء الكريم في هذا الكراس بحثا عن الجبهة الوطنية المتحدة من وجهة النظر التأريخية، من حيث ظهورها وتطور مفهومها و من حيث طبيعتها الطبقية و دور الطبقات الاجتماعية التقدمية فيها تبعا لأ دوارها في النضال الوطني التحرري والديمقراطي الذي تجسد الجبهة الوطنية المتحدة تحالف القوى الفاعلة فيه.

ولقد حاولت في السرد التاريخي لنشوء الجبهة المتحدة أن أتبع جهد الامكان نصيحة لينين القائلة ((أن الطريقة المأمونة عند مواجهة أية مسألة من مسائل العلم الاجتماعي، الطريقة التي لا يستغني عنها المرء إذا كان يريد أن يكتسب حقا ملكة تناول هذه المسألة بالشكل الصحيح، وإذا كان لا يريد أن يضيع في الجزئيات الكثيرة الهائلة من الآراء المتناضلة – أن الأمر الأهم لتناول هذه المسالة من وجهة النظر العلمية – هو عدم نسيان الصلة التاريخية الأساسية والنظر الى كل مسألة من وجهة النظر التالية:

كيف نشأت تاريخيا هذه الظاهرة المعينة وما هي المراحل الرئيسية التي اجتازتها هذه الظاهرة في تطورها و ما آلت اليه في الوقت الحاضر نتيجة لتطورها هذا)).

لذلك فقد سعيت قدر المستطاع لابراز دور الطبقات الاجتماعية المختلفة تأريخيا منذ البداية مع ذكر التطورات التي طرأت عليه. فلقد بينت مواقف البورجوازية الوطنية مثلا منذ بداية ظهورها مع ملاحظة تطورات مواقفها خلال الفترات و المراحل التاريخية المتعددة، وكذلك تحدثت عن دور الفلاحين في الثورة الديمقراطية في مختلف العصور والبلدان . وسردت تأريخ ظهور فكرة الجبهة المتحدة، الجبهة الشعبية في اوروبا والجبهة الوطنية في الصين وبينت كيفية ظهورهما وشرحهما من قبل القادة الثوريين الذين تولوا صياغة فكرتهما . ومما يستوجب تأكيد نصيحة لينين بخصوص ظاهرة الجبهة الوطنية أكثر من غيرها هو أن الاختلاف في الحركة العمالية والشيوعية العالمية يمنع جميع

انصار الخط السوفياتي من الاستفادة من التجربة الصينية الثورية المعطاء والغنية جدا . خاصة و أن مثل هذه التجربة في مرحلة الثورة الديمقراطيةالجديدة و مسألة كيفية ربط هذه الثورة الديمقراطيةوكيفية ايصالها بالثورة الاشتراكية مباشرة قد جرت في وضعية شبيهة ببلداننا من حيث مرورها بمرحلة التحرر الوطني الديموقراطي في عصر إنهيار الراسمالية وإنتصار الاشتراكية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أيضاً.

فالأبحاث التي نشرت عن الجبهة الوطنية المتحدة - و هي سلاح شحذته الصين الثورية لشعوب البلدان المستعمرة - على حد تعبير الاستاذ زكي خيري - قد تجاهلت التجربة الصينية التي أوجدت مثل هذه الجبهة الوطنية و فصلتها وصاغت مقولتها. مما يجعل الأبحاث ناقصة و مبتورة و بعيدة عن ((الطريقة التي لا يستغني عنها المرء إذا كان يريد أن يكتسب حقا ملكة تناول هذه المسألة بالشكل الصحيح))و بالتالي تجعل هذه الأبحاث قاصرة عن أداء التنوير المطلوب للجماهير الشعبية و للقوى والأحزاب التقدمية في أهم قضية تواجه شعبنا في قضية خطيرة كالجبهة الوطنية التي يتوقف على ايجاد الحل العملي الصحيح لها مصير الحركة الوطنية الديمقراطية باسرها. ومفهوم لدى الواعين أن المناضلين لا يمكنهم الاستغناء أبدا عن العمل في الميدان الايديولوجي وعن تهيئة الرأي العام من أجل إنجاز التحرر الوطني الديمقراطي. فالنضال من أجل تحقيق مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية يشرع به بنشر المفاهيم الوطنية والديمقراطية و بنشر الأفكار الوطنية والثورية بين الجماهير، والنضال عموما يبدأ بشكل نضال فكري، ونضال آيديولوجي، ثم تصبح الفكرة قوة مادية عندما تتغلغل في صفوف الجماهير وتعتنقها هذه الجماهير، فـ ((أن الثوروية المبتذلة)) هي التي لا تدرك حقيقة ((أن الكلام هو أيضاً عمل)) على حد تعبير لينين.

و هكذا يمكن الشروع باستنهاض الجماهير للعمل النضالي الفكري و الايديولوجي أولا، ثم للقيام بالفعاليات النضالية المختلفة كالتنظيمات والاجتماعات والاضرابات والمظاهرات والأنتفاضات والثورة المسلحة. و من هنا يمكننا ادراك أهمية تزويد الجماهير الشعبية بمعلومات دقيقة و مفاهيم صائبة عن الجبهة الوطنية المتحدة و عن الثورة الوطنية الديمقراطيةالتي تتألف الجبهة الوطنية لقيادة النضال من أجل تحقيق مهام هذه الثورة . ولما كان نشر المفاهيم الصحيحة و بيان الحقيقة عن الجبهة شرطا لا

غنى عنه لتحقيق الجبهة وبداية جدية للنضال في سبيلها باعتبار ((الحقيقة نبراس نضال الشعوب))، فأني آمل أن يساهم هذا البحث في توضيح مسألة الجبهة الوطنية المتحدة وأن يكون اقتباس المقتطفات العلمية من قادة الحركة العمالية الثورية العالمية نبراسا للنضال ومرشدا للعمل، لأن النظرية العلمية الثورية - التي هي تعميم و تلخيص التجربة النضالية الأممية - هي في الواقع ليست مذهبا جامدا بل مرشدا للعمل. ومما يزيد في أهمية وضرورة دراسة الجبهة الوطنية دراسة علمية جدية هو هذا التشوش الذي احدثته ديماگوگيه البورجوازية الصغيرة في المفاهيم الوطنية والتقدمية و الاشتراكية والوحدة الوطنية، هذا التخبط الفكري الذي أحدثته هذه الديماگوگـية البورجوازية الصغيرة بين الشباب القومي التقدمي عموما وعلى الأخص من حيث الخلط العشوائي بين مفاهيم و مهمات مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي و مرحلة الثورة الاشتراكية، هاتين المرحلتين المتمايزتين بمهماتهما و بقواهما المحركة والثورية وبمفاهيمهما النضالية والفكرية والمترابطتين ترابطا عضويا مباشرا في أن واحد.

والمؤسف انه يلاحظ حتى على الشباب القومي المتجه الى اليسار والى تبني الأفكار الماركسية اللينينية، يلاحظ عليهم عدم التفريق الدقيق بين مهمات مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي التي تنجز بالديمقراطية الشعبية غداة التحرر من الامبريالية و الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية و بين الثورة الاشتراكية التي تستهدف دك سلطة الرأسمال و اقامة دكتاتورية البروليتاريا كنظام سياسي ضروري ولايستغنى عنه طول الفترة التاريخية الممتدة من الرأسمالية الى المجتمع الخالي من الطبقات بالمفهوم اللينيني العلمي بمعنى القضاء على الملكية الفردية بجميع أنواعها والقضاء على الاختلاف والفروق بين الريف والمدينة بجعل الشعب كله شغيلا و بالقضاء على الفروق بين العمل الفكري والعمل الجسدي.

و اختلاف مهمات المرحلتين التاريخيتين المتمايزتين (وإن كانتا مترابطتين متصلتين ببعضهما) يعني أيضاً الاختلاف في المهمات النضالية والفكرية وكذلك الاختلاف في نوعية الجبهة النضالية والقوى والطبقات التي تتألف منها لإنجاز المهمات المختلفة.

فالجبهة الوطنية بطبقاتها الاجتماعية الأربع (العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية التقدمية) و بسائر عناصرها المعادية للإمبريالية ضرورة تأريخية لا محيد عنها لإنتصار النضال الوطني الديمقراطي في مرحلة التحرر الوطني التي تمر بها البلدان العربية والشرقية و شعوب آسيا وافريقيا و أمريكا اللاتينية الرازحة تحت السيطرة الامبريالية المباشرة أو غير المباشرة والتي تكون مجتمعاتها مجتمعات شبه رأسمالية و شبه مستعمرة . والنظام الاجتماعي الجديد المطلوب إيجاده في هذه البلدان والديمقراطية الشعبية التي تكون مرحلة انتقالية للاشتراكية ويكون فيها الحكم دكتاتورية ديمقراطية للطبقات الاجتماعية التقدمية بقيادة الطبقة العاملة، بينما تتطلب الثورة الاشتراكية تلاحما كفاحيا بين العمال والفلاحين الفقراء و سائر الشغيلة الثوريين بقيادة البروليتاريا و حزبها الطليعي الماركسي اللينيني لإنجازها. وهدفها هو دك سلطان الرأسمال واسقاط الرأسمالية ودكتاتوريتها واقامة دكتاتورية البروليتاريا على أنقاضها. فالخلط بين مهمات و مفاهيم هاتين المرحلتين، مرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية و مرحلة الاشتراكية، هو تشويه هدام يؤدي الى افشال الثورة الوطنية الديمقراطية المتطورة باتجاه اشتراكي لأنه يؤدي الى ارتكاب الاخطاء الفظيعة في مسألة التمييز بين الأعداء والأصدقاء و في مسألة رسم ستراتيجية صحيحة من حيث تحديد الهدف الرئيسي و تحديد القوى الأساسية والطليعة والقوى الاحتياطية والحليفة و تحديد اتجاه الضربة الرئيسية، وهذه مسائل يتوقف على ادراكها النجاح في الثورة، ومصداق هذا الاستنتاج نجده واضحا في المفاهيم الثوروية المبتذلة التي تروجها البورجوازية الصغيرة المصابة بداء التسرع اليساري. فهي حينما تخلط بين مهام المرحلتين التأريخيتين المتمايزتين و المترابطتين موضوعيا نجدها تضع شعار الاشتراكية سبقا لأوانها و بديلا عن الديمقراطية الشعبية ونجدها تتنكر للجبهة الوطنية المتحدة لتطرح بدلا عنها شعارات الحزب القائد: أو ((التنظيم القومي الواحد)) أو تقوم بتضييق نطاق الجبهة الوطنية حين تطرح منها (نظريا) أقسام هامة من البورجوازية الوطنية والبورجوازية الصغيرة، مما يعني تحويل قسم هام من القوى الحليفة بعد طردها من الصف الوطني اعتباطا الى قوى معادية واجبارها على الوقوف في الصف المعادي في حين هي قوى صديقة و حليفة موضوعيا. وهذا يؤدي الى اضعاف الصف الوطني التقدمي و تقوية جبهة الاعداء من الامبرياليين

و الرجعيين . ويؤدي أيضاً الى اضعاف امكانية الشعب لمقاومة الامبريالية و مؤامراتها وضغوطها والى تقوية وتعزيز جبهة الرجعية الداخلية بدلا من اضعافها و تشتيتها وعزلها عن اكبر عدد ممكن من الناس.

و في البلدان المتحررة فالنتيجة العملية ستكون اضعاف الاقتصاد الوطني وقدرة الشعب الدفاعية وتفتيت الوحدة الوطنية واضعاف النضال الثوري المعادي للامبريالية والاقطاع والرأسمالية الكومبرادورية، كما يؤدي الى خلق تشويش نظري و بلبلة فكرية بين أوساط المناضلين والعناصر التقدمية والوطنية مما يمنع الحركة الوطنية التقدمية أن تسلك السبيل القويم و تستجمع قواها و توحدها في النضال و مما يشغلها بمعارك كلامية جانبية تؤدي الى تبديد طاقات وجهود كثيرة، فيكون حاصل ذلك هو فشل الثورة الوطنية الديمقراطية .

لذلك نبه الى مخاطر هذا الخلط والتشويه كل الزعماء الثوريين من ماركس و أنجلز الى لينين و ستالين و ماوتسي تونگ، ولذلك دعوا جميعا الى وجوب ادراك الفوارق والاختلافات بينهما. و لذا فأني الفت نظر القاريء العربي الى هذه النقطة بالذات في خضم الضجة الصاخبة التي اوجدتها ديماگوگية البورجوازية الصغيرة حول ما تدعيها بالاشتراكية و بالاجراءات الاشتراكية في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية.

وأخيرا يقينا أن البحث تعتوره نواقص و هفوات أرجو أن يساهم المناضلون الثوريون في الكشف عنها ومعالجتها بروح علمية إنتقادية و هذا ما آمل أن يقوم به المثقفون الثوريون مساهمة منهم في بيان الحقيقة كاملة عن هذا الموضوع الحساس، موضوع الجبهة الوطنية المتحدة التي يتطلبها إنتصار شعبنا ضد الإمبريالية والاقطاع و الصهيونية و الرجعية و من أجل الديمقراطيةالشعبية كمرحلة تمهيدية ضرورية للأنتقال الى المجتمع الاشتراكي المنشود.

((المؤلف))

الفصل الأول

ضرورة الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة

لم تعد ضرورة قيام الجبهة الوطنية المتحدة أو اتحاد الأحزاب والهيئات الوطنية و التقدمية واتفاقها على برنامج مشترك يتضمن الاهداف المشتركة ، مثار الخلاف و الجدال بين أطراف الحركة الوطنية التحررية في العراق. فلقد أجمعت الأحزاب التقدمية والهيئات والمنظمات و الشخصيات الوطنية على اعتبار ذلك السبيل السليم لجمع وتحشيد قوى شعبنا وتعبئة طاقاته في معاركه الوطنية الكبرى ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية الداخلية المتمثلة في الإقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية وعملائهما بين المتعلمين و من فصائل العملاء والخونة والجواسيس. ونصت قرارات مؤتمرات الأحزاب الوطنية العراقية و المنظمات الديمقراطية والجمعيات المهنية على تبني شعار الجبهة المتحدة ودعت مرارا الى اتحاد الأحزاب والمنظمات التقدمية في جبهة وطنية باعتبارها الصيغة العملية المقبولة و القادرة على لم الشمل وتعبئة طاقات الجميع لتحقيق الأهداف الوطنية المشتركة.

ومن يراجع قرارات المؤتمر السادس للحزب الديمقراطي الكردستاني والمؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي و مقررات الاجتماعات الموسعة للحزب الشيوعي العراقي والمؤتمر الاخير للحركة الاشتراكية العربية و بيانات حزب الوحدة الاشتراكي يجد الدعوة الى الجبهة الوطنية التقدمية شعارا بارزا كتعبير عن ادراك الجميع لضرورة وخطورة الوحدة النضالية الوطنية.

ومثل هذا الإجماع على الدعوة الى الجبهة هو بحد ذاته إنتصار نظري هام للحركة الوطنية التقدمية ، وذلك لأن تحقيقها:

١- يدحض باجماع الاراء التقدمية، الفكرة الخاطئة والضارة التي دعت الى صهر جميع الأحزاب و المنظمات السياسية التقدمية التي تمثل طبقات اجتماعية مختلفة و قوميات متعددة في بوتقة تنظيم مركزي واحد تحت لافتة ((وحدة الديمقراطيين في حزب واحد)) أو ((العمل القومي الواحد)) أو ((الاتحاد الاشتراكي)) أو ((الحزب الواحد))، هذه الدعوة التي عبرت طبقيا عن طموح البورجوازية الصغيرة في الاستئثار

بقيادة الحركة الوطنية التحررية و في منع الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الاخرى من تنظيم نفسها في حزبها الطليعي الثوري المستقل و كذلك لحرمان الشعب الكردي من طليعته التقدمية الثورية.

٢ - ينقذ أطراف الحركة الوطنية التقدمية من نزاعات حادة وخلافات مؤذية تحولت في الماضي الى الصدامات المسلحة أحيانا وطغت على التناقض الأساسي مع العدو الرئيسي الألد. ناهيك عن التراشق بأبشع الاتهامات و أقذع الأقوال وعن معارك جانبية بددت طاقات وجهود القوى الوطنية والتقدمية هباء إذ وجدت خصاما مفتعلا بين قوى تقدمية (هي متحالفة موضوعيا)

تدعم وتعاضد بعضها في النضال بحكم متطلبات التطور الاجتماعي التاريخي.

٣- يعيد الحركة الوطنية التقدمية الى جادة النضال المستقيمة، الى طريق النضال المظفر، طريق اتحاد قواها في جبهة متحدة، عودة القطار الخارج عن الخط الى السكة الحديدية وذلك كي تواصل سيرها الطبيعي والمنتظم. وبالتالي يخلق الامكانيات الحقيقية لاتحاد الأحزاب التقدمية مما يؤدي الى تعبئة و تنظيم طاقات الجماهير الشعبية وقيادتها في النضال الثوري لتحقيق أهدافها الوطنية و الديمقراطية.

و لمثل هذا الإجماع مبرراته المنطقية أيضاً . فقد عانت الأحزاب التقدمية جميعا من مآسي و ويلات الفرقة والاختلاف و الاصطدام والاقتتال وخسرت الأحزاب كلها دون استثناء بسبب عدم ادراكها أو تجاهلها لأهمية الجبهة المتحدة أو الابتعاد عن خط الجبهة المتحدة والسير على دروب العزلة والإنفراد الموحشة. وأصابت الحركة الوطنية التقدمية اضرار فادحة و خسائر جسيمة من جراء عدم تمسك أطرافها بالسياسة الصحيحة المقبولة (سياسة الجبهة المتحدة)، فحصلت إنتكاسات عديدة في مسار الثورات التحريرية في العراق وسوريا و مصر والجزائر أبرزها و أوجعها أنتكاسة (٥) حزيران التي سبقتها إنتكاسة الثورة في العراق و سوريا، هذه الإنتكاسة التي سهلت الإنتكاسة الكبرى .

أن أهمية الجبهة المتحدة تتعاظم و تشتد أكثر فأكثر جراء استمرار الغزو الاستعماري الاستيطاني الصهيوني واشتداد التأمر الأستعماري السنتوي ضد القومية العربية و ضد الشعب العراقي بقوميتيه العربية والكردية وأقلياته القومية وضد مكاسب الحركة الوطنية التحررية كلها.

فالعدوان الاستعماري الصهيوني الجاثم على صدر الأمة العربية في فلسطين المغتصبة وسيناء وهضبة الجولان و المؤامرات الاستعمارية -السنتوية - الشاهنشاهية على البلدان العربية المتحررة والتي تستهدف سلب شعوب هذه البلدان مكاسبها التقدمية واستقلالها الوطني لاعادة أنيار العبودية الاستعمارية الى أعناق جماهيرها، لا يحفز أن جميع الوطنيين وجميع الأحزاب التقدمية والقوى الوطنية والثورية على مجابهة الامبريالية والصهيونية و مؤامراتهما الاجرامية فحسب، بل ويؤثران على الاصطفاف الطبقي داخل مجتمعات هذه البلدان أيضاً. وهما بتقديمهما التناقض الأساسي الموجود بين شعوب هذه البلدان من جهة و بين الامبريالية والصهيونية من جهة اخرى الى المقام الأول يؤثران على موقف البورجوازية الوطنية أيضاً، كما يدفعان الى حلبة الصراع بجميع الخيرين و جميع الذين يحبون أوطانهم ويرفضون أن يصبحوا عبيدا للامبريالية ومشردين من ديارهم على أيدي الصهيونية مما يجعل الجبهة المتحدة اوسع عما كانت عليه قبل (٥) حزيران.

لا غرابة إذن أن تدرك الأحزاب التقدمية (والطبقات الاجتماعية التي تمثلها هذه الأحزاب) أهمية الجبهة المتحدة و خطورة الفرقة والانعزال والانفراد.

الا أن ذلك لا يعني أن باب الجبهة المتحدة قد فتح على مصراعيه وأن الأحزاب تسرع راكضة للدخول اليها. بل ما زالت العراقيل والصعوبات باقية أمام تشكيل الجبهة المتحدة، ومازال الطريق وعرا ومليئا بالتعرجات و المشاق. وما زالت الدعوات ((النشاز)) تسمع أحيانا للتحايل على شعار الجبهة المتحدة ((بالوحدة الوطنية)) أو بنوع ممسوخ من الجبهة، وما زالت الخلافات خطيرة في الرأي والاجتهاد حول طبيعة الجبهة ومهامها وطليعتها وشعاراتها ومازال النقص الخطير قائما وموجودا في الميدان الوطني، وأعني به عدم وجود أحزاب طليعية ثورية حقيقية قوية قادرة على تعبئة و توحيد الطبقة العاملة واستنهاض جماهير الفلاحين وبالتالي إيجاد تحالف العمال والفلاحين كأساس ضروري لايجاد الجبهة الوطنية المتحدة نفسها.

فرغم توفر الشروط الموضوعية لاقامة الجبهة الوطنية من حيث كونها ضرورة تاريخية وحاجة ماسة لإنتصار الحركة الوطنية واستجابة منطقية لضرورات التطور الاجتماعي

ومن حيث كون الطبقات الاجتماعية التقدمية والفئات الوطنية المختلفة ذات مصلحة حقيقية في اقامة الجبهة و من حيث توافقها مع السير الطبيعي لتيار التطور الاجتماعي ولمجرى الحركة التحررية الديمقراطية والثورية في بلداننا ، رغم كل ذلك فأن الشروط الذاتية اللازمة لإقامة الجبهة الوطنية المتحدة ناقصة التوفر – وهذا يعني أن القضاء على هذا النقص الخطير الموجود في الميدان الوطني هو شرط أساسي لتوفير الشروط الذاتية و بالتالي لتأليف الجبهة الوطنية المتحدة.

كل ذلك يحتم على المخلصين الجادين في النضال لتحقيق شعار الجبهة المتحدة، نضالا صبورا متواصلا عنيدا بغية التغلب على العقبات ولازالة العراقيل والعثرات من الطريق ومن أجل توفير مستلزمات الجبهة المتحدة والتي تفرض في الظروف الموضوعية الضاغطة على الجميع للقبول بالجبهة وخلق الظروف الذاتية اللازمة لاقامتها فعلا.

لكن مثل هذا النضال هو نضال لحل تناقضات داخل الشعب، هو نضال لتعزيز وحدة القوى التقدمية ((الحليفة مع بعضها موضوعيا))، هو نضال من أجل الاتحاد بمعنى إنه صراع داخلي في صفوف الشعب و بالتالي يجب أن لا ينحرف عن مجراه الطبيعي السليم ولا يتحول الى صراع من النوع العدائي فيترك آثار سلبية تبعد الأحزاب والطبقات الوطنية عن بعضها وتزيد خلافاتها و تعمق التناقضات أو تبدل طبيعتها مما يؤدي الى الفرقة.

ثم أن للجبهة المتحدة مبرراتها الاجتماعية وضروراتها الواقعية باعتبارها استجابة لحاجة التطور المادي في وطننا العراق وسائر البلدان الشرقية. فشعبنا مكون من طبقات اجتماعية متباينة الايديولوجيات والمصالح الطبقية الذاتية من جهة و موحدة الأهداف ومشتركة المطاليب الوطنية العامة من جهة اخرى خلال المرحلة التاريخية الراهنة ، مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي.

وشعوبنا مؤلفة من قوميات عديدة تضم طبقات اجتماعية متعددة. فالأحزاب المنبثقة عن هذه الطبقات و القوميات و الممثلة الاجتماعية والسياسية لها، تتفق على الأهداف المشتركة العامة وحيال المسائل الكبرى كمعاداة الامبريالية والصهيونية والرجعية وحيال جملة من مهام الاصلاحات الاجتماعية والسياسية في الظروف الراهنة وتستطيع أن تناضل معا لتحقيقها. كما انها تختلف في ايديولوجيتها وتفسيراتها لبعض

المفاهيم والشعارات و في المصالح الطبقية الخاصة، مما يحتم أن تحتفظ باستقلالها التنظيمي والفكري وآيديولوجيتها وآرائها الخاصة وبحرية التبشير بمعتقداتها الخاصة شريطة مراعاة حقيقة أن الوحدة هي في المقام الأول وأن الصراع يجب أن يمارس باعتباره صراعا داخل صفوف الشعب ، وباسلوب النقد والنضال الداخلي والنقاش ضمن اطار الوحدة النضالية الوطنية. ومن هنا الضرورة الأساسية لاتحاد القوى التقدمية في جبهة متحدة، لأن الأهداف المشتركة تحتم المواقف والنضالات المشتركة لتحقيقها و بالتالي تحتم تنظيم و تنسيق هذه المواقف والنضالات المشتركة كي تنتصر. والصيغة العملية المقبولة والمعقولة لهذا التنظيم والتنسيق هي الجبهة المتحدة التي تحقق الوحدة النضالية من ناحية وتضمن الاستقلال التنظيمي والايديولوجي والدعائي في اطار الوحدة من ناحية ثانية. خاصة إذا اخذنا بنظر الاعتبار حقيقتين هامتين بارزتين هما:

أولا: أن مهام مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي لا يمكن إنجازها بنضال طبقة اجتماعية واحدة مهما كانت كبيرة أو واعية أو قوية ولا بنضال حزب سياسي واحد مهما كان كبيرا وقويا ومتمتعا بنفوذ جماهيري أو متميزا بالشجاعة والاقدام ، بل لابد من اتحاد جميع الطبقات التقدمية ولا بد من اتحاد جميع الأحزاب الوطنية التقدمية لإنجاز هذه المهام.

ثانيا: أن لهذه الطبقات واحزابها السياسية مواقفا و مصالحا مختلفة خلال مرحلة التحرر الوطني والديمقراطي واثناء المنعطفات والفترات الحاسمة وبعد النجاحات والهزائم المؤقتة، خاصة على امور هامة كمسألة النضال الثوري والقوى اللازمة له ومسألة القيادة فيه وطبيعة الحكم الوطني المتحرر من الاستعمار ومهمات ما بعد تحقيق الاستقلال السياسي و في مسألة فصل الثورة الوطنية عن الديمقراطيةأو ترابطهما العضوي وكذلك فصل الثورة الوطنية الديمقراطية أو ربطها العضوي المباشر بالثورة الاشتراكية على النطاق الوطني خاصة والنطاق الدولي عامة .

ومثل هذه القضايا المشتركة والمتنازعة عليها لا تعالج معالجة سليمة الا على أساس مبدأ الوحدة والصراع، الوحدة النضالية من أجل الاهداف المشتركة، والصراع الإيديولوجي

والدعائي والسياسي من أجل كسب ثقة الجماهير الشعبية وزمام الأحداث وقيادة الثورة وتوجيه مسيرتها ولاقناع الأطراف التقدمية بالحقائق بممارسة الأسلوب الديمقراطي. هذا من حيث العموم، ولنلق نظرة على تجربتنا العراقية الخاصة لندرك الضرورات الواقعية للجبهة المتحدة بوضوح أكثر أيضاً.

أن أولى الحقائق التي يفرزها الواقع العراقي هي أن المجتمع العراقي يتألف من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية، حيث تؤلف كل واحدة منهما قسما صغيرا من أمتيهما المقسمتين، و حيث توجد في صفوفهما حركة قومية متكونة تأريخيا وتتطور موضوعيا. ولكل من هاتين الحركتين القوميتين أحزابهما المنبثقة عن ضرورات تطورهما وتفاعلهما من الأفكار الثورية والتقدمية. وهذه حقيقة ضخمة وقائمة بوجه جميع محاولات تجاهلها أو القفز عليها أو بقصد تجاوزها، لانها حقيقة تاريخية و موضوعية وحية و فعالة.

والحقيقة الثانية التي يفرزها الواقع العراقي الخاص أن الأحزاب العراقية الوطنية و التقدمية ذات جذور اجتماعية وتأريخية راسخة تمتد إلي الثلاثينات و الأربعينات و لها أمجاد وتقاليد نضالية ثم انها قطعت مرحلة الطفولة و تصلب عودها في الصراع المرير من أجل اثبات وجودها وكسب حقوقها في النضال المشروع مثلما تبلورت بسيمائها الخاصة في معترك النضال ضد الامبريالية والملكية والدكتاتورية. فلا يمكن اقتلاع جذورها أو اخراجها من ميدان العمل الوطني بقدرة قادر وليس ذلك في مصلحة أحد سوى اعداء الشعب.

وإذا تمعنا في تجارب العمل الوطني والحزبي العراقي اتضحت لنا حقيقة ثالثة هامة هي: أن العمل الوطني والحزبي حققا الإنتصارات للشعب و للاحزاب الوطنية التقدمية كلما ظلا متمسكين بسياسة الجبهة المتحدة، بينما كانا يسجلان الفشل والخسران حينما تخليا عن الجبهة المتحدة وأعرضا عن سبيلها السوي. ففي عام ١٩٤٨ حينما تألفت لجنة التعاون الوطني من البارتي والحزب الشيوعي وحزب الشعب وجناح من الوطني الديموقراطي، حققت اللجنة مهامها في قيادة مظاهرات الوثبة المجيدة في بغداد وفي نشر أخبارها وأهدافها في سائر أنحاء العراق لمساندتها وتعميم التظاهرات في المدن العراقية الاخرى، بينما تعرضت الوثبة وهذه الأحزاب الي الأنتكاسة بعدما تفرق

شملها ولم يستطع العمل الوطني تحقيق اتحاد القوى الوطنية والديمقراطية.

وفي عام ١٩٥٤ ظهرت ((جبهة وطنية)) لخوض الأنتخابات النيابية فحقق التآلف الوطني إنتصارا ملحوظا وأظهرت من جديد ما لقوى الشعب المتحدة من قدرات على العمل لإبراز ارادة الجماهير الشعبية و تجسيدها.

أما جبهة الاتحاد الوطني، فعلى الرغم من اقتصار برنامجها على مطاليب سياسية (ذات الحد الأدنى) وبالتالي قصور البرنامج في التعبير عن متطلبات التطور الاجتماعي في مرحلة التحرر الوطني والديمقراطي ورغم أن الطابع البورجوازي عليها كان غالبا (من حيث الاهداف والتمثيل وأساليب العمل والشعارات) ورغم حرمان (البارتي) من حق المشاركة في الجبهة الى ما بعد ثورة ١٤/ تموز، حيث قبل في خريف ١٩٥٨ بعد فترة من توقيع البارتي مع الحزب الشيوعي لميثاق التعاون بينهما، رغم كل ذلك فأن ذكراها مازالت خالدة في اذهان الجماهير الشعبية . ولاينسى شعبنا تاثيرها الفعال في تأجيج نيران الحماس والنضال الثوري في صفوف الجماهير وصفوف الجيش العراقي ودورها الإيجابي في إنضاج شروط إندلاع وإنتصار ثورة ١٤ تموز المجيدة . كما يتذكر شعبنا بالحسرة و الألم ما جلبته عليه من المأسي والويلات تفرقة الأحزاب الوطنية والتقدمية ما بعد إنتصار ثورة تموز وما آلت اليه اوضاع البلاد من التردي والفوضى وحرب اقتتال الاخوة والردة الرجعية بعد إنهيار جبهة الاتحاد الوطني.

فالحقيقة الهامة الثالثة المستخلصة من تجارب حركتنا الوطنية العراقية أيضاً تؤكد بجانب الحقيقتين المذكورتين الاخريتين ضرورة الجبهة المتحدة ليس الا.

و يقينا أن الاثار الايجابية للجبهة المتحدة في العراق ستنسحب على مجموع الحركة العربية التحررية في الأقطار العربية بصورة عامة بما يعزز تلاحم قواها التقدمية و الثورية ويضاعف من امكانياتها الحقيقية في مقارعة العدوان الاستعماري الصهيوني و يحقق من تعبئة طاقات الامة العربية الهائلة في معركتها الكبرى مما يجعل إنتصارها حينئذ امرا مؤكدا محققا.

فالطاقات الشعبية والمادية والمعنوية التي ستفجرها وتوجهها الجبهة المتحدة للقوى الوطنية التقدمية ستكون أقوى من حشود الامبريالية والصهيونية وستأتي مصداقا للقول المأثور القائل بأن الشعب الذي يجيد توحيد قواه واستخدامها في الحرب الشعبية

يستطيع مقارعة اعتى قوة امبريالية و إلحاق الهزيمة بها كما اثبتته تجارب الصين وكوريا والفيتنام مثلا. وإذا تجاوزنا النطاق العراقي (القطري) ونظرنا الى الساحة العربية العامة يتبين لنا أيضاً أن لا سبيل لتحشيد وتعبئة وزج طاقات الأمة العربية في معركة النضال ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية الا سبيل الجبهة المتحدة للقوى الوطنية التقدمية على الصعيدين القطري والقومي معا.

فبالاضافة الى المبررات والمستلزمات الطبقية الاجتماعية للجبهة المتحدة نرى الواقع السياسي، يفرض بدوره الجبهة المتحدة سبيلا أضمن للإنتصار. فالتيارات الرئيسية (البعثية، والناصرية، الشيوعية ، حركة القوميين) والتيارات القطريه (جبهة التحرير الجزائرية، الجبهة القومية لليمن الشعبية، الحركة التقدمية المغربية، تيارات الثورة الفلسطينية، القوى اللبنانية التقدمية، القوى السورية التقدمية، القوى التقدمية في الاردن والسعودية والخليج) لا يمكن أن تلتقي الا في نطاق الجبهة المتحدة. فإن إنصهار هذه التيارات في تنظيم واحد هو أمر مستحيل. ثم أن الموقف الخطير الذي نواجهه يتطلب حسما سريعا وحلا واقعيا ممكن التحقيق و الذي يعبر عنه شعار اتحاد القوى التقدمية، وأحسن صيغة عملية ممكنة لهذا الشعار هو الجبهة المتحدة .

هكذا نرى أن الجبهة المتحدة للاحزاب والهيئات التقدمية هي السبيل العملي الوحيد لتعبئة وتنظيم طاقات وقابليات وامكانيات جميع الأحزاب والهيئات الوطنية التقدمية وكذلك طاقات شعبنا العراقي بقوميتيه العربية والكردية والاقليات القومية في جبهة متراصة لخوض النضال ضد الأعداء الألداء لشعبنا: الامبريالية والصهيونية والاقطاعية و البورجوازية الكومبرادورية، ولصد الغزو الاستعماري الصهيوني و لدرء أخطار التآمر الاستعماري السنتوي ضد الحكم الوطني وضد استقلال ومصالح جمهوريتنا العراقية المتحررة .

وليس هناك من سبيل عملي آخر، وليس هناك من طريق آخر يجمع على سلوكه جميع الأحزاب والهيئات التقدمية في البلاد.

فواقع مجتمعنا العراقي المتعدد القوميات والمتعدد الطبقات والأحزاب وضرورات تطوره الاجتماعي وتقدمه الاقتصادي والسياسي والثقافي، ومتطلبات خوض المعركة الوطنية الكبرى ضد الامبريالية والصهيونية، ومستلزمات صيانة مكاسب شعبنا، بل و

حتى متطلبات نمو وتقدم احزابنا وهيئاتنا الوطنية التقدمية أيضاً، كل ذلك يحتم الجبهة المتحدة سبيلا وحيدا لتلاحم قوى شعبنا التقدمية الممثلة باحزابه التقدمية والثورية في جبهة متراصة موحدة. لذلك كله يجب رفع شعار الجبهة المتحدة عاليا، لذلك كله يجب النضال المثابر في سبيل تحقيقها. وكمساهمة متواضعة في هذا النضال يجب بيان حقيقة الجبهة وطبيعتها ونوعها الضروري لمرحلتنا النضالية وكذلك تحديد السبيل المؤدي اليها، وبيان مستلزماتها. و في حالة تعذر قيامها بيان امكانية اتحاد الأحزاب التقدمية على ميثاق وطني، وهو أضعف الإيمان بالجبهة المتحدة. لذا يجدر بنا الشروع بمعرفة طبيعة الجبهة المتحدة .

الفصل الثاني

طبيعة الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة

الجبهة هي في جوهرها تحالف طبقي في مرحلة تاريخية معين . وهذا التحالف ينجم من أن طبقات اجتماعية مختلفة تجمعها في حلبة النضال المشترك، أهداف مشتركة بينها مثلما تجمعها مع بعضها وحدة الأعداء والأخطار، وبعبارة أخرى فأن تناقضا رئيسيا خطيرا يظهر في المقام الأول بين جميع هذه الطبقات الاجتماعية المختلفة مجتمعة من جهة و بين عدو خطير مشترك لها، من جهة أخرى، سواء أكان هذا العدو دولة امبريالية أجنبية أو طبقة رجعية أهلية أو غزوا صهيونيا استيطانيا استعماريا. ومثل هذا التناقض يعتبر تناقضا عدائيا لايمكن حله الا بالصراع العنيف والطويل الأمد غالبا. ومثل هذا التناقض يجعل التناقضات الأخرى الموجودة بين هذه الطبقات الاجتماعية المختلفة والمتحالفة تناقضات ثانوية، تناقضات داخل الصف الوطني المتحالف، تناقضات داخلية يمكن ويجب معالجتها باساليب ((التمييز بين الحق والباطل)) وممارسة النقد والنقد الذاتي والتثقيف والنقاش والاقناع والأوامر الادارية المقترنة بالاقناع والتوعية وبالتالي بأساليب ديمقراطية. وهنا أيضاً تظهر أهمية الديمقراطيةوضرورة اقرار حرياتها وحقوقها للشعب كي تعالج بها التناقضات الثانوية وكي تمنع تحولها الى تناقضات عدائية لا تحل الا بالعنف والاكراه.

إذن ((فهذان النوعان من التناقضات يختلفان اختلافا تاما من حيث طبيعتهما)). فالتناقضات مع الأعداء هي ذات صفة عدائية لاتحل الا بأساليب كفاحية ثورية، بالعنف، بالنضال المسلح، بالحرب الاهلية. بينما التناقضات داخل صفوف الشعب، داخل الصفوف المتحالفة، هي تناقضات ثانوية وهي تنقسم ال نوعين رئيسيين، الأول هو ((التناقضات بين الكادحين)) وهي تناقضات غير عدائية، والثاني ((التناقضات بين الطبقات المستغلة بفتح الغين - والطبقات المستغلة - بكسر الغين)) وهي تحوي الى جانب صفتها العدائية صفة أخرى غير عدائية))، ومع ذلك فيمكن القول بأن ((هذا النوع من التناقضات يعد أيضاً من التناقضات بين صفوف الشعب، ومجمل القول أن التناقضات بين صفوف الشعب هي تناقضات تنبعث من الوحدة الأساسية لمصالح الشعب)) -

راجع ماوتسي تونگ: حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب.

فالجبهة المتحدة هي إذن تحالف طبقي منبته الوحدة الأساسية لمصالح الشعب بجانب وحدة الأعداء والأخطار. وفي بلد متعدد القوميات هي تحالف وطني أيضاً بمعني تحالف بين قوميات عديدة تجمعها وحدة المصالح الأساسية ووحدة الأعداء والأخطار. لذلك فمن الخطأ اعتبار تحالف الأحزاب السياسية إقامة للجبهة الوطنية المتحدة الا إذا كانت هذه الأحزاب تمثل مصالح الطبقات الاجتماعية وتعبر عنها أي تمثلها حقيقة وتقود التنظيمات الجماهيرية لهذه الطبقات كالنقابات والجمعيات الفلاحية والمنظمات المهنية أيضاً. و بخلافه يكون تحالف الأحزاب السياسية جبهة متحدة لهذه الأحزاب والقوى التي تمثلها دون أن تكون نوعيتها جبهة وطنية متحدة أو جبهة شعبية متحدة على الرغم من كون كل حزب سياسي ممثلا لطبقة اجتماعية معينة من حيث الطابع السياسي والفكري حتما اذ يحمل كل فرد سياسي وكل حزب سياسي وكل حركة سياسية طابع طبقة معينة بالضرورة.

عن الجبهة المتحدة في الصين يقول ماوتسي تونگ:

((أتكون الجبهة المتحدة الوطنية المناهضة لليابان مقصورة على الكومينتانگ والحزب الشيوعي وحدهما؟ كلا ينبغي أن تكون جبهة متحدة تشمل الامة بأسرها، أما هذان الحزبان يشكلان جزءاً منها.

أن الجبهة المتحدة الوطنية المناهضة لليابان هي جبهة متحدة تضم جميع الأحزاب والجماعات السياسية و مختلف الأوساط و القوات المسلحة وهي جبهة متحدة لكافة مواطنينا الوطنيين من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين ورجال التجارة والصناعة، و لكن الجبهة المتحدة الحالية لم تتعد حتى الأن نطاق الحزبين في واقع الأمر، بينما الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين والجنود والبورجوازية الصغيرة في المدن وكثيرون غيرهم من الوطنيين لم يوقظوا بعد ولم يستنهضوا كما لم ينظموا بعد ولم يسلحو.)) ص ٤٨ من المختارات المجلد الأول.

وذلك لأن تحالف هذه الطبقات والقوميات يعبر عنه اتحاد جماهيرها الغفيرة و

أحزابها ومنظماتها ونقاباتها وجمعياتها وشخصياتها وفئاتها في الجبهة المتحدة التي تضمن توطيد طاقات وامكانيات هذه الطبقات والقوميات وتنسيق فعالياتها وتوجيه و قيادة نضالاتها المشتركة ضد الأعداء الألداء من جهة و توفر مجالات النمو والتكامل والازدهار والتعايش لهذه الطيقات والقوميات ولأحزابها من جهة أخرى و بالتالي توفر حرية الأفكار والمعتقدات والعمل الحزبي والمهني والقومي ضمن الاطار الواسع لاتحاد وطني وتدع ((ازدهار مئة زهرة وزهرة)) في حديقة الوطن المطهرة من الاعشاب السامة، مما يفتح أبواب الابداع والخلق على مصراعيها وتنظيم تصارع الافكار والآراء المتعدد في نطاق الوحدة في سبيل الحقيقة و اكتشاف أحسن السبل لخدمة الشعب وتحقيق مصالحه الأساسية وهي بذلك تبعد عن الشعب شرور التسلط والطغيان وآثام الكبت والارهاب والحرمان من الحقوق والحريات الديمقراطية مما يمتن وحدته الوطنية ويعزز تراص صفوفه و يقوي جبهته الداخلية في مواجهة الاعداء، فالجبهة تحقق الوحدة الوطنية على أنسب وجه وصيغة، وتضمن حرية الصراع الفكري والسياسي ضمن إطار هذه الوحدة، مما يجعلها مناظرة ممتعة ومفيدة حول الأصوب والأحسن و يجنب بذلك الشعب من ويلات الفرقة والاصطدام بين قواه الوطنية التقدمية. بل وتخلق مبارزة ومنافسة حرة بين الايديولوجيات وتنافسا على خدمة الشعب لكسب رضاه و ثقته عن طريق تقديم الخدمات والسياسات والشعارات الصائبة و التفاني والإخلاص في سبيل إنجاح قضية الشعب العادلة و تحقيق اهدافه.

هذا هو جوهر الجبهة المتحدة وطبيعتها. ولكن ما هو نوع الجبهة المتحدة التي تحتاجها جماهير شعبنا ؟ ما هو نوع هذا التحالف المقصود بين الطبقات الاجتماعية ؟ بل ومن هي هذه الطبقات نفسها ؟ وكيف تتحالف؟ وكيف تتحالف جماهير القوميات العراقية في جبهة ؟

أنواع الجبهة المتحدة

عرف التأريخ النضالي تعاون الطبقات المتشابهة والمتقاربة في الطبيعة الاجتماعية و المشتركة في الأهداف و المطاليب، و الموحدة المصالح والأعداء، عرف هذا التعاون باشكال مختلفة من إندماجية تبعية في البداية الى تعاون مبرمج و مشروط فيما بعد، خاصة حينما تبلور الصراع الطبقي وظهرت الأحزاب الاشتراكية والعمالية المستقلة والمتميزة عن غيرها.

ففي عهد الثورات البورجوازية (في أوروبا) سارت الطبقات الاجتماعية المظلومة (كالعمال والفلاحين وسائر الكادحين) وراء الطبقة البورجوازية وتحت قيادتها. وكان تحالفها مع البورجوازية غير مشروط و لا مبرمج، بل كان تحالفا أندماجيا ذيليا جوهره التبعية المطلقة للبورجوازية حتى شرعت البروليتاريا الأوروبية تحت قيادة ماركس وانجلس بتنظيم قواها الخاصة ومن ثم بتأسيس احزابها السياسية الاشتراكية الديمقراطية لتنظيم و قيادة نضالات الطبقة العاملة السياسية ضد البورجوازية. وقد أشار ماركس الى امكانية تحالف العمال مع الفلاحين بعباراته الشهيرة عن طبعة جديدة لحرب الفلاحين في المانيا كشرط لإنتصار البروليتاريا الالمانية. وقد أكمل لينين صياغة فكرة تحالف العمال والفلاحين في الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية ملاحظا بعبقريته الفذة الأوضاع الخاصة في روسيا التي جعلت من الفلاحين قوة احتياطية للبروليتاريا في الثورة الاشتراكية وقوة حليفة في الثورة الديمقراطية بعكس أوروبا الغربية التي كان الفلاحون فيها قوة احتياطية للبورجوازية .

أما في البلدان الاسيوية الناهضة للنضال ضد العبودية الاستعمارية فقد أصبح موضوع التحالف الطبقي في الثورة الوطنية الديمقراطية شرطا رئيسيا لإنتصارها لأن الحركة الوطنية تضم وتهم طبقات اجتماعية متعددة لابد من اتحادها كي تتقوى وتتعزز الحركة الوطنية الديمقراطية و تنتصر على أعدائها من الامبرياليين والرجعيين و الخونة الداخليين.

و بعد الثورة الروسية الديمقراطية الأولي عام ١٩٠٥ وبتأثيرات من هذه الثورة (كعامل مساعد ومشجع) حدثت ثورات دستورية بورجوازية في ايران و تركيا. وكانت الحركة الوطنية البورجوازية الصينية قد بدأت مع بداية القرن العشرين تحت قيادة صن يات صن بشكل يختلف عن السابق . وقد أطاحت الثورة الصينية عام ١٩١١ بحكومة اسرة جينغ الاستبدادية تحت قيادة العناصر الوطنية البورجوازية و الجماعات الثورية البورجوازية الصغيرة بزعامة الدكتور صن يات صن.

وكانت الحركة الثورية الصينية تلفت الاهتمام والانظار منذ ظهورها وقد تحدث عنها لينين وغيره من الثوريين الأوروبيين. فقد كانت هذه الحركة الثورية ذات أهمية بالغة لانها تحدث في بلد آسيوي كبير يضم مئات الملايين من البشر و في عهد الثورة الاشتراكية و في عهد غدت فيه المسألة الوطنية مسألة الفلاحين في جوهرها وأصبح فيه الفلاحون يشكلون الجيش الأساسي للحركة الوطنية التي اصبحت ثورتها ضد الإمبريالية جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية التي دشنتها ثورة اوكتوبر العظمى بقيادة لينين.

ثم تجددت الثورة الصينية بعد ثورة اكتوبر تحت تأثيرها المباشر ونالت الدعم والاسناد من الجمهورية السوفيتية الفتية والاممية الشيوعية (الكومينترن). وقد ظهر الحزب الشيوعي الصيني على المسرح أيضاً منذ عام ١٩٢١ كقوة نشطة و جديدة وقد أدرك الحزب الشيوعي الصيني كما أدرك الدكتور صن يات صن بثاقب نظره أهمية التعاون بين الحزب الشيوعي الصيني والوطني الصيني (الكومينتانگ) فتحقق التعاون بشكل حزب ثنائي التركيب يضم الشيوعيين الذين احتفظوا داخل الحزب الجديد باستقلالهم التنظيمي والأيديولوجي أيضاً، فتحقق التحالف بين ممثلي البروليتاريا الصينية والبورجوازية الوطنية على النطاق الوطني كما تحقق التحالف بين البروليتاريا الأوروبية الثورية (وممثلتها الكومينترن) و بين الحركة الوطنية الاسيوية (في الصين والهند و تركيا ...الخ) مما جسدت الوحدة الكفاحية بين الطبقة العاملة الأوروبية وحركة شعوب الشرق التحررية الوطنية التي كانت كحركة الفلاحين في جوهرها، مما يعني تحقيق التحالف بين البروليتاريا والفلاحين على النطاق العالمي باعتبار ذلك شرطا أساسيا للنضال المظفر من أجل الثورة الاشتراكية وكذلك من أجل تحرير شعوب الشرق

المظلومة أيضاً.

وكانت الصين تقدم مثلا حيا لهذا التلاحم الكفاحي بين البروليتاريا الروسية (الأوروبية) والحركة الديمقراطية الوطنية الصينية (الاسيوية) من جهة، ولتعاون الشيوعيين الصينيين الممثلين للبروليتاريا وسائر الكادحين مع الديموقراطيين الثوريين الصينيين (الممثلين للبورجوازية الصغيرة الوطنية التقدمية) بزعامة صن يات صن وفيما بعد البلد الذي قدم فيه قائد حزبه الطليعي ماوتسي تونگ مقولة الجبهة الوطنية المتحدة كسلاح جبار لاحراز النصر في الحركة الوطنية الديمقراطية.

وعلى ضوء التجارب التي مرت بها الحركة الثورية العالمية وتلخيصا لها صاغ ستالين في خطابه المشهور بجامعة كادحي الشرق الفكرة اللينينية عن واجبات العناصر الماركسية اللينينية في البلدان المستعمرة والتابعة اذ كلفهم في البلدان المتطورة نسبيا حيث توجد طبقة عاملة حديثة بتأسيس حزب ماركسي لينيني مستقل. أما في البلدان التي لم تظهر فيها الطبقة العاملة كقوة مستقلة فقد نصحهم بالعمل ضمن الأحزاب الديمقراطية مع حفظ استقلالهم الفكري والتنظيمي ضمن هذه الأحزاب كما فعل الشيوعيون الصينيون مع كومينتانغ صن يات صن و بالعمل في الأحزاب الديمقراطية الجماهيرية في البلدان المتاخرة من حيث نشوءِ الطبقة العاملة وضعفها الكمي والكيفي معا، رغم تأكيده على النضال من أجل خلق نواة ماركسية لينينية تتحول الى تنظيم خاص في الظروف المناسب.

ومنذ ظهور الحركة الفاشستية ومخاطرها واصل الشيوعيون الألمان الدعوة الى تكتيك التحالف مع الاشتراكيين الديموقراطيين وسائر الفصائل العمالية لصد الهجوم الفاشي. وظل الشيوعيون الصينيون يوطدون تحالف العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة حتى بعد ارتداد البورجوازية الصينية الكبيرة بقيادة كايشك عن الثورة وتحولها الى قوة محافظة معادية لحركة العمال والفلاحين الثورية.

و بحثت الاممية الشيوعية المعروفة بالكومينترن موضوع الجبهة الموحدة منذ بداية تشكيلها، وقد كان لينين هو الذي وضع أسس تاكتيك الجبهة المتحدة ابان المؤتمر الثالث للأممية ، ثم طورت الاممية هذا التاكتيك في أوضاع جديدة طبقية و وطنية.

و إذا أردنا مواكبة فكرة الدعوة الى التحالف بين فصائل و مراتب الطبقة الواحدة

أوالطبقات ذات المصالح الأساسية المشتركة والأهداف المشتركة، أقول إذا أردنا مواكبة هذه الفكرة تاريخيا ورجعنا الى وثائق الحركة الثورية العالمية، وجدنا أن الدعوة ((الى النضال المشترك في سبيل ألح مطالب الطبقة العاملة وصد هجوم الرجعية المشتد)) قد ظهرت لأول مرة في تأريخ الحركة الاشتراكية المعاصرة في ((رسالة مفتوحة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الالماني المتحد)) نشرت في ٨ كانون الثاني ١٩٢١ في جريدة " دي روته فانه – الراية الحمراء (Die RoTe FANE) موجهة الى جميع المنظمات الاشتراكية والنقابية، وقد نوقش موضوع الرسالة المفتوحة هذه في المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية المنعقد في موسكو من ٢٢ حزيران الى ١٢ تموز ١٩٢١، فدافع لينين عن فكرتها واعتبرها تكتيكا سليما. وفي هذا المؤتمر أكد لينين على ضرورة وجود حزب ثوري حقيقي باعتباره المهمة الأولى، يختلف كليا عن الأحزاب الاشتراكية التقليدية الاصلاحية و يكون واجبه الأساسي الظفر باغلبية البروليتاريا و باغلبية الجماهير الكادحة بوصفها المهمة الرئيسية التي تجابه الحزب في نضاله الثوري لاسقاط الحكم الرأسمالي و اقامة دكتاتورية البروليتاريا. وقد أقر المؤتمر أفكار لينين هذه واعتبر المؤتمر تاكتيك الجبهة العمالية الموحدة الوسيلة الأساسية لنضال الأحزاب الشيوعية من أجل كسب الجماهير الغفيرة ولإنتصار قضيتها الثورية.

وفي معرض الدفاع عن الرسالة المفتوحة مدحها لينين في خطابه (أول تموز ١٩٢١) المكرس للدفاع عن تاكتيك الاممية الشيوعية بقوله ((أن الرسالة المفتوحة خطوة سياسية نموذجية، هكذا قيل في موضوعاتنا وينبغي لنا أن ندافع عن هذا حتما. فأن الرسالة المفتوحة نموذجية بوصفها أول عمل من طريقة عملية لاجتذاب أغلبية الطبقة العاملة)). و في هذا المؤتمر وضع لينين الخطوط العريضة لتاكتيك الجبهة المتحدة بدعوته الى النضال بين الجماهير الكادحة و في صفوفها والى العمل الشاق الصبور لكسب اغلبية الطبقة العاملة والنضال من أجل العمل المشترك وبغية كسب الاغلبية بالالتحام مع الجماهير وعدم الابتعاد عن منظماتها ونقاباتها وجموعها الغفيرة. وقد ظل لينين يناضل ضد الشيوعيين الموسومين باليساريين الذين رفضوا تاكتيك الجبهة المتحدة، هذا التاكتيك الذي تمسكت به الأممية الشيوعية سيرا منها على نهج لينين الخالد.

ففي المؤتمر الرابع للأممية المنعقد في (٥ تشرين الثاني – الى ٥ كانون الاول ١٩٢٢) أكد المؤتمر مرة اخرى حقيقة أن المهمة الرئيسية الموضوعة أمام الأحزاب الشيوعية إنما هي مواصلة العمل بدأب ومثابرة بين الجماهير على أساس تاكتيك الجبهة الموحدة. وقد بين المؤتمر السادس للأممية الشيوعية أيضاً المنعقد ١٧/ تموز الى ١/ ايلول ١٩٢٨ ((بين ضرورة تاكتيك الجبهة الموحدة وأهمية العمل في النقابات وضرورة تحضير قوى البروليتاريا بدأب و إنتظام و بحزم و ثبات للمعارك الحاسمة ضد الرأسمالية)). وقد جاء في وصف هذا المؤتمر السادس للأممية الشيوعية و تقيمه في الموسوعة السوفياتية مايلي:

((لقد كان للمؤتمر السادس أهمية قصوى من وجهة نظر تقوية الأحزاب الشيوعية فكريا وسياسيا. فقد أعطاها بقراراته أسلحة لمحاربة خطر نشوب حرب استعمارية جديدة وأغنى الحركة الشيوعية العالمية بتجربة الثورة الصينية بتعميمه تعاليمها في مباحث حول الحركة الثورية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة)). اما المؤتمر السابع للأممية (من ٢٥ تموز الى ٢٥ آب ١٩٣٥) فدخل التاريخ بوصفه مؤتمر النضال في سبيل الجبهة العمالية الموحدة وفي سبيل الجبهة الشعبية ضد الفاشستية والحرب.

وفي هذا المؤتمر صاغت الأممية مقولة الجبهة الشعبية لأوروبا لتوحيد قوى الطبقة العاملة أولا ومن ثم ضمان تحالفها مع الفلاحين والبورجوازية الصغيرة ثانيا وذلك في النضال ضد الفاشية . وفي هذا المؤتمر ألقى جورجي ديمتروف الزعيم الشيوعي البلغاري الكبير والمناضل الأممي المعروف خطابه التأريخي عن ((الفاشية عدوة الشعوب)) و ((وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية)) إذ قال فيه أن ((أول شيء يجب القيام به ويتحتم المباشرة بتحقيقه عاجلا هو خلق الجبهة الموحدة، وذلك يعني توحيد كفاح العمال في كل ميدان من ميادين العمل، في كل دائرة، في كل منطقة، في كل بلد، في العالم بأجمعه. أن توحيد نضال البروليتاريا في داخل كل بلد بمفردها اولا وفي مجموع الميدان الدولي ثانيا: هذا هو السلاح الهائل الذي يجعل الطبقة العاملة قوية قادرة ليس فقط على الدفاع بنجاح عن مراكزها بل أيضاً على اتباع خطة هجومية مصيبة للوقوف في وجه الفاشستية عدوتها اللدودة)) ص ٤٦ من الترجمة العربية لخطاب ديمتروف، قام بها الاستاذ نقولا شاوي و وضع مقدمته الاستاذ خالد بگداش- ١٩٣٧ .

١- الجبهة الشعبية

وشرح ديمتروف في خطابه فكرة الجبهة الشعبية حين قال:

((أن إحدى المهمات الأساسية التي يلزم القيام بها أثناء تهيئة الجماهير العاملة وحشدها للكفاح ضد الفاشستية هي تأليف جبهة شعبية مناوئة للفاشستية على أساس الجبهة البروليتارية الموحدة)). وهذا يعني أن وحدة الطبقة العاملة اعتبرت الأساس المتين للجبهة الشعبية ومنطلقها، ولكن جوهر الجبهة الشعبية كان تحالفا طبقيا أيضاً بين الطبقة العاملة والفلاحين والبورجوازية الصغيرة لأن ((نجاح البروليتاريا)) كما يقول ديمتروف في خطابه ((مرتبط بشكل محكم جدا بمتانة تحالفها وإنتظامه مع طبقة الفلاحين النشيطة والفئة الأساسية من البورجوازية الصغيرة في المدن، وهاتان – أي طبقة الفلاحين وفئة البورجوازية الصغيرة – تؤلفان غالبية السكان حتى في البلدان ذات الصناعة المتقدمة)) ص ٥٨ من المصدر السابق.

ويستطرد ديمتروف في خطابه قائلا: ((أن الشيء المهم والرئيسي معا لتأليف الجبهة الشعبية ضد الفاشية هو ذلك العمل الحازم والجدي الذي يجب أن تقوم به البروليتاريا الثورية في سبيل الدفاع عن مطاليب هذه الجماعات طبقة الفلاحين على الأخص)) التي تتفق كل الاتفاق مع مصالح العمال الأساسية، كما أن من واجبها أيضاً في أثناء النضال اليومي أن تقترن مطاليب تلك الجماعات بمطاليب الطبقة العاملة نفسها. ويبدو من المهم جدا في اثناء تأليف هذه الجبهة الشعبية الاعتماد على طريقة قويمة و مصيبة للتقرب من المنظمات والأحزاب التي تضم الفلاحين الشغيلة و جماهير البورجوازية الصغيرة في المدن بصورة واسعة)). ص ٥٩ من المصدر السابق .

وعندما ترفض القيادات اليمينية الواقعة في أيدي البورجوازية لمثل هذه الأحزاب التي تضم الفلاحين و البورجوازية الصغيرة الدخول في الجبهة الشعبية ، لا يجوز الابتعاد عن جماهير هذه الأحزاب بل على العكس يجب كما ينصح ديمتروف بالتقرب منها ، بذل المساعي والجهود لجر أقسام أو مجموعات منها الى العمل المشترك في الجبهة الشعبية و يجب اتباع خطة دقيقة و مرنة كما يقول ديمتروف و ذلك لأن الجبهة هي

في الأساس و الجوهر تحالف طبقي، تحالف جماهيري على اهداف مشتركة و موحدة وعلى اسلوب كفاحي موحد قبل أن يكون تحالفا بين الأحزاب بمعنى تعاون قيادات هذه الأحزاب.

هذه مقولة صحيحة بصدد جماهيرية الجبهة الشعبية والجبهة الوطنية الموحدة معا.

وعن تجربة الجبهة الوطنية في الصين يقول الأستاذ زكي خيري نص ما يلي:

((ولم تكن الجبهة الوطنية الموحدة في الصين مقتصرة على لجنة عليا أو هيئة عليا تتداول بين الفينة و الفينة وراء أبواب موصدة بل كانت جهازا جماهيريا دقيق التنظيم متعدد الجوانب والمجالات، مشتركا من القمة الى القاعدة ، مركزيا ومحليا .)) راجع ص ١٠ من مقدمة الاستاذ زكي خيري لخطاب الرفيق ماوتسي تونگ حول الحكومة الائتلافية – الطبعة العربية الثانية – منشورات دار بغداد، ١٩٥٩.

٢- الجبهة الوطنية المتحدة

ومع أن تقرير ديمتروف للمؤتمر السابع للاممية الشيوعية كان مكرسا لموضوع ((وحدة الطبقة العاملة)) و ((الجبهة الشعبية)) في النضال ضد الفاشستية، الا إنه ألمح الى الجبهة الوطنية المتحدة أيضاً بما يلي: ((بسبب التعديلات التي طرأت على أحوال العلائق الخارجية بين الدول وعلى الأحوال الداخلية في كل دولة ، تأخذ قضية الجبهة الموحدة ضد الاستعمار أهمية استثنائية في كل البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة.))

((وعند تأليف جبهة نضالية موحدة واسعة ضد الاستعمار في تلك البلاد يكون من الضروري الأنتباه قبل كل شيء الى:

اولاً: تنوع الشروط التي يجري بموجبها النضال الجماهيري ضد الاستعمار .

ثانياً: درجة نضوج الحركة التحررية الوطنية.

ثالثاً: الدور الذي تلعبه الطبقة العاملة فيها وتأثير الحزب الشيوعي على الجماهير الغفيرة عموما)). ص ١٠٢ من المصدر السابق.

وفي معرض تقديمه لتجارب الأحزاب الشيوعية في النضال من أجل الجبهة المتحدة أشاد جورجي ديمتروف بالحزب الشيوعي الصينبي الذي كان أول حزب شيوعي صاغ

قائده ماوتسي تونگ مقولة الجبهة الوطنية وشرحها متكاملة بعد ممارسة النضال في سبيلها بنجاح . وقد قال عن التجربة الصينية نص ما يلي:

((أما في الصين حيث وفقت الحركة الشعبية الى إيجاد مناطق سوڤياتية في أماكن واسعة، والى تنظيم جيش أحمر هائل، فأن الهجوم الوحشي الذي يقوم به الإستعمار الياباني من جهة وخيانة حكومة نانكين من جهة اخرى قد وضعا الشعب الصيني الغفير وكيانه الوطني أيضاً في خطر. لذلك فإن مهمة المجالس السوڤياتية الصينية هي توحيد النضال ضد استعباد المستعمرين الساعين الى اقتسام الصين ومركزه وحشد كل القوى المعادية للاستعمار لاشراكها في النضال الوطني التحريري الذي يقوم به الشعب الصيني.

لهذه الاسباب نؤيد خطة حزبنا الشيوعي الصيني الشقيق المجاهد بكل شجاعة واقدام في سبيل خلق أوسع جبهة ضد استعمارية ممكنة للنضال ضد المغتصبين اليابانيين وأعوانهم الصينيين الخونة ولجمع صفوف كل القوى المنظمة الموجودة في أراضي الصين، المستعدة للقيام فعلا بنضال حديدي جبار في سبيل إنقاذ بلادها وشعبها)). ثم يستطرد ديمتروف قائلا: ((وأنا متاكد إنني اعبر عن عواطف وافكار كل مؤتمرنا عندما اصرح بما يلي:

((نوجه تحياتنا الأخوية الحارة بأسم البروليتاريا الثورية في العالم كله، الى جميع المجالس السوڤياتية في الصين والى الشعب الثوري الصيني. نوجه تحية اخوية حارة الى الجيش الاحمر الباسل الذي استأسد في آلاف المعارك. ونؤكد للشعب الصيني إننا بتمام الاستعداد لمعاضدة وتأييد نضاله في سبيل تحرره المطلق من كل الضواري الاستعماريين وأعوانهم المسيئين)) ص ١٠٣ و ص ١٠٤ من المصدر السابق.

هكذا نرى اشادة أممية بخطة الحزب الشيوعي الصيني حول الجبهة المتحدة وتقديراً لنضال الحزب الشيوعي الصيني من أجل تحقيق هذه الجبهة المتحدة . إذن فلا بد من دراسة التجربة الصينية والاستفادة من هذه التجربة في النضال من أجل الجبهة الوطنية المتحدة، ويخطئ كثيرا من يتجاهل التجربة الصينية هذه ويلحق أضرارا كثيرة بقضية شعبه ونضاله من أجل الجبهة الوطنية وبقضية الجبهة الوطنية نفسها كل من يمنع تداول أدبيات الحزب الشيوعي الصيني صاحب هذه التجربة والذي صاغ مقولة الجبهة الوطنية و بَيَّنَ طبيعتها وأساليبها النضالية. وهذه ليست حقيقة جديدة بل هي حقيقة

معروفة منذ أمد طويل تتعرض الأن لمحاولات التجاهل والتنكر لها. وقد سبق لكثيرين الاشادة بها وبيانها وفي مقدمتهم الاستاذ زكي خيري الذي كتب منذ الأربعينات في مقدمة ترجمته لكتاب الرفيق ماوتسي تونگ حول الحكومة الأئتلافية الذي نشره بأسم الديمقراطية الحديثة نص مايلي :

((وهكذا فأن الصين التي أعطت أوروبا السلاح الذي هدمت به صروح الاقطاع دون أن تتمكن هي من استخدامه لهذا الغرض قد شحذت سلاحا جديدا للمستعمرات و أشباه المستعمرات لابد لها من أجل تقويض دعائم الاستعمار وكنس بقايا الاقطاع وهو الجبهة الوطنية الموحدة ضد الاستعمار والرجعية والاقطاع و اقتضت المرحلة الوطنية في طورها الأول أن تكون هذه الجبهة الوطنية الموحدة بين الطبقات المناوئة للاستعمار و الاقطاع على شكل حزب واحد ثنائي التركيب)) ص١٠ من الحكومة الائتلافية، ترجمة زكي خيري – الطبعة الثانية – دار بغداد– كانون الثاني ١٩٥٩.

إذن فالجبهة الوطنية المتحدة التي استحسنتها الأممية الشيوعية وصاغ فكرتها قائد الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونگ هي النوع الاخر (بعد الجبهة الشعبية) للنضال الموحد ضد الاستعمار والغزو الاستعماري والاقطاع في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة، ولذلك فعلينا الرجوع الى مؤلفات الرفيق ماوتسي تونگ للاستزادة من المعلومات حول الجبهة الوطنية المتحدة وأولها تقريره المقدم في اجتماع المبادرين الحزبيين الذي عقد في – وا باو باو – في شمال شنشي بعد اجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب المنعقد في كانون الأول عام ١٩٣٥، وهو التقرير الذي قدمه بعنوان (حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية) و بلور فيه الرفيق ماو فكرة الجبهة الوطنية المتحدة باعتبارها تحالف العمال والفلاحين مع البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية ومع جميع العناصر المحبة للوطن والمعارضة للعدوان الاستعماري. ففي هذا التقرير شرح مواقف الطبقات الصينية المختلفة من الثورة الوطنية الصينية و من العدوان الياباني. فبين أن العمال والفلاحين يطالبون بالمقاومة الوطنية و يعتبرون القوة الأساسية الدافعة في الثورة الديمقراطية. وإن البورجوازية الصغيرة أيضاً تطالب بالمقاومة وتشترك في الثورة الديمقراطية مع العمال والفلاحين باعتبارها قوة ثورية. و بخلاف العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة الذين يشكل تحالفهم القوة الأساسية

لالحاق الهزيمة بالامبريالية ((يقف كبار العتاة المحليين والوجهاء الأشرار وكبار أُمراء الحرب وكبار البيروقراطيين والكومبرادوريين)) موقف الخيانة الوطنية، أي أن الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية معاديتان للثورة الوطنية الديمقراطية وللحرب الشعبية الوطنية. اما البورجوازية الوطنية فمسألتها معقدة. وعلى الرغم من ((أن التذبذب سيكون الخاصية العامة لتغيرها))، الا أن ((قسما منها (الجناح اليساري)) يمكن أن يشترك في النضال في مراحل معينة من نضالنا، أما القسم الآخر منها فيمكن أن ينتقل من التذبذب الى الحياد)). لذلك يعارض الرفيق ماو النظرة اليسارية المتطرفة التي تشطب على البورجوازية الوطنية كطبقة ويعلق على هذا الرأي بما يلي:

((أن إنكار احتمال تذبذب البورجوازية الوطنية و إنضمامها الى صفوف الثورة خلال فترة الجيشان الشديد هو يعني إلغاء مهمة حزبنا في كسب القيادة أو تضييق نطاق هذه المهمة على الأقل)). ص ٢٣١ من المؤلفات المختارة – الطبعة العربية. ثم يحدد الرفيق ماو في تقريره واجب الحزب قائلا أن:

((مهمة الحزب هي تشكيل جبهة وطنية ثورية متحدة وذلك عن طريق ربط نشاطات الجيش الأحمر بسائر نشاطات العمال والفلاحين والطلاب والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية في مختلف أرجاء البلاد)) ص ٢٣٦ من المصدر السابق .

و بعد شرح الأوضاع المتعلقة بكل من الجانب المعادي للثورة و بالجانب الثوري يتوصل ماوتسي تونگ الى استنتاجات عميقة منها اعتبار الجبهة المتحدة ((مهمة الحزب التكتيكية الأساسية)) و ((ضرورة الاستعداد لخوض نضال طويل الأمد)) وضرورة رفض تكتيك ((خوض المعركة بمفردنا)) و وجوب ((جمع وادخار قوى جبارة)) و ((حشد قوى كبيرة بهدف محاصرة العدو وابادته)). ثم يتساءل ((أيهما صحيحة نظرة الجبهة المتحدة ام نظرة الباب المغلق؟ وأي نظرة منهما توافق عليها الماركسية اللينينية ياترى؟)) . فيجيب: ((دون أدنى تردد: انها توافق على الجبهة المتحدة و تعارض نزعة الباب المغلق. ثم يستطرد قائلا :

وأن التكتيك الجديد الذي يتبناه الحزب وهو تشكيل جبهة متحدة واسعة، لينطلق من الحقيقتين الأساسيتين التاليتين: أن الامبريالية اليابانية تصر على تحويل كل الصين الي مستعمرة لها وأن القوى الثورية الصينية الحالية ما زالت تعاني ضعفا خطيرا.

وأن ما تحتاج اليه القوى الثورية اليوم في سبيل شن الهجوم على القوى المعادية للثورة وتنظيم الملايين والملايين من الجماهير الشعبية وتعبئة الجيش الثوري الجرار. وأن مثل هذه القوة وحدها ((تستطيع أن تسحق الامبريالية اليابانية وعملاءها الخونة وهذه حقيقة جلية أمام أعين جميع الناس. ولذلك فإن تكتيك الجبهة المتحدة هو وحده تكتيك ماركسي لينيني. أما تكتيك الباب المغلق فهو على النقيض تكتيك إنعزالي.)) ص ٢٤١ و ص ٢٤٢ من المصدر السابق/ الطبعة العربية البكينية.

هذا عن الجهة الوطنية المتحدة في الصين التي اعتبرت ثورتها الديمقراطية الجديدة كنموذج لجميع الشعوب الثورية التي تواجه مهمة الثورة الوطنية الديمقراطية مثلما كانت ثورة اوكتوبر نموذج الثورة البروليتارية الاشتراكية في أوروبا أو البلدان التي تواجه مهمة الثورة الاشتراكية رأسا والطريق الرئيسي لجميع الثورات السائرة نحو الاشتراكية على النطاق العالمي، وهذا يعني أن ثورة الصين الديمقراطيةالجديدة التي تحولت فورا وفي وقتها المناسب ودون تأخير الى الثورة الاشتراكية قد جاءت لتكمل ثورة أوكتوبر و لتسير على طريقها الثوري ولتواصل رسالة ثورة أوكتوبر الاشتراكية العظمى. كما قامت بحل مهمة الربط والتوصيل بين الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية فحلت مشكلة تحويل الثورة الوطنية الديمقراطية الى الثورة الاشتراكية في داخل البلدان المستعمرة والتابعة بنجاح كبير، وذلك مثلما ربطت ثورة أكتوبر على النطاق العالمي بين الثورتين الاشتراكية في اوروبا والوطنية الديمقراطية في آسيا.

ولذلك فقد اصبحت الثورة الصينية الديمقراطية الجديدة النموذج الحي للثورات الوطنية الديمقراطية للشعوب الثورية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي وطريقتها هي الطريقة الثورية الصحيحة لتحويل الثورة الوطنية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية، وهي التي تقدم النموذج بهذا الخصوص وهي بذلك تختلف اختلافا جوهريا عن محاولات الخلط بين مفاهيم و مهمات الثورتين الوطنية الديمقراطية و الاشتراكية، هذه المحاولات التي تقوم بها البورجوازية الصغيرة المصابة بداء التسرع اليساري، فقد أنجزت الثورة الصينية مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بأكملها فانتقلت الى إنجاز مهمات الثورة الاشتراكية مباشرة و دون توقف عند نهاية مهام الثورة الوطنية الديمقراطية الجديدة.

وهذا يثبت ضرورة إنجاز جميع مهام الثورة الوطنية الديمقراطية كشرط لاغنى عنه للأنتقال الى الثورة الاشتراكية وأنه لا يجوز استباق التطور الموضوعي للمجتمع بل لا بد من مسايرة قوانين التطور الاجتماعي والمجرى الطبيعي لتطور المجتمع مع الاسراع فيه ولكن عن طريق المرور الحتمي من مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الى مرحلة الثورة الاشتراكية وذلك بعكس المفاهيم التحريفية أو البورجوازية الصغيرة المنادية بتجاوز مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية أو القفز على مهماتها الاجتماعية والسياسية والفكرية الى الاشتراكية رأسا .

نوع الجبهة الوطنية في بلادنا

ولكن ما هو نوع الجبهة المتحدة التي تتطلبها حاجات تطور بلادنا ؟ الجواب هو أن بلادنا تمر بمرحلة التحرر الوطني الديمقراطي حتى الان على الرغم من أن ثورة ١٤/ تموز قد حققت الإنتصارات الأت أهداف الحد الأدنى للمرحلة باسقاطها النظام الملكي وتأسيسها الجمهورية العراقية المتحررة و تحقيق الاستقلال السياسي إذ لم ينجز بعد جميع أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية رغم تجدد ثورة تموز بأنتفاضة ٣٠ تموز / ١٩٦٨ و قيام الحكومة الوطنية باصلاحات هامة في حقل الإصلاح الزراعي و قيامها باستثمار وطني للنفط والكبريت. ولذلك فما زالت الجبهة المنشودة هي الجبهة الوطنية المتحدة مع ملاحظة التطورات التي حدثت منذ ١٩٥٨ مما جعلتها الجبهة الوطنية التقدمية. وهذه التطورات هي:

لقد قامت الثورة الوطنية بقيادة البورجوازية المتوسطة والصغيرة بتحقيق بعض أهدافها كالتحرر السياسي، ثم حققت بعض التأميمات فأنزلت ضربة بالبورجوازية الوطنية الكبيرة و ببعض مراتب الرأسمالية التجارية مما ازعجتها وألحقت أضرارا بمصالحها وأدى ذلك الى خروجها من الصف الوطني التقدمي. وكانت الثورة قد أقرت الإصلاح الزراعي - مما اخرج الملاكين المشمولين به من الصف الوطني التقدمي - لذلك فقد أصبحت الجبهة الوطنية التقدمية هي الصيغة المتطابقة مع التطورات الاجتماعية التي تستهدفها الثورة الوطنية الديمقراطية في سيرها نحو التكامل وبلوغ المطاف الأخير كما هي الصيغة المنسجمة مع التغييرات التي اجريت في البنيان الاقتصادي والسياسي للمجتمع.

أن التطورات الهامة منذ إنتصار ثورة ١٤/ تموز وبعد قرارات التأميم والاجراءات التقدمية في ميدان الاصلاح الزراعي ومذ تصاعدت نضالات العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة في العراق والبلدان العربية المتحررة قد أعادت تصفيط الطبقات الاجتماعية في جهتين أساسيتين كما يلي:

١- في الجهة الأولى تقف الطبقة العاملة والفلاحون كقوة أساسية و رئيسية دافعة في

الثورة الوطنية الديمقراطية وتقف البورجوازية الصغيرة كقوة تقدمية تلعب دوراً هاما عن (طريق الجيش وأحزابها السياسية معا) في الثورة الوطنية. أما البورجوازية الوطنية فقد إنضمت مرتبتها الرأسمالية الكبيرة الى البورجوازية الكومبرادورية وظلت المراتب التقدمية والمتوسطة الوطنية منها في الأولى، الجهة الوطنية التقدمية ذات المصلحة في مواصلة الثورة. هنا يجب أن نقف عند نقطة هامة هي أن المرتبة البورجوازية المتوسطة تعتبر ضرورية للاقتصاد الوطني الضعيف والمتأخر حتى في دولة الديمقراطية الشعبية. خاصة إذا لاحظنا أن هذه المرتبة المتوسطة من البورجوازية الوطنية تشمل العديد من التجار الوطنيين ومن الصناعيين الوطنيين الأكفاء ومن ذوي الكفاءات العلمية والتكنولوجيا مما يجعل الاقتصاد الوطني المتطور والنامي في حاجة ماسة اليهم وذلك ضمن التخطيط العام و الاقتصاد المبرمج طبعا. أن عدم ادراك هذه الحقيقة يوقع المرء في اليسارية الصبيانية ويلحق أعظم الأضرار بمهمة بناء اقتصاد الديمقراطية الشعبية التي تعتبر مرحلة تمهيدية للاشتراكية.

ثم أن هذه الفئة المتوسطة من البورجوازية الوطنية تتناقض مصالحها الجوهرية مع مصالح الامبريالية وتقف ضد الغزو الامبريالي والعدوان الاستيطاني الامبريالي كالعدوان الصهيوني، فتظل المشاعر الوطنية ذات تأثير وفعالية في صفوف هذه الفئة.

لذلك فمن الخطأ الجسيم طردها من الصف الوطني التقدمي المعادي للامبريالية والاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية. ومن الخسارة الفادحة الاستغناء عن امكانياتها وكفاءتها في بناء الاقتصاد الوطني للديمقراطية الشعبية تحت تأثير مقولات يسارية فجة وصبيانية.

٢- وفي الجهة الثانية تقف الاقطاعية (بما فيها الملاكون المتضررون من الإصلاح الزراعي) والبورجوازية الكومبرادورية والراسمالية الكبيرة (المتضررة مر التأميمات) وفصائل الرجعيين المرتبطين بالأمبريالية من المتعلمين ورجالات العهد المباد و الجواسيس.

و هاتان الجهتان متعاديتان متعارضتان لبعضهما البعض. فالتناقض القائم بينهما تناقض عدائي مستحكم. وتوجد تناقضات ثانوية في الجهة الاولى أيضاً ابرزها التناقض بين العمال والفلاحين ومن يرتبط بهم من المثقفين وبين البورجوازية الصغيرة التي تستأثر بالحكم الوطني وتحرم غيرها من الحقوق والحريات الديمقراطية مما يدفع بهذا

التناقض (الذي هو تناقض داخلي) بالتدريج الى تناقض حاد ثم عدائي لأنها تسد الطريق الديمقراطي أمام حل هذا التناقض وديا، مما ينمي تدريجيا الجانب العدائي من هذا التناقض ((الذي يحوي صفة عدائية)) بجانب صفته اللاعدائية باعتباره تناقضا داخليا من نوع التناقض الداخلي بين المستثمرين والمظلومين.

و هنا تبرز الخطورة في علاقة العمال والفلاحين الفقراء وسائر الكادحين والمثقفين المرتبطين بهم مع البورجوازية الصغيرة (الوطنية التقدمية بحكم نضالها ضد الامبريالية و الاقطاعية و البورجوازية الكومبرادورية) التي تسعى لغرض دكتاتوريتها و حرمان الشعب من الحكم الائتلافي الممثل لدكتاتورية الطبقات الثورية المشتركة و بالتالي من إكمال الثورة وإقامة المجتمع الديمقراطي الشعبـي مما توقف الثورة وترتد بها أو تراوح بها في مكانها وتدخلها في دوامة الأزمة العنيفة التي قد تفشل من جراءها الثورة الوطنية نفسها.

و لمعرفة اصطفاف الطبقات و مواقفها في الجبهة المتحدة يجب أن نعرف أن النضال في مرحلة التحرر الوطني هو نضال وطني ديموقراطي وأن المناضلين الثوريين يواجهون إنجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطيةو ذلك بحكم التطور الاجتماعي و وفق قوانين التطور الاجتماعي التي تحكم و تضبط سير التطورات والتغيرات الاجتماعية باعتبارها قوانين موضوعية للتطور الاجتماعي خارجة عن ارادة و أماني الافراد والفئات والطبقات والأحزاب منعزلة عن آرائهم الخاصة.

والنضال الوطني الديمقراطي لا يكون ناجحاً و كاملا ولا يستطيع إنجاز مهامه التقدمية ما لم يتحول الى ثورة وطنية ديمقراطية ويصبح نضالات مسلحة وعنيفة تخوضها الجماهير الشعبية، وضد الامبريالية و الإقطاعية باعتبارهما العدوين الرئيسيين المتخاصمين مع عملائهما وحلفائهما من البورجوازية الكومبرادورية و الفئات الرجعية والعميلة و باعتبارهما العقبتين الرئيسيتين في طريق التحرر الوطني والديمقراطي الناجز.

ولكي نفهم هذه الحقائق جيدا يجدر بنا التوقف قليلا عند الثورة الوطنية الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني للتحدث عن طبيعتها ونوعيتها وموقف الطبقات الاجتماعية المختلفة عنها و فيها ولمعرفة علاقتها بالتطورات الدولية و من ثم لتحديد مسارها بعد إحراز النصر على الإمبريالية والاقطاعية لتحديد ارتباطها بالرأسمالية أو الاشتراكية على النطاق العالمي والوطني.

طبيعة الثورة الوطنية الديمقراطية

قديما كانت الثورة الوطنية الديمقراطيةثورة التحرر الوطني من السيطرة الاستعمارية والاجنبية أو من الطغيان الرجعي من أجل الاستقلال الوطني والدستور والديمقراطية، وكانت أنذاك جزءاً من الثورة الديمقراطية البورجوازية العالمية. ((وكان النضال القومي في ظروف الرأسمالية الصاعدة هو نضال يجري بين الطبقات البورجوازية على حد تعبير ستالين. إلا أن تطورات هامة قد حدثت في عصر الامبريالية (أعلى مراحل الرأسمالية) جعلت الترابط قويا بين الثورة الوطنية والثورة البروليتارية. يقول لينين عن عصر الإمبريالية:

((و لكن هذا العصر نفسه لابد بالضرورة أن يولد ويغذي سياسة النضال ضد الاضطهاد القومي وسياسة نضال البروليتاريا ضد البورجوازية ولذا لابد له أن يجعل من الممكن والمحتم أن يغذي أولا قيام الانتفاضات والحروب الوطنية الثورية، ثانيا، قيام حروب و ثورات البروليتاريا ضد البورجوازية، ثالثا، إندماج هذين النوعين من الحروب الثورية، الخ..)) ص٤٥٦ من المختارات – المجلد ١ – الجزء الثاني من الطبعة العربية – دار التقدم / موسكو.

هنا يبدأ الحديث عن إندماج الثورة الوطنية والثورة البروليتارية وهو يعني إنفصال الثورة الوطنية عن الثورة البورجوازية الديمقراطية العالمية، وبملاحظة نتائج الحرب العالمية الاولى وإنتصار ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى عدل ستالين مقولته السابقة عن النضال القومي واستنتج ((أن الحرب وثورة اوكتوبر في روسيا قد حولتا المسألة القومية من كونها جزءاً من الثورة الديمقراطية البورجوازية الى جزء من الثورة الاشتراكية البروليتارية)). أما عن طبيعة الحركة الوطنية و قوتها الرئيسية فقد قال ستالين في خطاب القاه في ٣٠/ مارت / ١٩٢٥ أمام اللجنة اليوگوسلاڤية التابعة للجنة التنفيذية للاممية الشيوعية أن ((المسألة القومية هي من حيث الجوهر مسألة الفلاحين. ليست مسألة زراعية بل مسألة فلاحية. صحيح إنه لا يجوز اعتبار المسألة الوطنية ومسألة

الفلاحين مسألة واحدة لأن المسالة القومية تشتمل على مسائل الثقافة القومية والدولة القومية وغيرها بجانب المسألة الفلاحية أيضاً.

و لكن بنفس الدرجة لاريب أن أساس المسألة القومية و جوهرها هو مسألة الفلاحين. و هنا يظهر جليا كيف أن الفلاحين يشكلون الجيش الرئيسي للحركة القومية وأنه بدون جيش الفلاحين لا يمكن وجود حركة قومية قوية. وهذا هوالمقصود حين نقول أن المسألة القومية هي في جوهرها مسألة الفلاحين))- نقلا عن الترجمة الفارسية لاقوال ستالين المنشورة في العدد ١٩/ من مجلة ((تودة)) لسان حال المنظمة الثورية لحزب تودة في خارج الوطن.

و هذان تطوران هامان أحدهما في طبيعة الحركة الوطنية والاخر في ارتباطها بالثورة العالمية. لهذا فإن هذين التطورين الهامين يؤثران في الثورة الوطنية وفي طبيعتها و يجعلانها ثورة ديمقراطية من طراز جديد تختلف عن الثورة الديمقراطية القديمة، خاصة وقد وصلت البورجوازية العالمية الى مرحلة الامبريالية و هي مرحلة الرأسمالية المحتضرة السائرة نحو الأنهيار، كما دخلت البشرية عهد الثورة الاشتراكية حيث يحل النظام الاشتراكي محل النظام البورجوازي. وفي هذا العصر فإن الامبريالية ستسعى الى الحصول على مزيد من المستعمرات أو الاسواق والمواد الخام والارباح مما يجعلها تمانع في إقامة أنظمة رأسمالية منافسة في البلدان المتخلفة والمستعمرات السابقة. وإذا كانت ثورة أوكتوبر الاشتراكية العظمى قد فتحت عصرا جديدا في تاريخ ثورات الأمم المضطهدة، فقد ألهمت هذه الثورات، وخلقت ظروف مساعدة لإنتصارها أيضاً وأقام جسرا بين ثورة البروليتاريا – الاشتراكية في الغرب والثورة الديمقراطية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة في الشرق وبالتالي أوجدت ترابطا وثيقا بين الثورة الاشتراكية والثورة الوطنية الديمقراطية على النطاق الدولي.

اما مشكلة الربط بين الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية في داخل البلد المستعمر أو شبه المستعمر أي مشكلة كيفية وصل وربط الثورتين الديمقراطية والاشتراكية ربطا مباشرا مع بعضهما بحيث تنجز مهام الثورة الديمقراطيةبشكل جذري وبحيث تهيء في نفس الوقت مستلزمات الأنتقال الى الاشتراكية، فقد حلت هذه المشكلة من قبل الثورة الصينية حينما أثبتت حتمية تحول الثورة الوطنية الديمقراطية

الى ثورة ديمقراطية جديدة. وقد تولى الرفيق ماوتسي تونگ صياغة فكرة الثورة الوطنية الديمقراطية الجديدة في بحثه العميق الرائع ((حول الديمقراطية الجديدة)) الذي يقول فيه عن الثورة في البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة مايلي:

((في هذا العصر إذا نشبت في أي بلد مستعمر أو شبه مستعمر ثورة موجهة ضد الإمبريالية، أي ضد البورجوازية العالمية و الرأسمالية العالمية، فهي لا تنتسب الى الثورة الديمقراطية البورجوازية العالمية بمفهومها القديم، بل تنتسب الى مفهوم جديد، ولاتعد جزءا من الثورة العالمية القديمة البورجوازية والرأسمالية، بل تعد جزءاً من الثورة العالمية الجديدة، أي جزءاً من الثورة العالمية الاشتراكية البروليتارية. وأن مثل هذه المستعمرات و شبه المستعمرات الثورية لم تعد تعتبر في عداد حليفات الجبهة الرأسمالية العالمية المضادة للثورة، بل أصبحت حليفات للجبهة الاشتراكية العالمية الثورية.

((وعلى الرغم من أن مثل هذه الثورة في البلد المستعمر وشبه المستعمر لا تبرح خلال مرحلتها الاولى أو خطوتها الاولى ثورة ديمقراطية بورجوازية بصورة أساسية من حيث طبيعتها الاجتماعية، وعلى الرغم من أن رسالتها الموضوعية هي تمهيد الطريق لتطور الرأسمالية، الا أنها ليست ثورة من النمط القديم تقودها البورجوازية وتهدف إلى إقامة مجتمع رأسمالي ودولة خاضعة للدكتاتورية البرجوازية، بل هي ثورة جديدة تقودها البروليتاريا وتهدف في مرحلتها الأولى، الى إقامة مجتمع للديمقراطية الجديدة ودولة خاضعة للدكتاتورية المشتركة التي تمارسها جميع الطبقات الثورية. وهكذا فإن هذه الثورة من ناحية اخرى تقوم على وجه التحديد بتمهيد طريق أوسع وأرحب من أجل تطور الاشتراكية، وهي ستمر خلال سيرها بعدة مراحل بسبب التبدلات الطارئة على معسكر العدو وعلى صفوف الحلفاء، بيد أن طبيعتها الأساسية ستبقى كما هي دون تبدل.

((بما أن مثل هذه الثورة تضرب الامبريالية ضربات حاسمة، فأن الامبريالية لا تتقبلها بل تناهضها. ولكن الاشتراكية تتقبلها فهي تلاقي التأييد والمساعدة من قبل الدولة الاشتراكية والبروليتاريا العالمية الاشتراكية - ولذا فإن مثل هذه الثورة لا بد أن تصبح جزءاً من الثورة العالمية الاشتراكية البروليتارية)) ص٤٧٩- ص٤٨٠ مؤلفات ماوتسي تونگ المختارة - المجلد الثاني - الطبعة العربية / بيكين.

فالثورة الوطنية هي إذن ثورة ديمقراطية جديدة و النظام الوطني المنبثق عنها يجب أن يكون نظاما للديمقراطية الجديدة (الشعبية) فهو ليس بالدكتاتورية البورجوازية أو بالديكتاتورية البروليتارية بل هو نوع ثالث كما يقول عنه الرفيق ماو :-

((النوع الثالث فهو شكل إنتقالي للدولة ينبغي أن تتبناه الثورات في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة. ومن المؤكد أن كل ثورة من الثورات في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة سيتميز ببعض الخصائص ولكن هذه الخصائص لن تكون سوي اختلافات بسيطة في محيط من التماثل. فما دامت الثورات هي ثورات البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة فمن المحتم أن كلا من تركيب الدولة وتركيب السلطة السياسية في هذه البلدان سيكون متماثلا بضرورة أساسية، أي دولة للديمقراطية الجديدة خاضعة للديكتاتورية المشتركة لعدة طبقات مناهضة للامبريالية .))

وهذا يعني أن إنجاز مهام الثورة في مرحلة التحرير الوطني الديمقراطي يتم بتحرير الوطن من الإمبريالية والاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية وإقامة نظام الديمقراطية الشعبية او الجديدة. ونظام الديمقراطية الشعبية هو عبارة عن ((دكتاتورية مشتركة لجميع الطبقات الثورية)) تحت قيادة الطبقة العاملة بواسطة حزبها الطليعي ونظام السلطة لها هو المركزية الديمقراطية. وتقوم هذه الحكومة على أساس تحالف العمال والفلاحين بالدرجة الاولي ومن ثم تعاونهما مع البورجوازية الصغيرة والمراتب التقدمية من البورجوازية الوطنية كما سنبينهما في سياق البحث.

هذه هي حقيقة الثورة الوطنية الديمقراطيةو نظامها الديمقراطي الجديد. وهي حقيقة عامة طوال مرحلة التحرير الوطني واثناء الحكم الوطني الديمقراطي المستقل. وقد تبنت الحركة الثورية العالمية هذه الحقيقة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية حتى كانت جريدة مكتب الأنباء للاحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الشعبية الاوروبية و فرنسا وايطاليا المعروفة بالكومونفورم كانت تحمل عبارة ((من أجل سلم دائم من أجل ديمقراطية شعبية)). وحتى شرعت غالبية الأحزاب الشيوعية تتبنى الديمقراطية الشعبية في منهاجها، وقد شدد على ضرورة استيعاب وفهم وتبني الديمقراطية الشعبية و معرفة القوى اللازمة لتحقيقها شدد على هذه الضرورة بقوة الأستاذ خالد بكداش في بداية الخمسينات في تقريره الرائع المقدم الى اجتماع مشترك للجنتين المركزيتين للحزب

الشيوعي في سوريا ولبنان ونشر فيما بعد تحت اسم ((حزب العمال والفلاحين)).

و في العراق، فقد تبنى الحزب الديمقراطي الكردستاني – العراقي– ١"رتي ديموكراتى كوردستان – عيراق) بعد إنتخاب لجنة مركزية يسارية سكرتيرها العام الاستاذ إبراهيم أحمد، عام ١٩٥١ و حزب وحدة الشيوعين العراقيين بقيادة السيد عزيز شريف و من ثم الحزب الشيوعي العراقي – القاعدة – في ميثاقه المعروف بميثاق باسم تبنوا الديمقراطيةالشعبية.

وظل موضوع الديمقراطية الشعبية موضوع نقاش عنيف بين الشيوعيين خاصة بعد ظهور التيار اليميني الذي إنشق عن الحزب الشيوعي وتمثل في ((الحزب الشيوعي العراقي – راية الشغيلة)) بقيادة المرحوم جمال الحيدري. والواقع أن ميثاق (باسم) كان ميثاقا ثوريا ماركسيا لينينيا في خطوطه الرئيسية والأساسية.

الا أن هذه الحقيقة عن الثورة الديمقراطيةالجديدة التي تستهدف إقامة نظام ديموقراطي شعبـي تتعرض في الظروف الراهنة الي خطر إنحرافين خطيرين، أحدهما بورجوازي يميني تزكيه التحريفية المعاصرة وثانيهما يساري مغامر تزكيه التروتسكية و ((اليسارية الجديدة)) المصابة بمرض (التسرع اليساري البورجوازي الصغير). وهنا مصداق القول المأثور بأن التطرف في اليمين كالتطرف في اليسار، فكلا الأنحرافين ينكران ضرورة الثورة الديمقراطية الجديدة ويتجاهلان ضرورة إقامة المجتمع الديمقراطي الشعبي تمهيدا للأنتقال الى الاشتراكية و كلاهما من منبت بورجوازي. الأول يدعوا الى ((حكم بورجوازي حر)) تحت ستار الديمقراطية البرلمانية أو يدعو الى حكم البورجوازية الصغيرة و رأسمالية الدولة تحت شعار الاشتراكية.

والثاني يدعو الى القفز من على الوقائع الموضوعية العريضة الى الاشتراكية رأسا دون المرور بمرحلتها الأنتقالية: مرحلة الديمقراطية الشعبية.

إستحالة قيام الحكم البورجوازي المستقل في الظروف العالمية الراهنة

يدعي الأنحراف اليميني بأن الثورة الوطنية الديمقراطية يجب أن تسلك طريق الحكم البرلماني على الخط البورجوازي وأن يكون نظام الحكم ديمقراطيا حرا قائما على الملكية الخاصة والتشبث الفردي وحرية التجارة والصناعة وبالتالي نظاما بورجوازيا مستقلا. فهل تستطيع البورجوازية الوطنية في عصرنا الراهن السيرعلى النهج البورجوازي الحر لاقامة نظام بورجوازي وطني مستقل؟ الجواب هو كلا. ذلك لأن الاوضاع الوطنية والدولية تجعلان هذا النهج وتجعلان إقامة نظام بورجوازي مستقل متعذرا. فالبورجوازية الوطنية طبقة اجتماعية ضعيفة (اقتصاديا و سياسيا) لكونها بورجوازية بلدان متأخرة وبسبب ظهورها و وجودها في عهد الرأسمالية الاحتكارية، عهد الامبريالية حيث بلغت الرأسمالية مرحلة الاحتكار (احتكار الصناعات والاسواق) ومرحلة تقسيم مناطق النفوذ وحيث بلغت التكنلوجيا الرأسمالية مستوى رفيعا وممتازا تعجز الرأسمالية الوطنية في البلدان النامية حيال كل هذه الأوضاع من دخول ميدان المنافسة الحرة والفوز فيها أو حتى العيش في خضمها. والامبريالية باعتبارها رأسمالية محتضرة تعالج سكرات الموت تعتمد على الأسواق الاجنبية وموارد البلدان النامية وثروتها المعدنية أكثر من ذي قبل ولن تسمح بإقامة مجتمعات رأسمالية مستقلة منافسة. ثم أن الاستعمار الجديد يمد شباك تجاراته واحتكاراته ويمد أخطبوط إقتصاده الرأسمالي الراقي بأساليب متنوعة ليأخذ بخناق الرأسمالية الوطنية أو بربط أقسام هامة أو كبيرة منها بالبورجوازية الاستعمارية و السوق الرأسمالية الدولية وبالتالي ليقوم بتغلغل اقتصادي استعماري تحت ستار المساهمة في الشركات و الصناعات المحلية أو عن طريق الترابط والتبادل التجاري والامتيازات أو العمولات والوكالات وبالأساليب الشيطانية للاستعمار الجديد مما يجعل هذا الاقتصاد ((الرأسمالي الوطني)) إقتصاداً تابعا للبورجوازية الدولية ومن ثم كومبرادوريا ويعيد البلد المستقل حديثا تحت نفوذ الاستعمار الجديد فكأنَّ الاستعمار قد أُخرج من الباب

ليعود بلباس الاستعمار الجديد من الشباك. وعلاوة على ما تقدم فأن الرأسمالية الوطنية تظهر في عصر إنهيار الامبريالية وإنتصار الثورة الاشتراكية حيث تلفظ الرأسمالية الدولية المحتضرة تاريخيا – أنفاسها، وحيث فقدت البورجوازية دور القيادة في الحركة الوطنية الثورية – كما سنثبت نظريا فيما بعد – و حيث ظهرت الطبقة العاملة كقوة قائدة و طغت الافكار الاشتراكية في العالم وظهرت دول اشتراكية عديدة تعادي الامبريالية والبورجوازية وتشجع الشعوب وتشوقها على السير في طريق الديمقراطيةالشعبية وليس طريق التطور الرأسمالي. فالدول الاشتراكية إذن لا تشجع على السير في طريق الرأسمالية والامبريالية الدولية تمنع التطور الرأسمالي المستقل للبلدان النامية و تسعى لربطها بعجلة البورجوازية الدولية.

وجماهير الشعوب الغفيرة قد كرهت الرأسمالية ونبذتها نظاما اجتماعيا للحكم ويتعاظم نفوذ الوعي الاشتراكي والعمالي الثوري وتنتشر الماركسية اللينينية بسرعة. والحركة الوطنية الديمقراطيةتشق سبيلها النضالي في وجه مقاومة الامبريالية الضارية، تحت قيادة أصلب المناضلين الثوريين وليس تحت إمرة (مناضلي الصالونات) و (افندية الاندية) و(مترفي المدن) وغيرهم من العناصر البورجوازية. والبورجوازية الوطنية في البلدان المتخلفة بورجوازية ضعيفة اقتصاديا وسياسيا وهي بحكم طبيعتها الطبقية البورجوازية هزيلة وجبانة ومترددة تتميز بالازدواجية في موقفها، فهي مع الثورة الوطنية أحيانا وفي حدود معينة وضد الثورة الوطنية الديمقراطيةحينما يتعاظم نفوذ العمال والفلاحين والكادحين فيها ويخف تناقضها مع الامبريالية، إذ تميل البورجوازية الى المساومة دوما وتسعى لفرض حكم طبقتها الدكتاتوري المبرقع بالبرلـمانية الدستورية، فكيف إذن لايستحيل قيام نظام بورجوازي وطني وديموقراطي مستقل؟ جوهره دكتاتورية البورجوازية حتى ولو كان مظهره البرلـمانية وتخللتها الأنتخابات البورجوازية؟

هكذا نرى طريق التطور الرأسمالي بقيادة البورجوازية طريقا مسدودا لا يفضي الى النهاية المظفرة على الرغم من الدعاية والمساندة التي تقدمها التحريفية. وهذا يعني استحالة إقامة المجتمع الرأسمالي الوطني المستقل إذ أن السعي لإقامة مجتمع بورجوازي مستقل في عصرنا ليس الا وهما بورجوازيا رجعيا، ليس الا ارتدادا و تمردا على طبيعة عصرنا الحالي، عصر إنهيار الامبريالية – باعتبارها أعلى مراحل الرأسمالية –

وعصر الثورة الاشتراكية حيث ((أن الوضع الدولي الراهن هو من حيث الأساس وضع يسوده الصراع بين الرأسمالية والاشتراكية، وضع تسير فيه الرأسمالية في طريق التدهور والاشتراكية في طريق الصعود)) وحيث ((أن العالم يجتاز عصرا جديدا من الثورات و الحروب، عصرا يتحتم فيه زوال الرأسمالية وازدهار الاشتراكية)) ماو. وحتى إذا تأسس نظام بورجوازي مستقل سياسيا فإن الامبريالية العالمية سرعان ما تسعي لاخضاعه اقتصاديا لنفوذ احتكاراتها وسرعان ما يحتويه الاستعمار الجديد، فيتحول هذا النظام البورجوازي المستقل سياسيا الى تابع للنظام الرأسمالي تدريجيا والى جزء من هذا النظام في النهاية مما يفقده استقلاله السياسي أيضاً. فالنظام البورجوازي المستقل سياسيا لايصمد أمام الاحتكارات الدولية ولا حيال الامبريالية الدولية كما لا يستطيع أن يخلق سورا صينيا حول بلاده ليحمي استقلاله السياسي من المداخلات الإمبريالية والتغلغل الاقتصادي الرأسمالي الدولي بشتى الأنواع والاساليب مما يؤدي في النهاية الى ايقاعه في شباك الرأسمالية الدولية و جعل بلاده شبه مستعمرة.

هذا فضلا عن عجز البورجوازية الوطنية عن تطوير البلاد صناعيا واقتصاديا و زراعيا بقواها الخاصة وفضلا عن سياستها الطبقية الضيقة التي تبقي الشعب وجماهيره الكادحة تحت وطأة الاستثمار والاستغلال و تحت رحمة الفقر والجهل والمرض.

أن مقارنة بسيطة بين النظام الاشتراكي في الصين وإنجازاته في حقول الصناعة والزراعة والتكنلوجيا وفي الميادين السياسية والثقافية والعمرانية والاجتماعية وبين النظام الرأسمالي البرلماني في الهند أو بين كوريا الديمقراطية الشعبية و بورما مثلا، تكشف لنا بوضوح حقيقة أن الديمقراطية الشعبية لا تتفوق على الديمقراطية البورجوازية فحسب، بل وأيضاً تعتبر النظام الوحيد القادر على تصفية بقايا القرون الوسطى والاقطاعية و البورجوازية الكومبرادورية والأمراض الاجتماعية الفتاكة كالفقر والجوع والمرض بصورة جذرية.

قديما كانو يستشهدون بمثال الثورة الكمالية (البورجوازية التجارية) كبرهان لامكانية إقامة المجتمع الرأسمالي المستقل. ولكن الوقائع التركية تدحض هذا الدليل أيضاً ((فإن تركيا الكمالية لم يسعها في النهاية الا أن ترتمي هي الاخرى الى أحضان الامبريالية الأنجلو فرنسية متحولة يوما بعد يوم ((الى شبه مستعمرة والى جزء من العالم الامبريالي

الرجعي)) على حد قول الرفيق ماو فيما قبل الحرب العالمية الثانية وأن تتحول تركيا الى دولة تابعة للامبريالية الأمريكية وتفقد الكثير من استقلالها السياسي و تئن تحت أثقال الأحلاف والقواعد الصاروخية والعسكرية الأجنبية و تعاني من التغلغل الرأسمالي الاميركي والألماني الغربي .

واليوم و حيث يشتد نضال الجماهير الشعبية في اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية للسير على سبيل جديد غير السبيل الرأسمالي وحيث تهزم الرياح الثورية الرياح الرأسمالية وحيث يزداد جبروت القوة الاقتصادية والعسكرية للدول الاشتراكية و حيث تلاحق الثورات التحررية الجديدة الأنظمة الموالية للامبريالية في فيتنام وتايلاند والملاوي وبورما وبلدان عديدة في امريكا اللاتينية و في افريقيا وحيث تشتعل أوار الثورة الفلسطينية المجيدة لتلهب شرقنا وتصدق مقولة ((رب شرارة تحدث حريقا)) ليس أمام الشعوب المناضلة من سبيل للخلاص التام سوى الديمقراطيةالشعبية.

((وازاء الوضع الدولي الراهن فأن جميع (الأبطال) في المستعمرات وشبه المستعمرات إما أن يقفوا الى جبهة الامبريالية - و يصبحو جزءاً من القوى المضادة للثورة في العالم، وإما أن يقفوا الى الجبهة المناهضة للامبريالية و يصبحوا جزءا من القوى الثورية في العالم. لابد لهم أن يختاروا بين هذين الطريقين و ليس ثمة طريق ثالث.)) كما يقول الرفيق ماوتسي تۆنگ.

الأنحراف البورجوازي الصغير
عن الديمقراطية الشعبية

اما الأنحراف البورجوازي الصغير (المدعم من قبل التحريفية المعاصرة بحماس في الميدانين النظري والمادي) والقائم على أساس إنكار الديمقراطية الشعبية بمفهومها العلمي المشروح سابقا والساعي لاقامة دكتاتوريتها البورجوازية المغلفة بستار ((الثورية)) و ((الاشتراكية))، فهو أيضاً يسير في طريق مسدود ومحفوف بالمخاطر. فهي برفضها الديمقراطية الشعبية وباقامة ((حكمها الثوري)) بدلا عنها وبرفضها الاشتراكية العلمية التي تحتم قيادة الطبقة العاملة باعتبارها بانية الاشتراكية و صاحبة دكتاتورية البروليتاريا كسلطة للدولة في الفترة الأنتقالية التي تبدأ بإنتصار الثورة الاشتراكية وتنتهي بازالة ومحو الطبقات على النطاقين الوطني والعالمي، وبرفضها التعاونيات الزراعية والحكومية في الريف، لاتخلق الا نظاما رخوا هشا لا يصمد أمام الأعاصير والأهوال وعاجزا عن حل المشاكل الرئيسية حلا جذريا كمسألة الإصلاح الزراعي الجذري ومسألة طبيعة السلطة التي بدلا عن جعلها مركزية وديمقراطية للجماهير الشعبية تجعلها مركزية وبيروقراطية وبدون ديمقراطية للجماهير الشعبية مما يسد الاسلوب الديموقراطي في حل التناقضات داخل الشعب وتدفع بهذه التناقضات في طريق التحول الى تناقضات عدائية وتنمي الجانب العدائي من التناقضات الموجودة داخل صفوف الشعب مما ينجم عن ذلك لجوء البورجوازية الصغيرة الحاكمة الى ممارسة الإرهاب والاضطهاد ضد العمال والفلاحين الفقراء الثوريين وضد جميع دعاة الديمقراطيةوالحريات العامة.

وبذلك تخلق البورجوازية الصغيرة أزمة مستحكمة في صفوف الشعب و تحول الأصدقاء والحلفاء الى أعداء فتركز بذلك حقدها عليهم مما يلغم الوحدة الوطنية و ينسف الجبهة الوطنية من الداخل (إن وجدت) فيفسح المجال واسعا أمام المؤامرات الاستعمارية والرجعية واليمينية لاسقاط هذه الأنظمة التقدمية التي توجدها وتقودها البورجوازية الصغيرة. كما يثقل هذا النظام البورجوازي الصغير كواهله بمضاعفات عديدة لجملة من الغلطات التي ترتكبها بسبب ابتلائها بداء التسرع اليساري البورجوازي

الصغير في ميادين التأميمات والدخول في منازعات، مع العمال والفلاحين الفقراء من جهة و مع بعض المراتب الوسطى من البورجوازية الوطنية وممثليها المثقفين والفنيين والاخصائيين الاخرين من جهة ثانية.

و ستطغي رأسمالية الدولة على الاقتصاد الوطني وتفتح الأبواب على مصراعيها لنمو ((قشرة إجتماعية طبقية جديدة)) من إصابة البورجوازية الصغيرة ((بالتخمة)) و جراء الامتيازات التي تحصل عليها عناصر معينة منها، و بالتالي ستظل صفوف هذه البورجوازية الصغيرة مقلقلة وغير متراصة و ستشقق باستمرار صرح ((النظام التقدمي)) للبورجوازية الصغيرة و تتفاقم التناقضات الداخلية و تستفحل تناقضاتها مع الاعداء أيضاً.

ثم تفقد البورجوازية الصغيرة تدريجيا مساندة العمال والفلاحين الفقراء لها كما تفقد إمكانية الاستفادة من الطاقات الثورية الهائلة والقدرات النضالية والانتاجيات العظيمة لهؤلاء العمال والفلاحين الفقراء وممثليهم بين المثقفين الثوريين، وترزخ تحت المشاكل و التناقضات العديدة التي تعيشها هذه البورجوازية الصغيرة حتى تتداعى و تعرض نظامها الوطني الثوري للسقوط و الأنهيار وهذا شيء حتمي ما لم يتحول الى حكم ديمقراطي شعبـي (وهو فرضية بعيدة الحصول والتحقق). إذ أن هذا النظام الوسطي بين الرأسمالية والاشتراكية الحقيقية لايستطيع العيش والاستمرار حتى النهاية، وسيظل يتمايل حتى يسقط أو يصفى لصالح الطبقة الاجتماعية الجديدة (البورجوازية) التي تخلقها بنفسها اثناء حكمها أو لصالح اليمين المتآمر مع الاستعمار، لأن البورجوازية الدولية وأنظمتها الامبريالية ستحارب هذه الأنظمة الوطنية الثورية وتتآمر عليها لاسقاطها. أو تطوق البورجوازية الدولية باخطبوطها الرأسمالي أعناق إقتصاد هذه الأنظمة الوطنية وتتغلغل في أسواقها وتجارتها حتى تفقدها القدرة على التحرك المستقل والحر في كثير من الميادين.

إن سقوط أنظمة نكروما في غانا وموديبوكيتا في مالي و سوكارنو في أندونيسيا لأمثلة حية على صحة ماتقدم بيانه. وأخيرا فإن الادعاء بأن هذه الأنظمة المتحررة التي تقودها البورجوازية الصغيرة تسير على طريق ((التطور اللارأسمالي)) إدعاء باطل، لأن تطورها هو تطور رأسمالي في الجوهر.

حقيقية التطور اللارأسمالي

وذلك لأن مقولة التطور اللارأسمالي التي هربتها التحريفية المعاصرة الى أذهاننا ورددتها أبواقها كثيرا والتي رددناها نحن خطأ أيضاً هي مقولة غير علمية وتدحضها الوقائع. فمثل هذا التطور هو تطور رأسمالي في الجوهر ولكن بشكل جديد. هو تطور لرأسمالية الدولة ولعناصر رأسمالية متعددة وللابقاء على جو رأسمالي في الحياة الاقتصادية و في بنيان المجتمع تحت لافتة خداعة وفي الزراعة والريف بصورة بارزة. ومثل هذا التطور سيؤدي في النهاية الى الرأسمالية المغلفة بعبارات اشتراكية. والجوهر الرأسمالي لما يسمي بالتطور اللارأسمالي يتوضح جليا إذا نظرنا على ضوء النظرية الاشتراكية العلمية الى:-

اولاً: الزراعة، حيث يؤدي الاصلاح الزراعي الذي يقوم به البرجوازية الصغيرة في بلدان ((التطور اللارأسمالي)) الى تطوير الرأسمالية في الريف و سيادة علاقات الأنتاج الرأسمالية فضلا عن الابقاء على ملكية عدد كبير من الملاكين وعدم إجتثاث جذور وبقايا الاقطاعية، وحيث يبقى الفلاحون الأغنياء (وهم بورجوازية الريف) ويستمرون باقتصادهم الزراعي الرأسمالي وحيث يتحول بعض الفلاحين الفقراء الى فلاحين متوسطين (وهم البورجوازية الريفية الصغيرة) كما يتحول بعض الفلاحين المتوسطين الى فلاحين أغنياء وحيث يتم توزيع الأرض على أساس الملكية و القطع الصغيرة مما يؤدي ذلك كله الى غرق الريف بفيض من العلاقات الرأسمالية، العادات الرأسمالية والأنتاج البضاعي المتحول الى الأنتاج الرأسمالي (في نطاق محدد ومعين). وكما يقول لينيين فإن ((الماركسية تعلمنا أن مجتمعنا يقوم على الأنتاج البضاعي ويتعاطى التبادل مع الامم الرأسمالية المتمدنة لابد له في مرحلة معينة من تطوره أن يسير حتما هو أيضاً في طريق الرأسمالية.)) لينين ص٤٤ من خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية الطبعة العربية- دار التقدم-موسكو-١٩٧٠.

ثانياً: التجارة، حيث تظل الرأسمالية تلعب دورها خاصة في ميدان التجارة الداخلية التي تظل في أيدي الافراد المالكين للرأسمال الخاص، كذلك الامر فيما يتعلق بالمقاولات والإنشاء والتعهدات التي تمارسها الشركات الرأسمالية والخاصة. وفضلا عن العلاقة التجارية مع السوق الاشتراكي تستمر العلاقات التجارية مع الرأسمالية الدولية.

ثالثاً: الصناعة، القطاع الخاص حيث تسود العلاقات الرأسمالية وحيث تنشط الشركات و المعامل التي يملكها الافراد المالكون للرأسمال الخاص و وسائل الأنتاج وحيث تولد هذه المعامل الخاصة العادات والتقاليد الرأسمالية و تبقي العلاقات الرأسمالية.

رابعاً: المجالات المهنية، حيث تستمر البورجوازية الصغيرة في نشاطها وتتحول عناصر عديدة منها الى رأسمالية متوسطة فكبيرة، وحيث تبقى البورجوازية المتوسطة ممثلة بكبار الموظفين وكبار المحامين وأغنياء المهندسين وكبار المتعلمين من أساتذة الجامعات و الفنانين الأغنياء والضباط الكبار وذوي الامتيازيات من رجالات الدولة و الحزب الحاكم. وهذه العناصر الفنية تبقي محتفظة بأيديولوجية بورجوازية وتمارس عادات وتقاليد بورجوازية مما يؤدي الى خلق جو فكري وخلقي بورجوازي والى إنعاش البورجوازية في الميدان الفكري وفي ميدان العادات.. التي تتعاظم قوتها الرهيبة بدلا من الشروع بالتلاشي.

خامساً: استمرار تحكم قوانين الرأسمالية وعلى رأسها قانون القيمة وقانون الربح والمحفزات المادية وغيرها، هذا هو التطور اللارأسمالي الذي هو تطور رأسمالي في جوهره تطور يؤدي الى خلق رأسمالية الدولة من جراء التأميمات في المشاريع الصناعية والمصرفية والمؤسسات المالية والى إنعاش البورجوازية المتوسطة في الريف و في ميدان التجارة الداخلية والكسب وميدان بعض المهن الاخرى والى تكاثر البورجوازية الصغيرة و تزايدها المستمر وأنشطارها الدائم الى بورجوازية متوسطة وبورجوازية صغيرة والى عناصر فقيرة و بائسة.

و من مخاطر هذه المقولة التحريفية على الحركة الثورية وحركة الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الأخرى هي شلها للنضال الثوري الحقيقي وفي درب الكفاح المفضي الى الديمقراطيةالشعبية ومنها أيضاً منع أو عرقلة ظهور الطليعة الثورية الحقيقية و خداع الجماهير الشعبية وإبعادها عن طريق النضال الجماهيري بقيادة الطبقة العاملة. وكذلك

خلطها المشوش بين مرحلتين للثورة هما مرحلة الديمقراطية الشعبية ومرحلة بناء الاشتراكية، وخلطها الارتجالي بين النضالات الوطنية التقدمية وعملية البناء الاشتراكي مما يؤدي الى خلق الارتباك والبلبلة فيما يتعلق بالنضال الوطني الثوري والنضال البروليتاري الاشتراكي، ويوجد جوا يختلط فيه الحابل بالنابل ويُحمَّل الحركة الوطنية التقدمية مهام الثورة الاشتراكية من دون القيام بتطور الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية الى الثورة الاشتراكية. ولا بد هنا من إستذكار النضال الذي شنه الماركسيون الروس ضد هذيان الشعبية والفوضوية الذين زعموا بأن في مستطاع روسيا إجتناب التطور الرأسمالي. وقد أكد مرارا لينين حقيقة أن لاطريق لاجتناب حكم الرأسمالية ((غير طريق النضال الطبقي في ميدان و حدود هذه الرأسمالية نفسها)).

وطبيعي أن هذه الحقائق لاتعني حتمية سيادة النظام الرأسمالي وسيادة الطبقة الرأسمالية في المجتمع. بل أن لينين نفسه قد برهن في كتابه المعروف ((خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية)) على وجوب قيادة البروليتاريا للثورة الديمقراطية لعجز البورجوازية عن ذلك، كما صاغ شعار دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية بدلا عن سلطة ودكتاتورية البورجوازية. فالمقصود باستحالة الاجتناب هو ((برنامج التحويلات السياسية والاقتصادية المباشرة ذات الطابع الديمقراطي البورجوازي كالاصلاح الزراعي وتصفية الاوترقراطية وبقايا القرون الوسطى وتحقيق الحرية السياسية)). أما سيادة البورجوازية كطبقة حاكمة أو حكمها فيمكن بل و يجب إجتنابها وإحلال الديمقراطية الشعبية محلها.

هنا يمكن القول بأن رأسمالية الدولة تقوم بدور تقدمي في ظروف البلدان المتحررة حاليا و يمكن أن تصبح أساسا من أسس البناء الاشتراكي عندما تتسلم الطبقة العاملة زمام السلطة، ولكن رأسمالية الدولة ستصبح بالتدريج الأساس الاقتصادي (البناء التحتي) لسياسة الدولة و لسلطة الدولة البورجوازية الصغيرة (البناء الفوقي) مما يؤدي الى إيجاد نظام اجتماعي بورجوازي البنيان والأسس والى تحويل الحكم الوطني التقدمي الى حكم رأسمالي احتكاري (رأسمالية الدولة) و بالتالي الى حكم إرهابي وتعسفي ضد الجماهير الكادحة (من عمال و فلاحين فقراء وسائر الكادحين) ثم يشرع يفقد صفته الوطنية التقدمية جرَّاء تفاقم تناقضاته مع هذه الجماهير وخاصة عندما

يشتد الصراع بينهما وتخف تناقضات الحكم مع الامبريالية الدولية أو عندما تبدل هذه الإمبريالية أساليبها وتلتف على الحكم بأساليب شيطانية جديدة و بأساليب الإستعمار الجديد والمتاجرة والتعامل الاقتصادي. إذن فان مستقبل رأسمالية الدولة هو الدكتاتورية التعسفية الارهابية ضد الجماهير الشعبية الكادحة، هوالحكم الدكتاتوري الشبيه بالفاشية داخليا و فقدان الاستقلال الوطني والارتباط بالدول الكبرى الإمبريالية دوليا.

لذلك يجب النضال من أجل الديمقراطية الشعبية باعتبارها الحكم التقدمي البديل عن الحكم البورجوازي الوطني والحكم البورجوازي الصغير الوطني التقدمي. لذلك تحتم الاشتراكية العلمية الوقوف ضد إدعاءات مقولة التطور اللارأسمالي بصدد إمكانية بناء الاشتراكية دون قيادة الطبقة العاملة التي تعتبرها الاشتراكية العلمية بانية النظام الاشتراكي وقائدة الثورة الاشتراكية التي يستحيل دون دكتاتورية البروليتاريا ضمان إنتصارها. وهنا تبرز أهمية وصية لينين القائلة بضرورة:-

((النضال الحازم ضد صبغ التيارات التحررية الديمقراطية البورجوازية في البلدان المتأخرة بالصبغة الشيوعية)). أود أن اشير هنا - ولوعرضا - بأن ذكر هذه الحقائق لا يعني الدعوة الى شن الحرب الفورية على هذه الأنظمة الوطنية التقدمية – كما يفعل المصابون بداء التسرع اليساري - بل يقصد ببيان هذه الحقائق ما يلي:

أولاً : ضرورة كشف حقيقة هذه الأنظمة والطبقة التي تمثلها وتعبر عن مطامحها، ومعرفة عجزها و قصورها عن إنجاز مهام ثورة التحرر الوطني الديموقراطي، هذه المهام التي لا تتحقق الا بالديمقراطيةالشعبية.

ثانياً: إدراك المخاطر والاشرار التي توجدها هذه الأنظمة لحركة الجماهير الشعبية الثورية المناضلة في سبيل إنجاز جميع مهام مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي، خاصة لأن هذه الأنظمة التقدمية تعرض نفسها كبديلة للديمقراطية الشعبية أو الاشتراكية.

ثالثاً : وجوب اتخاذ موقف مبدئي صحيح من هذه الأنظمة الوطنية التقدمية، قائم على تأييد ودعم كفاحها ضد الإمبريالية والصهيونية والاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية من جهة، وإنتقاد نواقصها وكشف عيوبها والنضال ضد هذه النواقص والعيوب من جهة اخرى. وهذا يعني ممارسة و تطبيق مبدأ الاتحاد والصراع معا بملاحظة التناقض الرئيسي مع الامبريالية والاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية وبمعرفة التناقضات الاخرى أيضاً،

ولكن حتى حينما ندعو الى الاتحاد مع البورجوازية الصغيرة في النضال ضد الإمبريالية والصهيونية والاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية يجب ملاحظة حقيقة هامة، هي أن البورجوازية الصغيرة الحليفة الموضوعية للطبقة العاملة في النضال ضد هؤلاء الأعداء تتبدل بعد ما تستولى على السلطة وبالتالي تختلف البورجوازية الصغيرة الحاكمة عن غير الحاكمة. فهي قبل استلام السلطة طرف ثوري يسهل مهام الكفاح المشترك، ولكن حينما تستولي على الحكم و تفرض دكتاتوريتها تشرع بعرقلة الكفاح الموحد والجبهة المتحدة، و حينما تحجب الحريات الديمقراطية تشرع بعرقلة إنطلاقة الجماهير الكادحة و بالتالي تنتقل من مركز حليف موضوعي ثوري الى موقف مزدوج، حليف في الكفاح العام، ومعارض (مضاد) في المجال الوطني، مجال الكفاح الطبقي الداخلي لأنها تضع نفسها(على رأس حكمها) في مواجهة الجماهير الكادحة وإنطلاقاتها الثورية فتوجد بذلك تناقضا مع الجماهير الكادحة يتحول تدريجيا الى تناقض عدائي و ذلك في سير الثورة نحو أهدافها في الديمقراطية الشعبية. وهذا هو الاختلاف الأساسي بين البورجوازية الصغيرة الحاكمة والبورجوازية الصغيرة المحكومة.

رابعاً: وجوب إيجاد طليعة ثورية حقيقية للعمال والفلاحين الفقراء و سائر الكادحين والمثقفين الذين يربطون مصيرهم بهم، طليعة مزودة بنظرية الطليعية، مسلحة بالنظرية الاشتراكية العلمية وتحفظ إستقلالها الفكري والتنظيمي والسياسي في كل الظروف والأحوال وترفض بحزم وصرامة دعوة التحريفية المعاصرة الى حل تنظيماتها للأندماج في تنظيم شعبـي واسع. بل تناضل لتقود الجماهير الشعبية في درب النضال الثوري من أجل الديمقراطية الشعبية، عن طريق خلق تحالف العمال والفلاحين كأساس راسخ لجبهة وطنية تقدمية تضم أيضاً البورجوازية الصغيرة والقسم التقدمي من البورجوازية الوطنية.

أن وجود الحزب الطليعي الثوري المسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية و إيجاد الجبهة الوطنية المتحدة بقيادة الطبقة العاملة و إعتماد الكفاح الشعبـي المسلح سبيلا للنضال و للتحرر شروط رئيسية ثلاث لنجاح الثورة الوطنية الديمقراطية يستحيل بدونها إنجاز مهامها وتحقيق أهدافها.

وهذا يعني ضرورة رفض دعوات البورجوازية الصغيرة للحزب الواحد أو الاتحاد الاشتراكي كبديل للحزب الطليعي. وازاء إصرار قيادة البورجوازية الصغيرة التقدية على

التنظيم الواحد، من الواجب طرح شعار الجبهة الوطنية التقدمية مع إبداء المرونة الكافية لايجاد الجبهة باشكال متنوعة. مثلا تقبل الطليعة الثورية للطبقة العاملة الدخول في جبهة التحرر الوطني اثناء النضال المسلح مع الاحتفاظ بتنظيمه واستقلاله الأيديولوجي داخلها. أو عندما يكون الحزب الطليعي يافعا وصغيرا يطرح فكرة الدخول في الاتحاد الاشتراكي كعضو محتفظ باستقلاله الايديولوجي والتنظيمي شريطة المساهمة في قيادة الاتحاد الاشتراكي و رسم خططه و سياسته. ولكن التبعية الفكرية و التنظيمية والسياسية للبورجوازية الصغيرة التقدمية، تعتبر خيانة مبدئية و إرتداد عن الاشتراكية العلمية و تنفيذا لأوامر التحريفية.

لأن حل الحزب الطليعي الثوري لدمجه في تنظيم شعبـي عريض فضفاض هو بمثابة نزع الطبقة العاملة من سلاحها الأيديولوجي والتنظيمي وتركها تحت رحمة البورجوازية، وبالتالي فهو التحريفية بقضها وقضيضها، هو المساومة الأنتهازية على المباديء، بل هو التنكر و الجحود لأهم الأفكار الاشتراكية العلمية ولأهم النظريات الثورية، كما هو إعلان بالاستسلام للبورجوازية الصغيرة. وهذا هو الخيانة الصريحة والمكشوفة للطبقة العاملة.

وبالنسبة للحركة الوطنية الديمقراطية فأن حرمانها من الحزب الطليعي الثوري يعني إضعافها كثيرا، يعني حرمانها من أصلب قوة صدامية منظمة وسيؤدي ذلك في المدى البعيد الى إجهاض الثورة الوطنية الديمقراطية والى إفشال النضال من أجل الديمقراطية الشعبية، كما يعني إرباك النضال الوطني و دفعه في متاهات الضياع والفقدان بابعاده عن سبيل الجبهة الوطنية المتحدة التي يشمل تحالف العمال و الفلاحين أساسها الصلد و التي يمكن ضمان النجاح والإنتصار في الثورة الوطنية الديمقراطية بها إذا كانت جبهة واسعة تضم العمال و الفلاحين و البورجوازية الصغيرة والمراتب التقدمية من البورجوازية الوطنية، شريطة أن تكون تحت قيادة الطبقة العاملة و طليعتها الثورية.

التسرع اليساري البورجوازي الصغير في الدعوة الفورية الى الاشتراكية في البلدان المتأخرة

يبقى موضوع التسرع اليساري البورجوازي الصغير الذي يظهر بمظهر ((التروتسكية الجديدة)) أو ((الدوبروية)) أو ((اليسار الجديد)) والذي يدعو الى تخطى الديمقراطية الشعبية والشروع الفوري بالثورة الاشتراكية في البلدان المتأخرة التي تجتاز مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي.

أن الطيبين من هذه المجموعات المصابة بمرض التسرع اليساري هذا لا يفهمون الثورة كظاهرة اجتماعية لها مستلزماتها و تطوراتها و قوانينها و مراحلها، لا يفهمون الثورة كحادثة اجتماعية موضوعية تنبثق من ضرورات التطور الاجتماعي لازاحة العراقيل أمام التطور الاجتماعي الحتمي و للاسراع في إجراء هذا التطور الذي لابد له أن يمر في مجراه التاريخي الطبيعي. كما لا يفهمون الثورة الاشتراكية و طبيعتها و مستلزماتها و يعتقدون أن الثورة يمكن إيجادها ((غب الطلب)) وأن طبيعتها يمكن تحديدها حسب ((الاهواء الطيبة)) و((الاماني النبيلة)) والرغبات الخاصة لفئات ثورية أو مجموعات مناضلة أو جموع الثائرين. فهم ينسون أن المجتمع البشري يتطور وفق قوانين موضوعية لا دخل لارادة الأفراد في خلقها بل أن البشر يستطيعون فقط فهم و إستبعاب هذه القوانين واستعمالها لمصلحة الاسراع في التطور الاجتماعي. ولكن نضال البشر التقدمي بما فيه الثورة المسلحة هو في نطاق هذه القوانين و لتطبيقها و لتنفيذ أحكامها وازاحة العراقيل والمعوقات التي تعترضها الطبقات الاستغلالية والرجعية، ولايدرك هؤلاء حقيقة أن الاشتراكية كنظام إقتصادي إجتماعي و سياسي يقوم على أسس مادية وتتحقق في درجة معينة من التطور الإقتصادي والصناعي والاجتماعي والفكري. فلبناء الاشتراكية ينبغي خلق مستلزماتها واسسها المادية والفكرية و إيجاد الأداة القادرة على البناء والظروف الصالحة لبناء الاشتراكية وهذا ما تقوم به بالضبط الديمقراطية الشعبية.

إن دعاة الاشتراكية الفورية هؤلاء ينسون حقيقة الثورة الوطنية الديمقراطيةو طبيعتها البورجوازية الديمقراطية و يجهلون ضرورة إنجاز مهام هذه الثورة إنجازا جذريا حاسما كشرط أساسي للأنتقال الى الاشتراكية. وهم يتناسون و يتخطون الحقائق العلمية والموضوعية التالية:

أولاً: إن الحركة الوطنية التي تمثل الثورة الوطنية نضالها المتصاعد والمشتد - باعتبار الثورة أرقى أشكال الكفاح - هي في جوهرها حركة بورجوازية كما يصفها لينين ((لأن الجمهور الأكبر من السكان في البلدان المتاخرة يتألف من الفلاحين الذين يمثلون العلاقات الرأسمالية البورجوازية)) ص٥٦ من المجلد ٣ الجزء الثاني من المختارات. و هذه حقيقة موضوعية لابد من مراعاتها حينما نريد تطوير المجتمع وفق قوانين التطور الى أمام نحو الاشتراكية. فعن طريق إنجاز هذه المهمة الديمقراطية البورجوازية التي تتجسد في تحرير الوطن وتحقيق الحرية السياسية والقضاء على الاقطاعية و بقايا القرون الوسطى، يمكن التقدم نحو الاشتراكية.

ثانياً: إن القضية الوطنية هي في جوهرها مسألة الفلاحين وإن الفلاحين في اسيا يمثلون ((هذه البورجوازية الآسيوية التي ما تزال قادرة على إنجاز عمل تقدمي تأريخي))، وهم الذين يشكلون الجيش الأساسي للحركة الوطنية و بدونه لا يمكن إيجاد حركة وطنية قوية. والمطلب الأساسي للفلاحين هو الحصول على الأرض و تقسيم الأراضي أي تحقيق إصلاح زراعي جذري وهو إنجاز ديموقراطي بورجوازي في جوهره و ليس إنجازا اشتراكيا. ولذلك فأن كسب الفلاحين الى جانب الثورة يتوقف على تبني الثورة لهدفهم العتيد هذا في الحصول على الأرض وفي إثارة مشاعرهم الوطنية مما يقتضي أن لاتخرج الثورة عن طبيعتها البورجوازية الديمقراطية. كما لا يمكن تطوير المجتمع الى أمام بدون تحطيم العلاقات الاقطاعية واطلاق العنان لنمو القوى الأنتاجية الجديدة في الريف، وهكذا تظل الثورة ذات طبيعة ديمقراطية بورجوازية حتى في سيرها نحو الاشتراكية حينما تقودها البروليتاريا و تنجز مهامها الديمقراطية لتسرع في تحويلها الى ثورة اشتراكية عبر الديمقراطية الشعبية.

وعن ضرورة إستجابة الثوريين الطليعيين لمطاليب الفلاحين وعدم إمكانية تجاهلها او تبديلها بمطاليب أكثر ثورية أو تقدمية في غير أوانها، يجدر الاستشهاد بلينين

والإستماع الى تقديره الدقيق لهذه المسألة حتى غداة الثورة الاشتراكية إذ يقول:

((إن البلاشفة إذ طبقوا قانون جعل ملكية الأرض ملكية اجتماعية - وروح هذا القانون هو شعار التمتع المتساوي بالأرض- قد أعلنوا بمنتهى الدقة والوضوح: هذه الفكرة ليست فكرتنا ونحن لا نوافق على شعار كهذا ولكننا نرى من واجبنا أن نطبقه ما دام مطلب الاغلبية الساحقة من الفلاحين. والحال أن أفكار ومطاليب أغلبية الشغيلة إنما ينبغي أن يتخلوا عنها بأنفسهم فلا يجوز «الغاؤها» ولا «القفز» من فوقها، ونحن البلاشفة سنساعد الفلاحين على التخلي عن الشعارات البورجوازية الصغيرة على الأنتقال بأسرع و أسهل مايمكن الى الشعارات الاشتراكية)) ص١٧٨ من المجلد ٣ الجزء ١ الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي.

ثالثاً: إن التحالف بين العمال والفلاحين هو شرط رئيسي لإنتصار الثورة (في البلدان المتخلفة خصوصا») وهو شرط رئيسي في الثورتين الديمقراطية والاشتراكية. وإذا علمنا إنه ((في التحالف بين البروليتاريا والفلاحين بوجه عام يتجلى طابع الثورة البورجوازي لأن الفلاحين بوجه عام يتألفون من منتجين صغار يقفون على صعيد الأنتاج البضاعي)) كما يقول لينين، فيتوضح لنا وجوب قيام الثورة بإنجاز مهماتها الديمقراطية البورجوازية كشرط لتحولها الى ثورة اشتراكية و بالتالي يتوضح لنا إستحالة تخطي مهماتها الديمقراطية والشروع الفوري بالثورة الاشتراكية.

يجدر بنا الرجوع الى لينين لمعرفة الحقائق عن طبيعة الأنقلاب الديمقراطي و حتميته وكيفية تحويله الى إنقلاب اشتراكي. يقول لينين:

((إن الإنقلاب الديمقراطي إنقلاب بورجوازي. وشعار التقسيم الأسود او شعار الأرض و الحرية - وهو أوسع الشعارات أنتشارا بين جماهير الفلاحين الجاهلة والمستعبدة ولكنها تسعي بشغف وراء النور والسعادة - شعار بورجوازي. غير أننا نحن الماركسيين يجب علينا أن نعرف إنه ليس هناك ولا يمكن أن يكون هناك للبروليتاريا والفلاحين الا سبيل واحد الى الحرية الحقيقية هو سبيل الحرية البورجوازية والتقدم البورجوازي. وينبغي لنا أن لاننسى أن ليست هناك اليوم ولا يمكن أن تكون الا وسيلة واحدة لتقريب الاشتراكية وهي الحرية السياسية التامة والجمهورية الديمقراطية وديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية. ونحن بوصفنا ممثلي الطبقة الطليعية،

الطبقة الثورية الوحيدة، الثورية بلا تحفظ، بلا تردد، بلا نظرة الى الوراء، يترتب علينا أن نضع أمام الشعب كله مهمات الأنقلاب الديمقراطي بأكثر ما يمكن من الاتساع و الجرأة والمبادرة. واستصغار هذه المهمات أنما يعني في حقل النظرية تحويل الماركسية الى كاريكاتور و تشويهها على طريقة التافهين الضيقي الافق و يعني في حقل السياسة العملية تسليم قضية الثورة الى أيدي البورجوازية التي ستنصرف عن إنجاز الثورة الى النهاية)) ص١١٩ من المجلد ١- الجزء /٢ من المختارات. وهنا يجب التوقف للتأكيد على النقطتين الاتيتين:

اولاً: يمكن و يجب تخطي حكم البورجوازية في الثورة الديمقراطية، إذ يجب أن تقود البروليتاريا الثورة وأن يكون الحكم المنبثق عنها دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطيةالثورية. هذه الدكتاتورية التي هي في عصرنا دكتاتورية الشعب الديمقراطية الثورية بقيادة الطبقة العاملة وهي السلطة الديمقراطية الشعبية. لقد برهنت الثورة الصينية التي رفعت في فترة الثورة الزراعية شعار دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية حقيقة هامة هي أن الشعوب المظلومة في البلدان المتخلفة تحتاج الى الديمقراطية الشعبية كما بينا في سياق هذا البحث أثناء الكلام عن تحويل الثورة الوطنية الديمقراطية الى الثورة الديمقراطية الشعبية.

ثانياً: لايمكن ولا يجب تخطي مهمات الأنقلاب الديمقراطي بل يجب وضعها كلها أمام الشعب باكثر ما يمكن من الاتساع وإجراء المبادرة لأن إستصغار هذه المهمات يعني تحويل الماركسية الى كاريكاتور و تسليم قضية الثورة الى البورجوازية. وهذا يعني وجوب الاستفادة من تجربة البلاشفة في هذا المضمار أيضاً وإستظهار نصيحة لينين عن ظهر قلب وخاصة قوله الرائع الاتي:

((إن البلاشفة هم الذين ميزوا تمييزا دقيقا بين الثورة البورجوازية الديمقراطية والثورة الاشتراكية: فبالسير بالاولى الى النهاية فتحوا الباب للثانية، وتلك هي السياسة الثورية الوحيدة، السياسة الماركسية الوحيدة.)) ص ١٨١ من المجلد ٣- الجزء / ١ الثورة البروليتارية و المرتد كاوتسكي.

إذن يجب التمييز الدقيق بين الثورتين الديمقراطية والاشتراكية وعدم الخلط بينهما، بين مهماتهما أبدا. ومنذ القديم حذر فردريك أنجلز في رسالة الى توراتي ((بأن

لا يخلط بين الثورة الديمقراطية والثورة الاشتراكية)). كما أشار ماركس في حديثه عن القوى الرئيسية الثلاث في ثورات القرن التاسع عشر الى حقيقة أن ((البورجوازية الكبيرة الليبرالية تخوض النضال في سبيل الملكية الدستورية فقط)) وأن ((البورجوازية الصغيرة الراديكالية تخوض النضال في سبيل الجمهورية الديمقراطية)) وأن ((البروليتاريا تخوض النضال في سبيل الأنقلاب الاشتراكي)). لذا فقد حذر ماركس من أن ((الافلاس السياسي يتهدد الاشتراكي الذي يخلط بين النضال البورجوازي الصغير في سبيل الأنقلاب الديمقراطي الكامل وبين النضال البروليتاري في سبيل الثورة الاشتراكية.)). ويعلق لينين قائلا:

((إن تحذير ماركس هذا صحيح اطلاقا)). ثم يصوغ لينين في عهد الثورة الديمقراطية التي يصر و يلح على وجوب قيادة البروليتاريا لها - يصوغ إنسجاما مع معطيات نصائح ماركس، يصوغ شعار ((دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديمقراطية الثورية)) الذي يقول أنه: ((يضمننا تماما من الوقوع في هذا الخطأ. فإن شعارنا يقركشيء أكيد بالطابع البورجوازي الذي تتصف به ثورة تعجز عن الخروج مباشرة من نطاق الأنقلاب الديمقراطي الصرف، و يهدف هذا الأنقلاب المعين الي الأمام ويقصد جهده أن يعطي هذا الأنقلاب أفضل الأشكال الملائمة للبروليتاريا وهو يقصد بالتالي أن يستخدم الأنقلاب الديمقراطي الى أقصى حد بغية تأمين النجاح على وجه أفضل لنضال البروليتاريا المطرد في سبيل الاشتراكية)). راجع لينين المؤلفات المختارة - المجلد ١- المجلد /ص٩٠ أو ص٩١.

وإذا كان التطور باتجاه الاشتراكية - وتخطيا للرأسمالية - ممكنا في بعض البلدان الشرقية من الاتحاد السوفيتي في كنف الدولة السوفياتية و بمساعدة الشعب الروسي العظيم بعد ثورة اوكتوبر الاشتراكية العظمى، فأن البناء الفوري للاشتراكية في البلدان المتخلفة المستقلة حديثا أمر مستحيل حتى إذا قادت جبهة وطنية متحدة وبقيادة البروليتاريا الثورة الوطنية المظفرة فحينئذ أيضاً يجب المرور بمرحلة الديمقراطية الشعبية لايجاد الأسس المادية والاجتماعية والسياسية والثقافية للاشتراكية.

أن الاشتراكية لا تبنى بالتمنيات الطيبة والمقاصد النبيلة بل لابد من إيجاد مستلزماتها عبر الديمقراطية الشعبية. فلابد من القيام بالتحويلات السياسية الديمقراطية كالقضاء على الأوتوقراطية وحكم الإقطاع والعمالة وتحقيق التحرر الوطني والحرية السياسية

كالقيام بالاصلاح الزراعي وتطهير المجتمع من بقايا القرون الوسطى. وكل هذه التحويلات هي منجزات ديمقراطية بورجوازية في جوهرها تقوم بها الديمقراطية الشعبية بشكل أحسن و أكثر جذرية وأحسم وأسرع. فمنذ القديم بين لينين حقيقة ((أن النضال من أجل الأرض والحرية هو نضال ديمقراطي بينما النضال لدك سلطان الرأسمال هو نضال اشتراكي)). وبدون الدعوة الى إجراء هذه الإصلاحات الديمقراطية لايمكن كسب الفلاحين وجمهرة غفيرة من البورجوازية الصغيرة في المدن وهؤلاء يشكلون الاغلبية الساحقة في البلدان المتأخرة وحيث الطبقة العاملة ضعيفة عدديا ونوعيا ومتأخرة سياسيا في أغلب الاحيان. إذ كيف يمكن بدون كسب الفلاحين عن طريق تحقيق مطاليبهم وحلمهم القديم في الحصول على الأرض كيف يمكن تشكيل الجيش الأساسي للثورة الوطنية الديمقراطية؟ وممارسة أسلوب الحرب الشعبية المنطلقة من الريف أو تأسيس القواعد الثورية في الريف المتحرر تمهيدا لتحرر المدن المطوقة؟ أوكيف يمكن بدون كسب البورجوازية الصغيرة في المدن تحقيق الجبهة الوطنية؟ وهذه كلها متطلبات إشعال الثورة وإنجاحها. ثم كيف يمكن بدون الحرية السياسية والاصلاح الزراعي وتصنيع البلاد وتحرير النساء من القيود الرجعية وتثقيف الناس القيام بالبناء الاشتراكي؟ وإذا زعم بعضهم أن إنجاز هذه المهمات الديمقراطية يعني ارجاء الاشتراكية فأننا نرد عليهم بقول لينين ((جوابا على الإعتراضات الفوضوية الزاعمة اننا نرجئ الأنقلاب الاشتراكي)) هذا القول الرائع التالي:- ((اننا لا نرجئه انما نخطو الخطوة الاولى نحوه بالوسيلة الممكنة الوحيدة وبالطريق القويم الوحيد أي بطريق الجمهورية الديمقراطية)) لأنه كما يقول لينين بحق ((فإن من يريد السير الى الاشتراكية بطريق آخر خارج الديمقراطية السياسية يصل حتما الى استنتاجات خرقاء ورجعية سواء بمعناها الاقتصادي أم بمعناها السياسي.))

إذن فإن الدعوة الخاطئة الى تخطي مهمات الثورة الديمقراطية والشروع الفوري بالثورة الاشتراكية قبل أوانها وفي عهد الثورة الوطنية الديمقراطية هي دعوة قديمة تتجدد الآن و تظهر بشعارات براقة جديدة بذريعة التحولات في الأوضاع الدولية وبذريعة التطوير الخلاق للماركسية.

وقد ظهرت في الصين قبل الحرب العالمية الثانية دعوة الى ((الثورة الواحدة)) قائلة بوجوب تحقيق الثورتين الديمقراطية والاشتراكية بضربة واحدة اي بخلط مهمات ومفاهيم الثورتين والزعم بامكانية تحقيق الاشتراكية فورا و دون المرور بمرحلة الثورة الديمقراطية الجديدة. وعن الطيبين من دعاة ((الثورة الواحدة)). يقول ماوتسي تونگ في بحثه (حول الديمقراطية الجديدة) نص ما يلي:

((بيد أن ثمة اناسا اخرين لا يحملون نوايا سيئة فيما يبدو و لكن قد ضللتهم نظرية الثورة الواحدة والفكرة الذاتية المحضة القائلة – بتحقيق الثورة بضربة واحدة في المجال السياسي والاجتماعي ـ وهم لا يفهمون أن الثورة تنقسم في سيرها الى مراحل وأنه لايمكننا أن نصل الى المرحلة التالية من الثورة الا بعد إنجاز المرحلة الأولى، فلا يوجد ما يسمى (تحقيق الثورتين بضربة واحدة). و وجهة النظر هذه لشديدة الضرر أيضاً لانها تخلط الخطوات الواجبة إتخاذها في الثورة وتضعف الجهد الموجه نحو تحقيق المهمة الراهنة)).

((أنه لصحيح و متفق مع النظرية الماركسية حول تطور الثورة أن نقول عن المرحلتين الثوريتين أن أولاهما توفر الشروط اللازمة للثانية. وأنه لا بد أن تكونا متتابعتين دون السماح بأن تتخللهما مرحلة دكتاتورية البورجوازية)).

((أما الادعاء بأن الثورة الديمقراطية ليست لها مهمتها المحددة ولا مرحلتها الخاصة وأنه من الممكن في الوقت الذي تتحقق فيه مهمة الثورة الديمقراطية، تحقق مهمة اخرى لا يمكن القيام بها الا في فترة اخرى مثل مهمة الثورة الاشتراكية فذلك يترجم فكرة (تحقيق الثورتين بثورة واحدة) و هي لفكرة طوباوية يرفضها الثوريون الحقيقيون)).

إذن فالديمقراطية الشعبية ضرورية للتمهيد للاشتراكية و ذلك لأن إجراء الاصلاحات الديمقراطية بصورة أكثر جذرية و تقدمية مما تقوم به البورجوازية وخاصة في ميادين الإصلاح الزراعي والتصنيع وتنظيم التجارة الخارجية ومحاربة الاحتكارية هو من المستلزمات الأساسية للبناء الإشتراكي. والثورة الديمقراطية الجديدة التي تقودها الطبقة العاملة و طليعتها الثورية هي التي تستطيع توعية الفلاحين و زجهم في النضال بتحالف وثيق مع العمال وسائر الكادحين، مما يعتبر شرطا سياسيا أساسيا للأنتقال الي

الاشتراكية. ولايمكن الأنتقال الى الاشتراكية ما لم يتم تحقيق الهدفين الأساسيين للثورة الوطنية الديمقراطيةو هي :-

١- القضاء على الامبريالية التي تعيق التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي.

٢- القضاء على الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية اللتين تعيقان تطور القوى المنتجة وتطور الاقتصاد الوطني ونمو القوى الشرائية والعاملة في المدينة والريف وتمنعان تشييد البنيان الاقتصادي للنظام الاشتراكي.

فالاختلاف مع هذه الفئة الداعية الى تحقيق الثورتين بضربة واحدة ليس مرده الرغبة في اقامة النظام الاشتراكي أم لا. إذ أن اقامة الاشتراكية هي الهدف الستراتيجي للثورة الديمقراطية الجديدة التي ستتحول الى ثورة اشتراكية حالما تنتهي من إنجاز مهمات الديمقراطية و دون التوقف عندها، كما هي الهدف الستراتيجي الذي تناضل الأحزاب الماركسية اللينينية من أجله ولكن عبر الديمقراطية الشعبية بالنسبة للبلدان المتخلفة و الشبه المستعمرة أو المستعمرة في اسيا وأفريقيا و أمريكا اللاتينية.

وغلطة الشروع الفوري بالدعوة الى الثورة الاشتراكية في البلدان المستعمرة أو الشبه المستعمرة ذات المجتمعات شبه الاقطاعية تظهر بجلاء لو أدركنا أن جوهر الثورة الاشتراكية هو دك سلطان الرأسمال واسقاط الرأسمالية واقامة دكتاتورية البروليتاريا مع ما يرافق ذلك من تأميمات و تحويل الفلاحين الى شغيلة على أرض يملكها المجتمع وبأدوات إنتاج مؤممة يملكها الشعب. بينما توجه مثل هذه البلدان مهمات تحرر الوطن والقضاء على الامبريالية والإقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية وما يرافق ذلك من توزيع للأراضي على الفلاحين في اصلاح زراعي جذري وتصنيع البلاد وتطوير القوى المنتجة و تثقيف الناس، وليست مسألة اسقاط الرأسمالية الوطنية مطروحة على الثورة الا بعد إنجاز مهامها الوطنية والديمقراطية أي غداة الأنتقال الى الثورة الاشتراكية عن طريق تطوير الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية التي تخلق مستلزمات البناء الاشتراكي أيضاً.

لذلك فعبر الديمقراطية الشعبية وحدها يمكن التقدم نحو الاشتراكية، نحو البناء الفعلي للاشتراكية ولا بديل عن ذلك. وعدا عن ما تقدم، فإن هذه المجموعات

((اليسارية)) ترتكب أخطاءا فظيعة ((يسارية المظهر)) ولكنها يمينية الجوهر كأنكار دور الطبقة العاملة الطليعي في الثورتين الديمقراطية والاشتراكية وإناطة هذا الدور بالطلبة أو المثقفين الثوريين أو بالفلاحين أو ((بالمجموعة الثورية المسلحة)) متناسية حقيقة أن الطبقة العاملة وحدها تستطيع أن تقود الثورة الوطنية الديمقراطية الى نهايتها المظفرة الى الديمقراطية الشعبية فالاشتراكية، و أن الاشتراكية هي نظام الطبقة العاملة التي تبنيها وتقودها ونظامها السياسي هو دكتاتورية البروليتاريا.

كذلك تنكر هذه المجموعة ((اليسارية)) ضرورة وجود حزب طليعي ثوري مسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية (الماركسية اللينينية) ولا تعير مسألة الحزب أهمية كبرى. بينما اثبتت تجارب نضالات الشعوب المناضلة في سبيل التحرر الوطني الناجز أن لا بد من وجود حزب طليعي ثوري من طراز جديد، حزب يجمع في صفوفه خيرة العناصر العمالية والفلاحية والمثقفة الثورية ويهتدي في نضاله بالنظرية الماركسية اللينينية ويبني تنظيماته على أسس المركزية الديمقراطية والنقد والنقد الذاتي ويمارس اسلوب الكفاح الجماهيري الثوري واسلوب استنهاض وتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الشعبية الغفيرة باعتبارها القوة الرئيسية القادرة على إنجاز مهمات التحرر الوطني الديمقراطي الناجز، اسلوب النضال الجماهيري الثوري المسلح عن طريق الحرب الشعبية الثورية التي تبدأ في الريف وتخلق قواعد ثورية ثم تتطور في خضم نضال مسلح طويل الأمد لتحاصر المدن من الريف تمهيدا لتحريرها. لذلك فأن الأفكار الخاطئة حول ((البؤرة الثورية)) البديلة عن القواعد الثورية التي اثبتت تجارب الصين و فيتنام و كوريا صحتها لاتلحق الا الاضرار بالثورة.

أن الحزب الطليعي المنبثق من صميم الجماهير الشعبية والمعتمد في نضاله على قوى هذه الجماهير الشعبية وطاقاتها الثورية الهائلة والسائر في نضاله على هدي النظرية الماركسية اللينينية والممارس لاسلوب النضال الثوري، اسلوب الحرب الشعبية الثورية هو وحده القادر على قيادة نضالات الشعب في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي لإنجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية ثم تطوير هذه الثورة الى ثورة اشتراكية. يقول الرفيق ماوتسي تونگ:

((يجب أن يكون هناك حزب ثوري ما دمنا نريد الثورة. وبدون حزب ثوري، حزب مؤسس وفق النظرية الماركسية اللينينية الثورية وطبق الأسلوب الماركسي اللينيني الثوري تستحيل قيادة الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب والسير بها الى الإنتصار على الإمبريالية وعملائها.))

أما الأحزاب الوطنية أو التقدمية أو القومية البورجوازية فليست قادرة على قيادة الثورة وإنجاز مهامها الديمقراطية والوطنية حتى إذا تصدرت النضال الوطني لفترة معينة من الزمن طالت أو قصرت. فمثل هذه الأحزاب عاجزة تاريخيا عن الاضطلاع بهذه المهمة التاريخية النبيلة التي أوكل التاريخ الى الأحزاب الطليعية بدور القيادة لإنجازها.

أن إلقاء نظرة على تاريخ الشعوب العربية والكردية والايرانية تثبت لنا حقيقة أن عدم وجود حزب طليعي ثوري قوى قادر على إستنهاض وتوعية وتنظيم الجماهير الشعبية و قيادتها هو السبب الرئيسي لاخفاق الثورة الوطنية الديمقراطية لهذه الشعوب في تحقيق أهدافها الوطنية والديمقراطية معا.

إذن فعلى جميع العناصر الواعية و المناضلة من العمال و الفلاحين والمثقفين الثوريين أن تدرك هذه الحقيقة وتستوعب أهمية وجود الحزب الطليعي الثوري وتناضل من أجل إيجاده وتطويره وتقويته كي يقوم هذا الحزب الطليعي الثوري باستنهاض وتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير الشعبية ويؤلف الجبهة الوطنية المتحدة تحت قيادته ويخوض في مقدمة الجماهير النضال الثوري المسلح، باسلوب الحرب الشعبية الثورية من أجل إنجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ولاقامة الديمقراطية الشعبية ثم الاشتراكية في البلاد.

و يجب أن يبعد الثوريون الحقيقيون عن أذهانهم و تفكيرهم جميع الأوهام والخيالات والامنيات عن قدرة الأحزاب القومية البورجوازية – الصغيرة أم الكبيرة – على قيادة الثورة التحررية القومية وعلى إنجاز مهام الثورة القومية والديمقراطية. والخلاصة فإن الاسلحة الرئيسية التي يحرر بها الشعب و تحقق بها أهداف ومهمات الثورة الوطنية الديمقراطيةهي ثلاث:

((حزب قوى النظام مسلح بالنظرية الماركسية اللينينية يستخدم اسلوب النقد

الذاتي ويرتبط بجماهير الشعب، و جيش يقوده مثل هذا الحزب، و جبهة متحدة تضم مختلف الطبقات الثورية والجماعات الثورية ويقودها مثل هذا الحزب، هذه هي الاسلحة الرئيسية الثلاث التي تنتصر بها على العدو.))

هذه هي الحقيقة، هذه هي الطريق الى التحرر والديمقراطية الشعبية والاشتراكية. وعن طريق استحصال هذه الأسلحة الثلاثة فقط يمكن تحرير الوطن وإنجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ومن ثم تحويلها الى اشتراكية. وبدون هذه الأسلحة الثلاث لن يستطيع الشعب تحقيق أهدافه الوطنية والديمقراطية الاشتراكية. وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نعرف مدى إنحراف هذه ((المجموعات اليسارية)) عن جادة النضال الثوري المفضي الى النصر وكيف انها تحمل (أوهام ثورية) وتسعى الى تحميل المجتمع كله مهام طوباوية في غير أوانها وترفع شعارات مخالفة للواقع الموضوعي وللظروف المادية أي انها تضع الرغبة والامنية الطيبة في محل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعي.

وإذا كانت الوقائع وتجارب نضالات الشعوب تبرهن لنا كون الثورة الوطنية الديمقراطية في عصرنا ثورة ديمقراطية شعبية فلا بد من معرفة مواقف الطبقات الاجتماعية منها لإدراك وفهم أدوارها فيها ومعرفة الطبقة التي تستطيع أن تمارس دور القيادة والطبقة التي تؤلف القوى الرئيسية والطبقة والفئات الاجتماعية التي تمثل دور الحليف والمساعد في هذه الثورة الوطنية الديمقراطية الجديدة.

مواقف الطبقات الاجتماعية
من الثورة الوطنية الديمقراطية

ينقسم المجتمع الذي يواجه الثورة الوطنية الديمقراطية (وهو مجتمع شبه إقطاعي ومستعمر أو شبه مستعمر غالبا) الى الطبقات الاجتماعية التالية: العمال والفلاحون ومراتب كادحة اخرى، والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية والاقطاعية. هذا فيما عدا بعض المجتمعات البدائية التي ظلت في مرحلة تاريخية متأخرة حيث لا توجد الرأسمالية الحديثة مثلا ومع ذلك فهي تتأثر بمد الثورة العالمي أو الحركات الثورية المجاورة وتتفاعل مع عوامل ذاتية فيشرع مناضلوها بالكفاح من أجل التحرر من أنيار العبودية الاستعمارية، ولكن الامثلة نادرة . فالمجتمع المنغولي مثلا لم تعرف الرأسمالية الحديثة وبعض المجتمعات الافريقية تتميز باوضاع خاصة، ولكن الغالب الاعم هو وجود هذه الطبقات الخمس بدرجات وكميات ونوعيات متباينة ومختلفة وفي هذه المجتمعات الطبقية تحمل فيها جميع الحركات السياسية والفكرية والاجتماعية راية طبقة معينة حتما، وتحمل الأحزاب والفئات والاشخاص فيها بدون إستثناء طابع طبقة اجتماعية معينة حتى إذا أنكروها لفظيا. وتعتبر مواقفها واتجاهاتها وسياساتها وتدافع عن مصالح طبقة معينة شاءت التصريح بها أم أبت. ومثلما وجد مع الاقطاعية الفلاحون، تخلق الرأسمالية الحديثة بجانب الرأسماليين البروليتاريا أيضاً، وتظهر في هذه المجتمعات الفئات البورجوازية الصغيرة الحديثة وتنمو الفئات القديمة منها وتكثر بحكم الأنتاج الصغير وتتحدد مواقف هذه الطبقات الاجتماعية المختلفة من الثورة الوطنية الديمقراطية على أساس مصالحها الطبقية وإرتباطاتها بوسائل الأنتاج والعلاقات الإنتاجية وبحكم الضرورات المادية للتطور الاجتماعي وعلى أساس خصائصها الطبقية ومزاياها الاجتماعية وبتاثير التفاعلات الاجتماعية، أما الدوافع الأنسانية والوطنية كحب الخير و حب الوطن والعطف على الفقراء وكره المظالم فتترك فقط تأثيرات فردية على أناس معينين وافراد محدودين من هذه الطبقات وليست على مجموعها كطبقة لا تحركها

الا مصالحها الإقتصادية و أوضاعها الطبقية.

١ – **فالطبقة الاقطاعية** – تتعارض مصالحها مع الثورة الوطنية الديمقراطية التي لا تستهدف التحرر الوطني من ربقة العبودية الاستعمارية فحسب، بل وتستهدف اجراء التطور الرأسمالي أيضاً بما فيه إلغاء الاقطاعية و تحرير الفلاحين. إذ كما يقول لينين ((ليس من شك في أن كل حركة وطنية لا يمكن أن تكون غير حركة بورجوازية ديمقراطية لأن الجمهور الأكبر في البلدان المتأخرة يتألف من الفلاحين الذين يمثلون العلاقات الرأسمالية البورجوازية)) ص٣٦٠، من كتاب حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية – طبعة موسكو العربية.

إذن فالثورة الوطنية تستهدف تصفية العلاقات الاقطاعية والقضاء على طبقة الاقطاع وتحرير الفلاحين من استغلالها لهم و هذا يعني أن الثورة الوطنية ديمقراطية أيضاً من حيث الجوهر. ولكن ديمقراطيتها لا تتكامل الا بإقامة حكم وطني ديمقراطي يوفر الحريات والحقوق الديمقراطية للطبقات والفئات الوطنية كلها إذ أن ديمقراطية الثورة الوطنية تعني:

١– تصفية العلاقات الاقطاعية واستئصال شأفتها وإجراء اصلاح زراعي جذري.

٢ – إسقاط السلطة الممثلة للاقطاع والرأسمالية الكومبرادورية والموالية للامبريالية و تشييد سلطة وطنية على أنقاضها على أن تمثل هذه السلطة الشعب بجميع طبقاته الوطنية التقدمية، لا أن تنفرد بالسلطة طبقة اجتماعية واحدة.

٣ – اطلاق الحريات الديمقراطية وتأمين الحقوق الديمقراطية للشعب. بما فيها المؤسسات التمثيلية المتعددة.

بدون هذه الإنجازات معاً لا تستطيع الثورة الوطنية أن تكون ثورة وطنية ديمقراطية. لذلك فإن الاصلاح الزراعي وبعض الاصلاحات الديمقراطية الاجتماعية الاخرى لا يكفي لإضفاء صفة الديمقراطية الكاملة على هذه الثورات الوطنية. ومالم تصاحبها الحريات الديمقراطيةوالمركزية الديمقراطية في الحكم وما لم يتم تحطيم جميع القيود الاقطاعية والبيروقراطية التي تعرقل أنطلاقة الجماهير الشعبية فسيظل الحكم الوطني المنبثق من الثورة الوطنية حكما وطنيا لا ديمقراطيا حتى إذا كان تقدميا أيضاً من حيث إجراؤه لبعض الإصلاحات التقدمية ومعاداته للاستعمار و الإقطاع.

إن هذا المضمون للثورة الوطنية يجعل الاقطاعية طبقة معادية كما تعادي الاقطاعية مثل هذه الثورة الوطنية الديمقراطية بحكم مصالحها الطبقية و بحكم طبيعة مثل هذه الثورة. ولايبدل من هذه الحقيقة شيئا جوهريا اشتراك عناصر اقطاعية معينة لفترة محدودة في النضال الوطني ضد السيطرة الاجنبية و الاستعمارية. فاثناء تعرض الوطن الى غزو استعماري أو أجنبي ((يخطيء أولئك الناس في حزبنا الذين يتمسكون بالنظرة القائلة بأن كل معسكر طبقتي ملاك الأراضي والبورجوازين موحد وثابت. وأنه لا يمكن في أي حال من الاحوال أن يطرأ عليه أي تبدل. هؤلاء يعجزون عن إدراك خطورة الحالة الراهنة وهم فوق ذلك قد نسوا التاريخ أيضاً)) ماوتسي تونگ، المؤلفات المختارة – الجزء الاول – حول تكتيك مناهضة الإمبريالية اليابانية ص٢٢٨.

ولاستثمار امكانية اشتراك عناصر معينة من الملاكين والحزب المدافع عن مصالحهم في الحرب الوطنية المعادية للغزو الاستعماري فقد تعهدت قيادة الحزب الشيوعي الصيني اثناء العدوان الياباني على الصين ((بالتوقف عن مصادرة أراضي ملاك الأراضي)) وذلك لأنه ((طالما كان حل مسالة الأراضي للفلاحين مشروطا بالدفاع عن الصين فقد أصبح من الضروري تماما أن نتخلى عن اسلوب مصادرة الأراضي بالقوة و نلجأ الى اساليب ملائمة جديدة)) ماوتسي تونگ، ص٣٩٧ المصدر السابق.

وفي البلدان التي تتعرض للعدوان الامبريالي أو للاضطهاد القومي الفظيع تنضم فئة من الاقطاعيين المستنيرين الى الحركة القومية وتساهم بدرجات معينة في النضال القومي التحرري، لذلك يجب كسب هذه الفئة لمصلحة الجبهة الوطنية المتحدة. وحين تشترك هذه الفئة في الثورة الوطنية يجب على القوى الثورية الطليعية أن ترحب بها وتستفيد منها لصالح النضال المعادي للامبريالية و لعزل الأعداء من الداخل عزلا تاما بحيث لا يبقى معهم من أهل البلاد الا القلة القليلة، وكذلك يجب بذل الجهود معا لاقناعهم بتأييد الإصلاح الزراعي لأن تأييدهم يفيد نضالنا ضد الإمبريالية والاقطاعية. يقول الرفيق ماوتسي تونگ ((ينبغي لنا أن لا نتخلى عن الإقطاعيين المستنيرين الذين تعاونوا ولا يزالون يتعاونون الآن معنا، الذين يؤيدون نضالنا ضد الولايات المتحدة و شان كاي شيك ويؤيدون كذلك الاصلاح الزراعي)). و يستطرد قائلا:

((إن رضى عدد ضئيل من الاقطاعيين المستنيرين خلال فترة الاصلاح الزراعي يفيد هذا الإصلاح في كل البلاد وهو بصورة خاصة يساعدنا في كسب المثقفين (غالبية المثقفين الصينين منبثقة من عائلات ملاكين عقاريين أو فلاحين أغنياء)، و البورجوازية الوطنية (أن لمعظم أفراد البورجوازية الوطنية ارتباطات بالأرض) والاقطاعيين المستنيرين في كل البلاد (الذين يعدون مئات الالاف) وفي عزل عدو الثورة الصينية الرئيسي، زمرة ضان كايشك الرجعية)) ص٢٤٤ مؤلفات ماوتسي تونگ المختارة - المجلد الرابع - دار ابن سينا- بيروت.

ومع ذلك فستظل الثورة الوطنية الديمقراطيةضد الإمبريالية والاقطاعية معا.

٢ - البورجوازية الكومبرادورية، وهي: ((بورجوازية تربت في أحضان الرأسماليين من البلدان الإمبريالية وتخدمهم بصورة مباشرة وتربط بين هذه الطبقة والقوى الإقطاعية والمحلية علاقات متشعبة وثيقة)). هي أيضاً طبقة رجعية معادية للثورة الوطنية الديمقراطيةبحكم ارتباطها بالامبريالية - عدوة الثورة الاولى- و بحكم ترابطها الوثيق مع الطبقة الاقطاعية الرجعية أيضاً و بحكم اعتمادها المصيري على الإمبريالية. هكذا نفهم من الحقائق المتقدمة أن الاقطاعية و البورجوازية الكومبرادورية لهما مصالح طبقية معادية للثورة الوطنية الديمقراطيةولهما ارتباطات خيانية مع الامبريالية، وأن ازاحتهما عن الطريق هي من مستلزمات التطور الاجتماعي، ومع ذلك فإن القيادة الثورية الحكيمة تستطيع في ظروف العدوان الامبريالي واشتداد التناقض بين الدول الإمبريالية أن تستفيد من كسب العناصر الكومبرادورية التابعة لدول استعمارية تتعارض مصالحها مع الدولة الاستعمارية المعتدية المعينة. فأثناء العدوان الامبريالي الياباني على الصين تعاونت الطليعة الثورية للشعب الصيني مع عناصر معينة من الكومبرادور التابعين للاستعمارين الامريكي والبريطاني حيث كانت مصالح أسياده الامبرياليين الأمريكان والأنجليز تتعارض مع مصالح الامبريالية اليابانية. وفي ظروف البلدان العربية قد يمكن كسب الكومبرادور التابعين للاستعمار الفرنسي الذي تتعارض مصالحه مع الامبريالية الأمريكية حينما تكون الإمبريالية الأمريكية مستمرة في عدوانها والتناقض الفرنسي

الامريكي ملتهبة. والخلاصة فأن الشعوب الثورية حين تشن اليوم النضال الثوري ضد الامبريالية الأمريكية وكلابها السائبة تستطيع أن تستفيد من التناقضات الكامنة والموجودة بين الدول الإمبريالية الاخرى والامبريالية الاميركية.

ولكن ماذا عن البورجوازية الوطنية ؟

٣- دور البورجوازية الوطنية في الثورة:-

إن مشكلة البورجوازية الوطنية معقدة بسبب تقسيمها الى مراتب كبيرة ومتوسطة ويمينية ويسارية وبسبب تذبذبها الطبقي الحتمي في المواقف وبسبب ضعفها وخصائصها الطبقية الذاتية. فالقشرة العليا للبورجوازية الوطنية ذات ارتباطات بالبورجوازية الكومبرادورية و بالاقطاع والبيروقراطية الحاكمة، لذلك تطرح من القوى الثورية وتضاف الى القوى الرجعية المعادية البيروقراطية من قائمة القوى الوطنية بحكم تعارض مصالحها الخاصة مع مصالح الشعب العامة، ومع الثورة الوطنية الديمقراطية المعادية للاحتكار والبيروقراطية. وفي العراق وبعض البلدان العربية التي شهدت التأميمات وقيام المؤسسات الحكومية بالسيطرة على التجارة الخارجية تبقى المراتب المتوسطة والتقدمية من البورجوازية فقط ضمن الصف الوطني التقدمي.

ولفهم الموضوع جيدا يجدر بنا دراسة موقف البورجوازية الوطنية تاريخيا.

فقد نمت البورجوازية اصلا من رحم المجتمع الاقطاعي كطبقة جديدة تقدمية، وثورية. وقادت الثورات الديمقراطية البورجوازية في فرنسا والولايات المتحدة وبريطانيا و بعض البلدان الأوروبية الغربية. وأسست الأنظمة الديمقراطية البورجوازية البرلمانية التي سرعان ما تحولت الى دكتاتورية طبقية عنيفة في خدمة البورجوازية رغم تغليفها ببراقع حريرية ناعمة من البرلمانية والأنتخابات والحريات.

((في الثورات البورجوازية مثلا في الغرب، كانت البورجوازية تحتفظ بدور القيادة والبروليتاريا تلعب شاءت أم أبت دور المساعد. أما جماهير الفلاحين فتؤلف قوة احتياطية للبورجوازية. وكان الماركسيون يعتبرون هذا التركيب شيئا محتوماً لا مناص منه وكانوا لا يبدون فيه سوى تحفظ واحد هو أن على البروليتاريا أن تدافع قدر الامكان

عن مطاليبها الطبقية المباشرة وأن يكون لديها حزبها السياسي الخاص بها)) ص٣١ من كراس الثورة الديمقراطيةالاولى في روسيا - مكتب المطبوعات الشعبية - بيروت - دمشق ١٩٧.

ولكن نجم البورجوازية كطبقة قائدة حتى في الثورة البورجوازية الديمقراطية قد بدء بالأفول منذ بداية القرن العشرين بعد تحول الرأسمالية الاحتكارية الى استعمار وبعد نمو البروليتاريا وظهور حركتها الثورية المنظمة وأحزابها الطليعية الثورية ومع بزوغ فجر عهد الثورة الاشتراكية البروليتارية مرورا بالثورة الديمقراطية.

((أما الأن في الوضع التاريخي الجديد فتتمثل الدور حسب مفهوم لينين بشكل تصبح معه البروليتاريا هي القوة القائدة للثورة البورجوازية، أما البورجوازية فتبعد عن قيادة الثورة بينما تتحول جماهير الفلاحين الى قوة احتياطية للبروليتاريا)) ص٢١ و ص٣٢ من نفس المصدر السابق.

وكانت روسيا البلد الذي نفى فيه الماركسيون الثوريون بقيادة لينين قدرة البورجوازية على قيادة الثورة الديمقراطية. فقد توصل لينين بثاقب نظره وبعد دراسة عميقة لأوضاع روسيا وظروف عهد الاستعمار - أعلى مراحل الرأسمالية - الى الاستنتاج بأن الثورة الديمقراطية الروسية يجب أن تقودها البروليتاريا لا البورجوازية وأن تكون السلطة المنبثقة عنها ((الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للعمال والفلاحين)) لا الدكتاتورية البورجوازية المغلفة بالبرلمانية الدستورية. إذ بالرغم من أن ((الثورة الجارية هي ذات طابع ديموقراطي بورجوازي و بالرغم من انها لايمكن أن تخرج في الوقت الحاضر عن نطاق الاشياء الممكنة في ظل الرأسمالية فالمؤتمر يعتبر أن إنتهاء هذه الثورة بإنتصار تام كامل هو شيء يهم البروليتاريا قبل غيرها لأن إنتصار هذه الثورة يسمح للبروليتاريا بأن تنظم نفسها وأن ترتفع سياسيا وأن تكتسب تجربة وخبرة عملية في ممارسة القيادة السياسية لجماهير الشغيلة وأن تنتقل من الثورة البورجوازية الى الثورة الاشتراكية.)) حسب تقدير قرار المؤتمر الثالث لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا في اجتماعه بلندن نيسان/١٩٠٥- راجع ص٢١ من نفس المصدر السابق.

لقد شرح لينين تفاصيل هذه الاستنتاجات العبقرية في كتابه المشهور ((خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية)) الذي كتب فيه يقول:- ((أن الماركسية

لا تعلم البروليتاريا بأن تبتعد عن الثورة البورجوازية و تتخذ منها موقف اللامبالاة وتترك قيادتها للبورجوازية، بل هي على العكس تعلمها أن تشترك فيها أنشط اشتراك وأقواه وأن تناضل أشد نضال في سبيل الديمقراطيةالبروليتارية المنسجمة تماما و في سبيل السير بالثورة الى النهاية)) ص٤٩ المختارات / المجلد /١ الجزء - /٢ - الطبعة العربية - موسكو.

وقد وصل لينين الى هذه الحقائق بعد دراسة علمية لطبيعة الطبقة البورجوازية التي هي طبقة مترددة وجبانة وأنانية وبالتالي لأن البورجوازية ليست ثورية وحازمة بالدرجة الكافية لإنجاز مهام الثورة الديمقراطية كاملا. فقد كتب لينين يقول:

((... أن البورجوازية تقف الى جانب الثورة بصورة غير دائبة ومنسجمة تحركها عوامل الجشع والخوف. أن سواد البورجوازية سيقف الى جانب الثورة المضادة والاوتوقراطية وضد الثورة، ضد الشعب حين تستجاب مصالحها الضيقة الأنانية حين تنصرف عن النزعة الديمقراطيةالدائبة المنسجمة الى النهاية، (وهي تنصرف عنها منذ اليوم!)).

وفي معرض المناقشة بين نضال العمال ونضال البورجوازية في سبيل الحرية كتب لينين قائلا:

((فاالطبقة العاملة وممثلوها الواعون يتقدمون ويدفعون هذا النضال الى أمام دون خشية من السير به الى النهاية، بل أنهم يطمحون الى تجاوز أبعد حدود الثورة الديمقراطية وتخطيها على مسافة بعيدة. أما البورجوازية فهي متذبذبة وجشعة وهي لا تقبل شعارات الحرية الا جزئيا وبرياء.)) ص١٤٣ من المصدر المشار اليه.

وحتى حين تعترف البورجوازية بالثورة أو تشترك فيها ((فأن هذا الاعتراف بالثورة من جانب البورجوازية لا يمكن أن يكون صادقا و ذلك بصرف النظر عن صدق هذا المفكر أو ذاك من مفكري البورجوازية بصفته الشخصية. فأن البورجوازية لا تستطيع أن لاتحمل معها في هذه الدرجة العليا من الحركة أيضاً أنانيتها وتذبذبها ومساومتها ومكائدها الرجعية الحقيرة.)) ص١٤٦ من المصدر السابق. وردا على مزاعم المناشفة ((بأن الثورة بورجوازية)) لذلك ((فالبورجوازية الحرة وحدها تستطيع أن تضطلع بقيادتها، فلا ينبغي على البروليتاريا أن تتقرب من جماهير الفلاحين بل عليها أن تتقرب من البورجوازية الحرة))، قال لينين نص ما يلي:

((من المفيد للبورجوازية في نضالها ضد البروليتاريا أن تستند الى بعض بقايا الماضي مثلا الى النظام الملكي والجيش الدائم ..الخ))، ((ومن المفيد للبورجوازية أن لا تكنس الثورة البورجوازية جميع بقايا الماضي ببالغ الحزم، بل أن تبقى على بعضها، أي أن لاتكون هذه الثورة منسجمة تماما، أن لا تسير الى النهاية، أن لا تكون حازمة لاهوادة فيها. وغالبا ما يعرب الاشتراكيون الديموقراطيون عن هذه الفكرة بطريقة تختلف بعض الشيء حين يقولون أن البورجوازية تخون قضيتها عينها، أن البورجوازية تخون قضية الحرية، أن البورجوازية عاجزة عن التحلي بنزعة ديمقراطية منسجمة. فالأجدى للبورجوازية أن تتم التحويلات الضرورية في الاتجاه البورجوازي الديمقراطي بمزيد من البطء و التدرج والحذر و بأقل من الحزم، أن تتم بواسطة الاصلاحات لا بواسطة الثورة وأن تكون هذه التحويلات لطيفة قدر الامكان إزاء المؤسسات الاقطاعية ((المحترمة)) – الملكية مثلا– وأن تسهم هذه التحولات بأقل قسط ممكن في تطوير المبادرة الثورية والعزيمة لدى سواد الشعب أي لدى الفلاحين وخصوصا لدى العمال وإلا يصبح من السهل على العمال أن ((ينقلوا بندقيتهم من كتف الى كتف)) كما يقول الفرنسيون، أي أن يصوبوا الى صدر البورجوازية نفسها تلك الأسلحة التي تقدمها اليهم الثورة البورجوازية وتلك الحرية التي تطلقها و تلك المؤسسات الديمقراطية التي تنشأ على التربة المطهرة من القنانة.))

((أما الطبقة العاملة فعلى العكس من ذلك، إذ من الأجدى لها أن تتم التحولات الضرورية في الاتجاه البورجوازي الديمقراطي بالطريق الثوري لا بطريق الإصلاحات، لأن طريق الإصلاحات هو طريق المماطلة واللف والدوران، هو موت الأجزاء المتفسخة من جسم الشعب موتا بطيئا مؤلما. إن البروليتاريين والفلاحين هم الذين يتألمون قبل غيرهم وأكثر من غيرهم من هذا التفسخ. والطريق الثوري هو بالنسبة للبروليتاريا طريق العملية الجراحية السريعة والأقل ألما، هو الطريق القائم على بتر الأجزاء المتفسخة بعزم و حزم، هو طريق الحد الأدنى من التنازل واللطف تجاه النظام الملكي و مؤسساته الدنسة السافلة التي ينخرها التفسخ والتي تسمم الجو بعفونتها.)) ص ٤٧ – ٤٨ من المختارات الجزء الثاني – المجلد الاول – ويستطرد لينين قائلا:

((أن البروليتاريا وحدها تستطيع أن تكافح في سبيل الديمقراطية بروح الاستمرار والمثابرة ولكنها لا تستطيع أن تنتصر في هذا الكفاح من أجل الديمقراطية إلاّ إذا إنضمت

جماهير الفلاحين الى نضال البروليتاريا الثوري. وإذا لم تتوافر للبروليتاريا القوى الكافية لهذا الغرض فإن البورجوازية ستسير على رأس الثورة الديمقراطية وتضفي عليها طابعا متذبذبا و أنانيا)) ص٥٩ من المصدر السابق.

وكان لينين يري الترابط العضوي قائما و قويا بين الثورة الديمقراطية بقيادة البروليتاريا والثورة الاشتراكية التي تعتبر البروليتاريا قائدتها وبانية نظامها الاجتماعي وكان يعتبر الإنتصار الحاسم في الثورة الديمقراطيةبمعنى الإنجاز التام الشامل لمهمات الثورة الديمقراطية بداية للنضال في سبيل الاشتراكية. وقد كتب مشيرا الى الثورة الديمقراطية البورجوازية الاولى في روسيا عام ١٩٠٥ - يقول نص ما يلي:

((أن إنتصار الثورة الحالية التام سيسجل نهاية الأنقلاب الديمقراطي بداية نضال حاسم في سبيل الأنقلاب الاشتراكي. وأن تحقيق مطلب الفلاحين في أيامنا وسحق الرجعية سحقا كليا والظفر بالجمهورية الديمقراطية، كل هذا سيسجل نهاية ثورية البورجوازية وحتى البورجوازية الصغيرة نهاية أكيدة، وبداية نضال حقيقي تخوضه البروليتاريا في سبيل الاشتراكية)). ثم طرح لينين مقولته العلمية الثورية التالية:

((يجب على البروليتاريا أن تحقق الثورة الديمقراطيةالى النهاية وذلك بأن تضم اليها جماهير الفلاحين لأجل سحق مقاومة الأوتوقراطية بالقوة وشل التقلقل لدى البورجوازية. ويجب على البروليتاريا أن تقوم بالثورة الاشتراكية بأن تضم اليها جماهير العناصر النصف بروليتارية من السكان لأجل تحطيم مقاومة البورجوازية بالقوة وشل التقلقل لدي جماهير الفلاحين والبورجوارية الصغيرة. تلك هي مهمات البروليتاريا)) ص٣٩ من المصدر السابق.

هكذا أنزلت اللينينية نظريا البورجوازية من عليائها في قيادة الثورة الديمقراطية البورجوازية و مهدت السبيل لطبقة ثورية جريئة لتولي القيادة فيها ألا وهي الطبقة العاملة. إذن لا تستطيع البورجوازية أن تقوم بدور القيادة الثورية في الثورة الديمقراطية للامم المستقلة التي تواجه مهمة التحرر الوطني. ولكن ماذا عن البورجوازية الوطنية للامم المظلومة؟ في البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة؟ من البلدان الاسيوية - والافريقية - و الاميركية اللاتينية؟

الجواب هو الاتي:

دور البورجوازية الوطنية
للامم المستعمرة و شبه المستعمرة

أن شعوب البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة في القارات الثلاث تمر بمرحلة التحرر الوطني الديموقراطي وتواجه مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية، بمعنى انها تناضل من أجل تحرير الوطن من السيطرة الاستعارية الاجنبية وفي سبيل الاستقلال الوطني ولإنجاز الإصلاحات الديمقراطيةكالاصلاح الزراعي الجذري وتصنيع البلاد وتحرير الاقتصاد الوطني من السيطرة الاجنبية والمنافسة الاستعمارية وتدخلات الشركات الاحتكارية الاستعمارية التي تسعي الى تطويقها باخطبوطها التجاري والمالي وبالتالي الأخذ بخناقها ومنعها من التطور والتكامل، وكذلك من أجل الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية وأحزابها وقواها وبدلا من السلطة الموالية للامبريالية الممثلة للاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية تسعى الثورة الوطنية الديمقراطية الى إقامة سلطة شعبية لا تمثل دكتاتورية طبقة واحدة، بل تمثل الطبقات التقدمية المعادية للإمبريالية والاقطاعية والكومبرادورية جميعها أي العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية التقدمية وتقيم سلطة ديمقراطية مركزية تطلق الحريات الديمقراطية للشعب و تمارس الدكتاتورية ضد أعداء الشعب فقط.

إذن تنجز الثورة الوطنية الديمقراطية مهام الثورة الديمقراطية البورجوازية الكلاسيكية وتظل في مرحلتها الاولى ثورة ديمقراطية بورجوازية بحكم كون ((كل حركة وطنية لايمكن أن تكون غير حركة بورجوازية ديمقراطية - لينين))، ولكنها ثورة ديمقراطية بورجوازية من نمط جديد وقد ((أصبحت منذ زمن طويل جزءاً من الثورة العالمية الاشتراكية البروليتارية بل أصبحت بالأحرى في الوقت الحاضر جزءاً بالغ الأهمية من هذه الثورة العالمية و حليفا عظيما لها)). فما هو موقف و دور البورجوازية الوطنية إزائها؟ هل هو نفس موقف ودور البورجوازية في روسيا مثلا؟

لا ريب أن هناك فرقا بين بورجوازية الأمة المستقلة وبورجوازية الأمم المظلومة، بورجوازية الشعوب المستعمرة أو شبه المستعمرة، بورجوازية الشعوب التي تمر بمرحلة التحرر الوطني الديمقراطي.

فبورجوازية الأمة المستقلة قد استنفذت طاقاتها الثورية وأصبحت طبقة مساهمة في الحكم، طبقة سائدة بمفردها أو بالاشتراك مع الملاكين. وتتطلب مصالحها الطبقية إدامة حكم استغلالي معاد للعمال والفلاحين وحركتهم الثورية ومتحالف مع القوى البورجوازية العالمية، فهي إذن طبقة محافظة. أما البورجوازية في الشعوب المناضلة من أجل التحرر الوطني فهي تتعرض للاضطهاد الامبريالي ولمنافسة شديدة ولاضطهاد من البورجوازية الدولية وتري في الاستقلال الوطني شرطا ضروريا لتطورها ولاستحواذها على السوق الوطنية وسد بعض المنافذ بوجه التغلغل الرأسمالي الدولي لذلك تحتفظ بنوع من ((الشعبية)) و ((الثورية)).

في مقالته عن الديمقراطية والشعبية في الصين كتب لينين بهذا الخصوص يقول:

((لقد تعفنت البورجوازية الغربية التي قد وقف أمامها حفار قبرها – البروليتاريا. أما في اسيا فما تزال توجد بورجوازية كفؤ لتمثيل ديمقراطية مستقيمة كفاحية و مخلصة، لتكون رفيقا جديرا بالمبشرين العظام والرجالات العظام الذين أنجبتهم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر.))

((إن الممثل الرئيسي أو الدعامة الاجتماعية الرئيسية لهذه البورجوازية الاسيوية التي ما تزال قادرة على إنجاز عمل تاريخي تقدمي هو الفلاح. والي جانبه توجد بورجوازية ليبرالية رجالاتها من امثال يوان شي كاي قادرون أكثر من غيرهم على الخيانة! فقد خافوا بالامس من بوغديخان وعفروا جباههم أمامه و بعد ذلك عندما رأوا القوة، عندما أحسوا بإنتصار الديمقراطية الثورية تحولوا عن البوغديخان وفي الغد سيخونون الديموقراطيين من أجل صفقة مع بوغديخان قديم أو دستوري جديد.)) ص٧٨ حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية – الطبعة العربية – موسكو دار التقدم/١٩٦٧.

وفي هذه العبارات الرائعة الموجزة للينين شرح علمي دقيق لطبيعة البورجوازية الوطنية في البلدان المستعمرة وشبه المستمرة، لطبيعة جميع مراتبها الصغيرة والليبرالية معا وكشف لصفتها الثنائية وخواصها الازدواجية والمتنوعة والشاملة لثوريتها

أحيانا وتذبذبها ومساوماتها أحيانا اخرى.

وفي المقارنة بين البورجوازية الروسية والبورجوازية الصينية يقول الرفيق ماوتسي تونگ مايلي:-

((فقد كانت البورجوازية الروسية مجردة من كل صفة ثورية. وكان واجب البروليتاريا هناك هو معارضة البورجوازية لا الاتحاد معها. بيد أن البورجوازية الوطنية الصينية تتحلي بصفة الثورية خلال فترات معينة والى حدود معينة نظرا لأن الصين بلد مستعمر وشبه مستعمر معرض للعدوان وواجب البروليتاريا هنا هو ألاّ تهمل هذه الصفة الوطنية وأن تقيم معها جبهة متحدة ضد الإمبريالية وحكومات البيروقراطين وأمراء الحرب)).

وبسبب وجود هذا الفرق الجوهري وبسبب كون الحركة الوطنية الديمقراطية المعادية للامبريالية جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية، حتمت الأممية الشيوعية (الكومنترن) على الأحزاب العمالية والشيوعية في اوروبا أن ((تؤيد الحركات الوطنية الديمقراطية البورجوازية)). وقال لينين: ((ينبغي للأممية الشيوعية أن تقدم على تحالف مؤقت مع الديمقراطية البورجوازية في المستعمرات والبلدان المتأخرة على أن لا تمتزج بها وعلى أن تصون قاطعة استقلال الحركة البروليتارية حتى بشكلها البدائي)) ص٣٦٧ من كتاب لينين حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية. ولكن يجب أن لا يفهم من هذا القول أن اللينينية قد دعت الي تأييد كل حركة وطنية و ذلك لأن اللينينية قد فرضت فقط تأييد الحركات الوطنية الثورية التي تضعف الامبريالية و تعاديها لا الحركات الوطنية المرتبطة بالاستعمار. أنه لمن الأهمية بمكان لجميع العناصر الماركسية اللينينية في العراق وكردستان أن تتذكر دوما أن الأممية الشيوعية قد أقرت في مؤتمرها الثاني المنعقد (تموز/ ١٩٢٠) بموسكو بناء على اقتراحات صاغها لينين، مساندة و دعم الحركات الوطنية ((الثورية حقا))، إذ يقول لينين في تعليقه على تبديل عبارة ((البورجوازية الديمقراطية)) بعبارة ((الوطنية الثورية)) في قرارات المؤتمر بصدد نضال شعوب المستعمرات بالنص ما يلي:-

((ومغزي هذا التبديل يتلخص في أنه لا يتوجب علينا بوصفنا شيوعيين أن نؤيد و لن نؤيد الحركات البورجوازية في المستعمرات إلاّ في الحالات التي تكون فيها هذه الحركات ثورية حقا وفي الحالات التي لايعيقنا فيها ممثلوا هذه الحركات عن تربية

وتنظيم جماهير الفلاحين والجماهير الغفيرة من المستثمرين ((تربية ثورية وتنظيما ثوريا)) ص٣٨ من المصدر السابق.

هنا يجدر التاكيد على الحقائق الاتية:-

أولاً: لايجوز للماركسين اللينينين أن يدعموا أية ((حركة وطنية مرتبطة بالاستعمار و بالاحلاف الاستعمارية. بل يجب أن يعارضوها وإذا كانت مثل هذه ((الحركة الوطنية)) تحارب القوى الثورية وتضطهد جماهير الفلاحين وتبعث الاقطاعية فيجب عليهم معارضتها، لأن الماركسيين اللينينيين يدعمون فقط الحركة الوطنية ((الثورية حقا)) والمعادية للامبريالية و مؤامراتها.

ثانياً: يركز الماركسيون اللينينيون إهتمامهم على تربية و تنظيم جماهير الفلاحين الغفيرة والعمال تربية ثورية وتنظيما ثوريا وبالتالي على التمتع بامكانية النضال لاستنهاض الجماهير الشعبية وتوعيتها وتنظيمها وتربيتها تربية ثورية، يركزون على كسب حرية العمل والنضال من أجل مثل هذه التربية الثورية والتوعية الجماهيرية بأمل خلق وتعزيز وتقوية الحزب الطليعي الثوري وتوعية الفلاحين لايجاد تحالف العمال والفلاحين كأساس لجبهة وطنية متحدة. بينما يركز المحرفون والأنتهازيون والاصلاحيون على مسائل ثانوية كالاشتراك في الوزارة وتقسيم المناصب وجني المغانم و مظاهر العلنية.

ثالثاً: تعتبر الماركسية اللينينية التحالف مع البورجوازية الوطنية الذي قد يمتد الي الديمقراطية الشعبية تحالفا مرحليا مؤقتا من جهة و مشروطا بصيانة استقلال حركة الطبقة العاملة و بصيانة استقلال الحزب الطليعي الثوري تنظيميا وفكريا وسياسياً من جهة ثانية.

إذن يجب تخطئة الدعوة الى حل الحزب الطليعي الثوري أولا و تخطئة الدعوة الى نفي إمكانية التحالف مع البورجوازية ثانيا. فالبورجوازية الوطنية في البلدان التي تمر بمرحلة التحرر الوطني بورجوازية ضعيفة اقتصاديا وسياسيا وتتحلي بخاصية الاشتراك في الثورة والمساومة مع أعداء الثورة أيضاً. يقول الرفيق ماوتسي تونگ عن ذلك ما يأتي: ((إمكانية الاشتراك في الثورة من جهة والمساومة مع أعداء الثورة من جهة اخرى

- تلك هي الصفة المزدوجة للبورجوازية الصينية، فهي (تتنازعها وظيفتان مختلفتان) كما يقال. وكذلك كانت البورجوازية في تاريخ اوروبا وامريكا. فحين كانت تواجه عدوا قويا كانت تتحالف مع العمال والفلاحين ضده، ولكن لما نهض العمال والفلاحون من رقدتهم إنقلبت لتتحد مع العدو ضد العمال والفلاحين وهذا قانون عام ينطبق على البورجوازية في جميع بلدان العالم، بيد أن هذه الخاصية تبدو أكثر وضوحا لدى البورجوازية الصينية)).

لاحظوا القدرة القيادية العالية التي تمتعت بها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني برئاسة زعيمها ماوتسي تونگ التي أدركت هذه الخاصية التي تبدو أكثر وضوحا لدى البورجوازية الصينية ومع ذلك حققت التحالف معها لا ضد العدو الامبريالي الغازي فقط بل وحتى في الثورة الديمقراطية الشعبية أيضاً والى بناء دولة الديمقراطية الجديدة.

يقول الرفيق ماوتسي تونگ أثناء شرحه للدكتاتورية الديمقراطية الشعبية، أن مقولة الشعب تشمل ((الطبقة العاملة والفلاحين وبورجوازية المدن الصغيرة والبورجوازية الوطنية. وهذه الطبقات تتحد تحت قيادة الطبقة العاملة والحزب الشيوعي لأنشاء دولتها وإنتخاب حكومتها بغية ممارسة دكتاتورية على خدم الاستعمار أي على طبقة الملاكين العقاريين وعلى البورجوازية البيروقراطية..)) ص٢٠ من كراس الدكتاتورية الديمقراطيةالشعبية - طبعة بيكين.

وعن ضـرورة إشتراك البورجوازية في الحكم الديموقراطي الشعبـي وحاجة الديمقراطيةالشعبية الى البورجوازية الوطنية كتب صاحب نظرية الديمقراطية الشعبية ماوتسي تونگ يقول: ((وفي المرحلة الحاضرة فإن للبورجوازية الوطنية أهمية كبيرة جدا، إننا ما نزال نواجه الاستعمار و هذا عدو شرس جدا)).

((والصناعة الصينية الحديثة لم تحتل بعد إلا نسبة مئوية ضعيفة في مجموع الاقتصاد الوطني... ولكي تجابه الصين ضغط المستعمرين تخطوا خطوة الى أمام اقتصادها المتخلف، عليها أن تستفيد من جميع العناصر الرأسمالية في المدينة والريف. هذه العناصر المفيدة للازدهار الوطني و لرفاه الشعب و لا تجلب ضررا وعليها أن تتحد مع البورجوازية الوطنية في النضال المشترك. إن سياستنا الحالية تقوم على مراقبة

الرأسمالية و ليس على إزالتها)) ص٢٩ من المصدر السابق.

فالحرص على كسب البورجوازية الوطنية إذن لا يتأتى فقط من الرغبة في ايجاد تحالف وطني واسع ضد الإمبريالية و الصهيونية والاقطاعية بل وكذلك من حاجة بلداننا للاستفادة من البورجوازية الوطنية في خلق اقتصاد وطني مزدهر و في الاستفادة ((بقدر الإمكان من الصفات الايجابية للرأسمالية الخاصة في المدن والريف وذلك لمصلحة تطوير الاقتصاد الوطني في الريف.وفي هذه الفترة يجب السماح لجميع العناصر الرأسمالية في المدن والريف والتي ليست ضارة بل نافعة للاقتصاد الوطني أن تبقى وتتطور، وهذا ليس أمرا حتميا فحسب بل هو ضروري اقتصاديا أيضاً)) على حد تعبير الرفيق ماوتسي تونگ.

أن أهمية هذه الوقائع والحقائق المتقدمة هي رد بليغ و دحض مفحم للدعوات اليسارية الصبيانية الى الشطب على البورجوازية الوطنية (سياسيا واقتصاديا) والى التأميمات المستعجلة (قبل الأوان) والى محاربة الرأسمالية الوطنية المتوسطة حتى قبل إنجاز مهام الثورة الديمقراطية الشعبية. وفي بلداننا نجد العديد من امثلة الاجراءات المتسرعة والارتجالية التي قامت بها فئات بورجوازية صغيرة ضد الرأسمالية الوطنية المتوسطة تحت ستار الاشتراكية و في سوق المزايدات العلنية على (اليسارية) مما ادى الى إرباك السوق الوطني وإضعاف اقتصاد البلاد وإضعاف الجبهة الداخلية بوجه الامبريالية وضغوطها الاقتصادية والسياسية والى عرقلة نمو وتطور الاقتصاد الوطني. حقا أن ((تحديد الرأسمال)) من ناحية السياسة الضرائبية والأسعار ومن ناحية ظروف العمل وحقوق العمال واجب وضروري، ولكن ((تقييد الرأسمال الخاص بصورة متجاوزة الحد وجامدة)) والاعتقاد بأنه ((لا يمكن أن يقضي على الرأسمال الخاص بكل بساطة وفي سرعة فائقة)) فهو ((رأي خاطيء تماما و هو رأي إنتهازي يساري أو نظرة مغامرة)) كما يقول الرئيس.

والخلاصة فيجب معارضة الأنحراف اليساري الزاعم باستحالة إشتراك البورجوازية الوطنية في الثورة المعادية للامبريالية والاقطاع لأن البورجوازية الوطنية تستطيع – رغم ضعفها الاقتصادي والسياسي – الاشتراك في النضال الثوري المعادي للامبريالية والعدوان الأجنبي والاقطاع وذلك بسبب تعرضها للاضطهاد الامبريالي وتناقض مصالحها

في ظروف معينة مع مصالح الامبريالية. ليس هذا فحسب بل يمكن جر قسم معين منها حتى الى الثورة الديمقراطيةالجديدة.

يقول الرفيق ماوتسي تونگ:((أن البورجوازية الوطنية هي طبقة ضعيفة جداً سياسيا ومترددة كثيرا. ولكن من المكن أن ينضم معظم أعضائها نتيجة لا ضطهادهم وتكبيلهم من جانب الاستعمار والاقطاعية والرأسمالية البيروقراطية الى الثورة الديمقراطية الشعبية أو أن يتخذو موقف الحياد. انهم قسم من الجماهير الشعبية الواسعة، ولكنهم لايشكلون قوامها الرئيسي ولا قوة تحدد طابع الثورة)) ص٢٤٣ من مؤلفات ماوتسي تونگ المختارة – المجلد الرابع – الطبعة العربية – دار ابن سيناء / بيروت

لذلك كله على القوى الثورية الطليعية ألاّ تنجرف مع تيار الأنحراف اليساري الطفولي ((ضد البورجوازية الوطنية كلها))، بل عليها أن تناضل من أجل كسب أوسع الفئات البورجوازية الوطنية لمصلحة النضال ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية، خاصة أثناء اشتداد التآمر الإمبريالي والعدوان الصهيوني الاستيطاني المدعم من الإمبريالية الأميركية. هذا هو الموقف العلمي والثوري الحقيقي من البورجوازية الوطنية الذي يليق بالعناصر الماركسية اللينينية المناضلة علي ضوء المباديء الثورية لإنجاز الثورة الديمقراطية الشعبية.

اسباب عجز البورجوازية
عن قيادة الثورة

مع كل ما تقدم عن امكانية و ضرورة إشتراك البورجوازية الوطنية في الثورة و في الديمقراطيةالشعبية وأهميتها للاقتصاد الوطني، فأن البورجوازية الوطنية لاتستطيع أن تلعب الدور القيادي الثوري في الحركة الوطنية الديمقراطية، بل هي عاجزة عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطيةوذلك للأسباب الاتية علاوة على ما تقدم بيانها من الحقائق عن البورجوازية ومقدرتها النضالية وخصائصها الطبقية:

أولاً: ضعف البورجوازية الوطنية اقتصاديا وسياسياً و هذا يحدد مقدرتها السياسية والاقتصادية و يجعلها تتحلى بصفة المساومة مع أعداء الثورة ويكشف عجزها (الكمي والكيفي) في الإضطلاع بمهام قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية ضد أعدائها الامبريالية والاقطاعية والرأسمالية الكومبرادورية حتى النهاية.

ثانياً: لقد أحدثت التدخلات الرأسمالية العالمية مع البرجوازية الوطنية تغييرا في طبيعة البورجوازية الوطنية وفي كيفية ترابطها مع البورجوازية العالمية، وقد شخصها لينين في تقرير قدمه بأسم اللجنة المختصة بالمسألة القومية و مسألة المستعمرات الى المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية بقوله كما يلي:

((لقد تم بعض التقارب بين بورجوازية البلدان الاستثمارية وبورجوازية المستعمرات مما جعل بورجوازية البلدان المظلومة مع تأييدها للحركات الوطنية تناضل في نفس الوقت وفي حالات كثيرة، بل قل في معظم الحالات ضد جميع الحركات الثورية و الطبقات الثورية بالاتفاق مع البورجوازية الإمبريالية أي معها)). واليوم بامكاننا أن نقول لقد تم كثير من التداخل والترابط بعد التغلغل الرأسمالي العالمي في المستعمرات والبلدان التابعة و ظهور الرأسمالية الكومبرادورية فيها وارتباط اقتصاد هذه البلدان بالسوق الرأسمالية العالمي و ترابط رأسماليتها التجارية مع هذا السوق بوشائج عديدة وعمولات كثيرة. لذلك فإن هذه البورجوازية الوطنية لا يمكنها أن تلعب دورا قياديا

في ثورة معادية للرأسمالية العالمية التي تربط بها بوشائج عديدة وهي تشهد تعاظما كبيرا لعمال وفلاحي وكادحي بلادها وتعاظم نضالهم السياسي من أجل القضاء على الإمبريالية والاستغلال، وحيث تخوض قوى العمال والفلاحين والكادحين باعتبارها القوى الأساسية الدافعة في الثورة الديمقراطية نضالها حتى ضد البورجوازية الاهلية خاصة لأن البورجوازية تمتاز بقابليتها على الارتداد عن الثورة والمساومة مع أعدائها حينما ينهض العمال و الفلاحون حيث تنصرف البورجوازية حتما عن إنجاز الثورة حتى النهاية.

ثالثاً: أن الثورة الوطنية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة لم تعد ثورة وطنية من الطراز القديم، بل غدت ثورة وطنية ديمقراطية جديدة في جميع البلدان التي تواجه مهمات مرحلة التحرر الوطني والديمقراطي. لذلك فإن مهام هذه الثورة الديمقراطيةلايمكن إنجازها بالبورجوازية الوطنية التي تسعى لاقامة حكمها البرلماني وفرض سلطتها الطبقية أي دكتاتوريتها البورجوازية مما يتناقض وطبيعة الثورة الوطنية الديمقراطيةالمعاصرة التي تتطلب إقامة سلطة الشعب بطبقاته الاجتماعية التقدمية الأربع.

وهذا يعني أن السلطة السياسية للديمقراطية الجديدة لا يمكن تشيدها بقيادة البورجوازية، خاصة لأن الديمقراطية الجديدة ليست الا مرحلة انتقالية للاشتراكية التي تعاديها البورجوازية والتي تبنيها الطبقة العاملة فقط، هذا بينما تسعى البورجوازية دوما الى تعزيز سيطرتها على البروليتاريا، أي الى مواصلة استثمارها للعمال والكادحين والى الاحتفاظ بسيادتها عليهم ولأن الديمقراطيةالجديدة تقضي على الاحتكار الذي تطمع فيه الرأسمالية الوطنية تدريجيا كما تقضي على سيطرة البورجوازية الوطنية على الحياة الاقتصادية للبلاد. فهي بجانب منع الاحتكار تخلق قطاعا عاما واسعا وقويا في الاقتصاد الوطني وخاصة الميادين الصناعية والتجارة الخارجية والبنوك و المصارف، بينما تطمع البورجوازية الى فرض سلطانها على الاقتصاد الوطني بدعوى حرية التجارة والصناعة أي حريتها لاستثمار ثروات البلاد و خيراتها و لسوقها واقتصادها لمصلحتها الطبقية. فالديمقراطية الجديدة لا يمكن بناؤها الا بقيادة الطبقة العاملة لا البورجوازية، أي أن البورجوازية عاجزة عن قيادة ثورة مهمتها الأساسية هي اقامة السلطة الديمقراطية الشعبية على أنقاض الإمبريالية والاقطاعية.

رابعاً: أن الثورة الوطنية الديمقراطية المعاصرة هي جزء من الثورة الاشتراكية العالمية التي دشنت عهدها ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا عام /١٩١٧ وتوّجت إنتصاراتها بنجاح الثورة الصينية الجبارة عام /١٩٤٩. وللثورة الوطنية الديمقراطية أهمية خاصة في الثورة الاشتراكية العالمية لأن:

((الثورة الاشتراكية لن تكون لاكلياً ولا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البروليتاريا بين الثوريين في كل بلد من البلدان ضد بورجوازيتهم قطعا، أنما ستكون نضالا من قبل جميع المستعمرات والبلدان التي تظلمها الإمبريالية نضالا من قبل جميع البلدان التابعة ضد الإمبريالية العالمية)) على حد قول لينين، ص٣٤ من كتاب حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية.

وبديهي الا تستطيع قيادة هذه الثورة الوطنية الديمقراطية التي غدت رافدا هاما للثورة الاشتراكية العالمية وتتصف بكل هذه الأهمية في إنتصار البروليتاريا العالمية ألاّ تستطيع قيادة مثل هذه الثورة طبقة بورجوازية تتنافى طبيعتها الطبقية مع الاشتراكية. لذلك تعتبر البورجوازية عاجزة عن قيادة هذه الثورة الوطنية التي تتميز بكل هذه الأهمية في دك صرح الإمبريالية و إنتصار الاشتراكية والقضاء على الاستغلال والرأسمالية. والبورجوازية الوطنية حتى اثناء اشتراكها في الثورة الوطنية تحتفظ بصفتها الطبقية، صفة المساومة مع أعداء الثورة، خاصة لما ينهض العمال والفلاحون ويشتركون بحماس في النضال الثوري كما أن البورجوازية الوطنية لا ترغب في الأنفصال التام عن الإمبريالية حتى عندما تشترك في الثورة ولا تنسف معها كل الجسور أبدا ونضال البورجوازية ضد الإمبريالية هو نضال محدود ومحدد بالتحرير السياسي للبلاد بمعني اخراج القوات الاستعمارية ونيل الاستقلال السياسي رسميا. فهي لاتريد ولاتستطيع القضاء على الامبريالية ونفوذها السياسي والعسكري وامتداداتها الاقتصادية والفكرية جذريا، بل على العكس تسعى بالاستناد على الاجهزة الادارية والقضائية التي خلقتها الامبريالية لصيانة مصالحها، تسعى لضمان مصالحها الطبقية الجشعة فقط لأنه كما يقول لينين فأن ((من المفيد للبورجوازية أن تعتمد في نضالها ضد البروليتاريا على بعض بقايا الماضي مثل الملكية والجيش الدائم... الخ وأن لا تكنس الثورة جميع بقايا الماضي ببالغ الحزم بل أن تبقى على بعضها أي أن لا تسير الثورة حتى النهاية.)).

والبورجوازية التي تشعر بصلات القربى مع الرأسمالية الدولية الإمبريالية منها تولدت، تسعى الى الابقاء على العلاقات التجارية والمصرفية والتبادلية مع سوقها العالمي وبالتالي تمهد لابقاء البلاد واقتصادها في شرك الاستعمار الجديد. كل ذلك يجعل نضالها ضد الامبريالية محدودا وغير حازم ومشوبا بالمساومات والتنازلات. لذلك تعتبر البورجوازية عاجزة عن حل المهمة الرئيسية الأولى للثورة الوطنية، مهمة القضاء التام على الإمبريالية ولذلك تعتبر عاجزة عن اداء دور القيادة في الثورة أيضاً.

خامساً: ترتبط البورجوازية الوطنية بوشائج معينة مع الاقطاعية و ملاكي الاراضي الكبار ولها علاقات و امتدادات عديدة مع البورجوازية الريفية، مما يجعلها غير قادرة وغير راغبة في إنجاز اصلاح زراعي جذري. أن هذه الظاهرة في بلادنا ملموسة، إذ أن العديد (من ملاكي الأرض و رؤساء العشائر وابناء الاقطاعية) المالكين لقطعان الماشية والأنتاج الوفير كانوا يبيعون ويتاجرون بالمحصولات والمنتوجات الحيوانية والزراعية مما جعلهم مالكين و رأسماليين في آن واحد. وهذا مما يقوي الرابطة بين الرأسمالية والاقطاعية و يجعل من الرأسمالية هذه اكثر يمينية من غيرها وخاصة في مجال الاصلاح الزراعي و معاداة الإمبريالية. ثم أن اشتراك الرأسماليين في استثمار الفلاحين مع الاقطاعية عن طريق استثمار رأسمالهم – كما في معاملات تجار التبغ مع الملاكين مثلا- يجعل الرأسمالية وثيقة الصلة بالاقطاعية وذات مصالح مشتركة معها مما يبعد عنها الصفة الراديكالية الثورية في معاداة الاقطاعية ركيزة الامبريالية و الرجعية، لأن العديد من الرأسماليين ينحدرون من أصل اقطاعي ومن ملاكي الاراضي ومن الارستوقراطية القديمة وللعديد منهم روابط مصلحية مع الاقطاع. وهذا يعني عجزها عن تولي قيادة حركة وطنية في جوهرها مسألة الفلاحين وبالتالي فهي لا تستطيع قيادة الثورة الوطنية التي يشكل الفلاحون جيشها الأساسي، خاصة في عصرنا حيث تحتم الظروف الوطنية والدولية على الثورة الوطنية الديمقراطية أن تنطلق من الريف وتتخذ من الريف قواعد ثورية تتوسع منها وتطوق منها المدن تمهيدا لتحريرهما.

فالبورجوازية الوطنية عاجزة إذن عن القيام بالمهمة الثانية للثورة الوطنية (الإصلاح الزراعي الجذري) عن طريق الاطاحة التامة بالاقطاعية وتحرير الفلاحين من قيودها ومن التخلف وبقايا القنانة وبالتالي تعتبر عاجزة عن القيام بالثورة الوطنية الديمقراطية التي لا تعتبر ناجحة ما لم تنجز الإصلاح الزراعي، مالم تقم بالاطاحة بالإقطاعية بأعتبارها المهمة

الثانية الرئيسية للثورة. لذلك لا تستطيع البورجوازية الوطنية أن تتولى دور القيادة في الثورة.

سادساً: أن الطبقة البورجوازية الوطنية طبقة اجتماعية جبانة و أنانية و متذبذبة و هذه صفات تمنعها من القيام بدور القيادة الحازمة اللازمة لإنجاح الثورة الوطنية الديمقراطية في عصرنا، حيث غدت الثورة عنيفة ودامية وطويلة الأمد عموما تتخللها معارك ضارية وتمر بظروف قاسية وتعرجات عديدة وتواجه اندحارات واخفاقات عديدة. ورغم امكانية اشتراك البورجوازية الوطنية في الثورة، ((ومع ذلك فأن البورجوازية الوطنية لا تستطيع أن تلعب دورا قياديا في الثورة لأن الوضع الاجتماعي و الاقتصادي للبورجوازية قد حدد ضعفها و وهن بصيرتها و شجاعتها وكذلك خوفها من الجماهير الذي برهن عليه عدد من افرادها)) كما يقول الرفيق ماوتسي تونگ في كراس الدكتاتورية الديمقراطيةالشعبية ص٢٩-٣٠ من طبعتها العربية – بيكين.

سابعاً: غالبا ما تبقي البورجوازية عند استلامها للسلطة على الأجهزة القديمة الموروثة من الاستعمار والحكم العميل للاستعمار بما فيها الأجهزة العسكرية كالجيش والشرطة وغيرها من أجهزة القمع. وبذلك فأن البورجوازية الوطنية لا تنجز الثورة بل توقفها في منتصف الطريق لأن إنجاز الثورة يتطلب تحطيم الأجهزة القديمة وكنس اثارها وبنائها من جديد. والأنكى أن البورجوازية تبقى بذلك على ركائز قوية للردة المضادة للثورة، إذ تتحول الاجهزة القديمة الموروثة الي ركائز للرجعية ولليمين وللقوى العميلة المرتبطة بالامبريالية. و قد تقوم هذه القوى المعششة في الأجهزة القديمة بأنقلاب رجعي أو قد تساهم في تحويل تدريجي سلمي للحكم البورجوازي الوطني الى حكم يميني ورجعي و مرتبط بالاستعمار الجديد.

ومثل هذه الاجهزة تعرقل اجراء الاصلاحات الجذرية والقيام بالتغييرات الأساسية العميقة في المجتمع وتمنع الإنجازات الحازمة والثورية في البلاد. لذلك تعجز البورجوازية عن قيادة الثورة التي تستهدف كنس بقايا الماضي كلها وترمي الى اجراءات جذرية تقدمية. هذا عن البورجوازية عموما، فماذا عن البورجوازية الوطنية العراقية؟

دور البورجوازية الوطنية العراقية

لنأخذ مسألة دور البورجوازية الوطنية العراقية في الثورة تاريخيا. خلال تطور الحركة الوطنية العراقية منذ ثورة العشرين أدى دورا بارزا في الحركة الوطنية المعادية للامبريالية البريطانية، إلاَّ أنَّ ضعفها الكمي والنوعي وعدم تحالفها الجدي مع الكادحين قد جعل من دورها محدودا ولكنها ظلت في الميدان تقارع الاستعمار وإن لم تلعب نفس الدور في النضال ضد الاقطاعية رغم كونها إحدى أقوى الأعمدة الاجتماعية للحكم الملكي الموالي للاستعمار والمعادي للحركة الوطنية الديمقراطية، وذلك بحكم الوشائج والروابط العديدة بين البورجوازية العراقية ذات الطابع التجاري (بالنسبة لقسمها التجاري) وبين الاقطاعية العراقية وبحكم تحول بعض الملاكين الى تجار، الى رأسماليين بسبب ضعف البورجوازية و تذبذبها و عدم ثوريتها الاصيلة ومنذ الثلاثينيات نمت فئة كومبرادورية من البورجوازية في احضان الامبريالية و بارتباط وثيق مع شركاتها وكذلك بارتباط مع الحكم الملكي الموالي للامبريالية. وبعد اعلان الاستقلال الصوري ساومت فئة اخرى من البورجوازية على الكراسي ودخلت الوزارة و المناصب الحكومية، بينما ظل القسم الوطني المعادي للامبريالية من البورجوازية العراقية تواصل النضال رغم قيام الحكم بحل الأحزاب. وحاولت البورجوازية الوطنية عن طريق ممثليها في الجيش والأحزاب تولي القيادة في الحركة الوطنية مستفيدة من ضعف الطبقة العاملة كميا و كيفيا ومن ضعف الوعي الاشتراكي والتقدمي. ولكن مهمة القيادة كانت أصعب وأعقد مما توقعتها البورجوازية وكانت الظروف التاريخية القائمة قد ألغت إمكانية قيام البورجوازية بهذه المهمة المعقدة الخطيرة.

وفي الأربعينيات نشطت البورجوازية العراقية بسبب تكاثرها العددي وتطورها النسبـي ونشوء بعض الصناعات الوطنية و تنشيط التجارة – كما نمت فئة بورجوازية مرتبطة بالجيش البريطاني والمقاولات الحكومية وبالسوق السوداء والمضاربات . وظهرت الأحزاب البورجوازية (القومية اليمينية منها) والديمقراطية التقدمية. كما إشتد النضال

وتنوعت أساليبه وظهر جليا في أواخر الأربعينيات إن الحكم الملكي المرتبط بالامبريالية والممثل لمصالح الاقطاعية والرأسمالية الكومبرادورية لايسمح بالحياة الدستورية التي اشتاقت اليها البورجوازية، بل يمارس القمع والارهاب ضد الحركة الوطنية ويمنع الشعب من ممارسة الحريات الديمقراطية فاشتد الارهاب الأسود و أصبح الجو السياسي خانقا و رهيبة، فأنهزمت البورجوازية الوطنية بميدان النضال الفعلي وإنزوت في صالوناتها وحلت أحزابها الوطنية. لقد إتضح انئذ للجميع أن مواصلة الكفاح الوطني تتطلب الثورية و الجهادية في العمل و تحمل التضحيات و الفداء و دخول السجون والمنافي، وتتطلب الاستمرارية والنضال السري الثوري و إنجلت حقيقة هامة وهي أن الثورة المسلحة ضرورية لاسقاط الحكم الملكي وتحرير البلاد من الامبريالية، فظهر عجز بورجوازيتنا الوطنية التام عن القيام بهذا الدور الثوري المليء بالفداء والتضحيات. وتميزت فترة الأربعينيات بظهور الطبقة العاملة على المسرح السياسي والوطني بنقاباتها وإضراباتها ومظاهراتها وبالتنظيمات السياسية التي حاولت تمثيلها. وظهرت الطبقة العاملة كقوة جهادية باسلة في الميدان تناضل لا ضد الامبريالية والملكية فحسب، بل و لأنتزاع قيادة النضال الوطني من ايدي البورجوازية التي فشلت في أداء دورها القيادي أيضاً.

دور البورجوازية الصغيرة العراقية

وهنا تصدت البورجوازية الصغيرة لقيادة الحركة الوطنية الديمقراطية بالاستفادة من ممثليها ومثقفيها وأحزابها الديمقراطية والتقدمية. إن كثرة أعداد البورجوازية الصغيرة و وجود أعداد كثيرة من مثقفيها بامكانياتهم الفكرية والاجتماعية تجعل من البورجوازية الصغيرة قوة بارزة في ميدان التنافس على قيادة الثورة الوطنية، خاصة في ظروف بلداننا حيث الطبقة العاملة ضعيفة كميا و كيفيا وحيث لم تبرز طليعة هذه الطبقة العاملة كقوة كبيرة تلف حولها أكثرية الطبقة العاملة و حيث يفتقد تحالف العمال والفلاحين.

ومما يدعم سعي البورجوازية الصغيرة لتولي القيادة في الثورة الوطنية ووجود ممثليها العديدين في صفوف القوات المسلحة التي يلعبون فيها دورا هاما حينما ينتظمون في منظمة الضباط الأحرار كما حدث قبيل وبعد إنتصار ثورة ١٤/ تموز. أن الضباط الأحرار حينما يدكون العرش الملكي ويسقطون الحكم الرجعي العميل للاستعمار ويطردون العملاء الخونة من دست الحكم ويلغون الاتفاقيات الجائرة التي تربط البلاد بعجلة الاستعمار العالمي ويرفضون الاحلاف العسكرية الامبريالية ويقاومونها، حينئذ يبهرون الأبصار ويسلبون الالباب من الجماهير الشعبية بهذه الإنتصارات الوطنية الرائعة و يكسبون التأييد الواسع من لدن الجماهير الشعبية كما حدث بعد ثورة ١٤/ تموز. وهذا ما يجعل تنافس البورجوازية الصغيرة على قيادة الثورة الوطنية تنافسا خطيرا وهذا ما يجعلها عمليا في دست القيادة الفعلية. إن الإنجازات الاجتماعية كالاصلاح الزراعي والتأميمات والتصنيع ونشر المعارف والتعليم والإنجازات الصحية والاجتماعية الاخرى تعزز قيادة البورجوازية الصغيرة. أن ضعف الطبقة العاملة الكمي والكيفي وعدم وجود حزب طليعي حقيقي للطبقة العاملة، حزب يملك استراتيجية وتكتيكات مبدئية وثورية سليمة، حزب يطرح شعارات وسياسات صحيحة ويجيد القيادة ويلف حوله اكثرية الطبقة العاملة ويسلك سبيل إيجاد تحالف العمال والفلاحين كأساس لجبهة وطنية متحدة، وإن هذا هو العامل المساعد الاول لقيام البورجوازية الصغيرة بهذا الدور القيادي في الثورة لفترة محدودة والتحريفية هي العامل الثاني.

التحريفية في خدمة البورجوازية
ضد الطبقة العاملة

إذ تؤدي التحريفية المعاصرة خدمات كبيرة للبورجوازية الصغيرة في إبقائها على منصة القيادة بترويجها البضائع التحريفية العتيقة المغلفة بمزركشات خداعة جديدة كمزاعمها بامكانية التحول السلمي للاشتراكية و بأمكانية بناء الاشتراكية دون المرور بمرحلة الديمقراطيةالشعبية وبدون قيادة الطبقة العاملة و بدون الحاجة الى الاسترشاد بالنظرية الاشتراكية العلمية وبدون الحاجة الى دكتاتورية البروليتاريا وكذلك نشرها لمزاعم قدرة البورجوازية على تولي القيادة في الثورة الوطنية الديمقراطية، وعدم قدرة الطبقة العاملة على تولي القيادة في الثورة وامكانية التطور اللارأسمالي وأنتفاء الحاجة الى طليعة ثورية اشتراكية علمية لقيام التنظيمات البورجوازية الصغيرة بهذا الدور التاريخي الخطير، حتى بلغ الامر بالتحريفية حد تمجيد هذه التنظيمات والدعوة الى حل الأحزاب الشيوعية ودمجها في هذه التنظيمات. وقد جرت هذه الخيانة للافكار الماركسية اللينينية (الاشتراكية العلمية) تحت لافتة ((التطوير الخلاق للماركسية اللينينية)) وباسم ((روح العصر)) والاستجابة لمتطلباتها. هكذا قدمت التحريفية خدماتها في الميدان النظري للبورجوازية الصغيرة وتسعى لمساعدتها على مواصلة دور القيادة في الثورة الوطنية. وبذلك تلحق اضرار جسيمة لا بحركة الطبقة العاملة وبدورها التاريخي فحسب، بل و بالحركة الوطنية الديمقراطيةأيضاً، مما يؤدي في كثير من الأوقات الى إجهاض الثورة الوطنية الديمقراطية نفسها. وهذه، خدمة عظيمة تقدمها التحريفية المعاصرة للبورجوازية في صراعها مع الطبقة العاملة على النطاق الداخلي وللامبريالية في صراعها ضد الثورة الوطنية الديمقراطيةعلى النطاق العام.

لذلك فأن النضال ضد التحريفية المعاصرة هو شرط أساسي لاغنى عنه لإنتصار النضال ضد الإمبريالية لأنه كما يقول لينين بحق فأن:

((النضال ضد الاستعمار يبقى جملة فارغة أو مجرد خداع إذا لم يرتبط ربطا وثيقا بالنضال ضد الأنتهازية)). هذه الأنتهازية التي تشكل التحريفية يمينيتها والتي قال لينين عن معتنقيها المحرفين بأن هؤلاء: ((هم من ناحية موضوعية فصيلة سياسية تابعة للبورجوازية... إذ أنهم يوصلون نفوذها للاخرين و هم عملاؤها في حركة العمال)). راجع مقالة لينين حول افلاس الأممية الثانية.

ولا تكتفي التحريفية بتقديم جهودها النظرية و الدعائية، بل تقدم مساعداتها العملية أيضاً لمنع الطبقة العاملة من مزاولة دورها القيادي في الثورة الوطنية الديمقراطيةو بممارسة أساليب الخداع والدسائس وبتحريف نضالها عن جادة الصواب وتسميم اذهانها بمقولات ومزاعم تحريفية وبدفعها أحزاب معينة الى طريق التحريفية والتنكر حتى لأدوارها في الثورة الوطنية الديمقراطية.

ونحن وإن كنا بصدد بحث موضوع الجبهة الوطنية و لسنا في معرض تحليل وشرح و دحض المزاعم التحريفية، هذه التحريفية النابتة أصلا من جذر بورجوازي صغير في صفوف الطبقة العاملة، من أرستوقراطية العمال والمندسين في صفوف الطبقة العاملة (وهنا الأساس الطبقي للتعاطف والتعاون بين التحريفية والبورجوازية الصغيرة القومية)، أقول مع ذلك فأنه لابد من التنبيه لخطورة دور التحريفية التخريبي في الثورة الوطنية الديمقراطيةلا من حيث معاداة التحريفية لهذه الثورة بحجة التعايش السلمي وصون السلام العالمي واطفاء مواقد الحروب فقط، بل وكذلك بسبب تخريبها لسير الثورة ولسير تطورها ومساهمتها في منع الثورة من إتخاذ مسارها الصحيح وعرقلتها للتوزيع الصحيح للأدوار القيادية والنضالية في الثورة الوطنية الديمقراطيةبين الطبقات الاجتماعية التقدمية و في مساهمتها لمنع الطبقة العاملة من تولي دورها القيادي في الثورة، مما يؤدي في النهاية الى فشل الثورة في تحقيق مهامها و في الإنتصار الناجز على الإمبريالية و الاقطاعية والرأسمالية الكومبرادورية. وهذه خدمة كبيرة للامبريالية تقدمها التحريفية مما يحتم الحذر والأنتباه من نشاطها التخريبي خاصة لأن التحريفية ظاهرة عالمية من جهة ولأنها تلعب دورا هاما في السياسة الدولية باعتبار التحريفية المعاصرة إحدى عناصر السياسة الدولية حاليا من جهة اخرى. لذلك يجب مقاومة تخريبها وتداخلاتها في الثورة الوطنية الديمقراطية كما في الحركة العمالية العالمية سواء بسواء.

ولكن لا هذه الجهود المضنية والمساعدات الضخمة التي تقدمها التحريفية المعاصرة للبورجوازية الصغيرة، ولا الطاقات التقدمية الموجودة لديها التي تتفجر في أنقلاباتها العسكرية التقدمية ولا الظروف القائمة المساعدة للبورجوازية الصغيرة من حيث ضعف الطبقة العاملة وافتقارها الى احزاب طليعية ثورية قوية ومن حيث وجود حالة التشوش الفكري والتخبط النظري المؤقت في صفوف الجماهير الكادحة، لا هذه الأوضاع كلها ولا وجود البورجوازية الصغيرة في القيادة عمليا بقادرة على إبقاء البورجوازية الصغيرة في مركز القيادة للثورة الوطنية الديمقراطيةلأنها عاجزة عن أداء دور القيادة في الثورة وتحقيق مهام الثورة في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي تحقيقا ناجزا.

اسباب عجز البورجوازية الصغيرة عن قيادة الثورة

ليست القيادة في الثورة عبارة عن تولي الصدارة و الادارة و التوجيه و التأثير في طور من أطوار المرحلة التاريخية أو معركة من معارك الثورة أو مرحلة من مراحلها. فالقيادة المطلوبة هي تولي زعامة الثورة في جميع أطوارها ولتحقيق جميع أهدافها وتوجيه وإدارة جميع معاركها خلال مرحلة تاريخية كاملة وهنا خلال مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي بأسرها. فقد تتولي طبقة أو فئة اجتماعية أنتفاضة معينة أو معركة معينة للثورة في فترة معينة. وقد تقود معركة أو عدة معارك ثورية ولكنها لاتقود جميع معاركها ولا توصل الثورة الى نهايتها المظفرة، فلذلك لا تعتبر قادرة على قيادة الثورة. والفئة البورجوازية الصغيرة هي بالضبط من هذه الفئات التي تخوض بعض المعارك الثورية الهامة على رأس الجماهير وتقود بعض الأنتفاضات الثورية المسلحة وحتى تقود الثورة الوطنية في أطوارها الأولى، السياسية منها خاصة، ولكنها عاجزة عن مواصلة قيادة الثورة حتى نهايتها المظفرة حتى تتحقق جميع أهدافها ومطاليبها وحتى يتم إنجاز جميع مهام مرحلة التحرر الوطني الديمقراطيةوذلك للأسباب الرئيسية التالية:

أولاً: إن البورجوازية الصغيرة ليست طبقة اجتماعية موحدة أو ثابتة بل هي فئات اجتماعية متباينة، متخلخلة صفوفها، متذبذبة و عناصرها غير موزونة ويتملكها الغرور والعجرفة بالإنتصارات التي تسكرها نشوتها ويتملكها الفزع والهلع بالأندحارات والاخفاقات التي تثبط عزائمها. وهي تنتقل من أقصى اليمين الى أقصى اليسار بسرعة البرق لأنها بحكم طبيعتها الطبقية تتراوح في إندفاعاتها بين الطبقة العاملة والبورجوازية الوطنية ومن خصائصها الأنفعال والفوران والهبوط والخذلان في المعنويات. وهذه كلها صفات يمنعها من تولي دور القيادة في الثورة الوطنية الديمقراطية لمدة طويلة أو حتى نهاية المطاف. ثم إن البورجوازية الصغيرة تنقسم الى مراتب ثلاث، أولاها قريبة من البورجوازية المتوسطة وتحلم بالوصول الى مرتبتها وبالتحول الى بورجوازية متوسطة فكبيرة. وهي

تتحلى بخصائص هذه المرتبة المتوسطة من البورجوازية الوطنية. أما المرتبة الثانية فهي الجماعة الوسطية من البورجوازية الصغيرة التي تكفي نفسها اقتصاديا على وجه العموم. وهي فئة ترتاب من نجاح الثورة ولكنها لا تعارضها. والفئة الثالثة هي التي تشكل الجناح اليساري للبورجوازية الصغيرة وهي الفئة التي لاتكفي نفسها اقتصاديا و تشعر بالعجز السنوي المتزايد، وهي فئة هامة في الحركة الثورية وتشترك في الثورة. وإن عدم التجانس هذا ينفي إمكانية قيام البورجوازية الصغيرة بقيادة الثورة، خاصة لأن هذه الفئة الاجتماعية تتفتت و تتحول الى البورجوازية المتوسطة أو البورجوازية الجديدة أو تتدهور فئاتها الدنيا وخاصة في الأزمات الاقتصادية لتتحول الى اشباه البروليتاريا حيث يحمل العاطلون منهم أفكارا فوضوية.

ثانياً: إن البورجوازية الصغيرة تسعى الى الأنفراد بالحكم و تلجأ الى فرض حكمها بشكل فوقاني، بشكل دكتاتوري. وتحجب الحريات الديمقراطية وتمنع الحقوق الديمقراطية عن الجماهير الشعبية بحجة صيانة الثورة ومكاسبها، هذه الثورة التي تكون ناقصة مالم تعتمد على الجماهير الشعبية ومالم تخض هذه الجماهير غمارها. ولذلك فإن البورجوازية الصغيرة تشوه مفهوم الثورة عندما تضع نفسها في موضع الوصي على الثورة وعلى الجماهير الشعبية ومن ثم تعيق إنطلاقة الثورة وتفجير طاقاتها الهائلة. والبورجوازية الصغيرة عندما تحكم ولا تؤمن بالحريات الديمقراطية لا تسلك الطريق الصحيح لحل التناقضات الموجودة في صفوف الشعب بل تلجأ الى أساليب بيروقراطية منافية للديمقراطية في معالجة هذه التناقضات مما يؤدي في النهاية الي تغليب الجانب العدائي من هذه التناقضات على الجانب اللاعدائي و بالتالي الى تحويل الأصدقاء الى أعداء، والى الاصطدام بالعمال والفلاحين الفقراء وممثليهم السياسيين. لذا فإن البورجوازية الصغيرة لا تؤمن بالاساليب الديمقراطية في حل التناقضات داخل صفوف الشعب ولا تؤمن بضرورة إطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية تضع حكمها الوطني التقدمي في مواجهة الجماهير الشعبية التي تأبى الوصاية الفوقانية. ثم إن البورجوازية رغم قيامها ببعض الإنجازات الديمقراطية كالاصلاح الزراعي مثلا، الا أنها ترفض إعطاء الجماهير الشعبية حقوقها الديمقراطية. كل ذلك يعني أن البورجوازية

الصغيرة لا تقدر على قيادة ثورة ديمقراطية لأنها تخشى الجماهير الشعبية التي تحتم ديمقراطية الثورة إعطائها الحريات للشعب وحجبها عن أعداء الشعب الحقيقيين فقط. فالفئة الإجتماعية التي لا تؤمن بالديمقراطية ولا باطلاق الحريات الديمقراطية للشعب لا تستطيع قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية التي تشكل الديمقراطية جوهرها. إن سلوكية البورجوازية الصغيرة البيروقراطية تدفعها الى التوقف عن مواصلة الثورة الى الارتداد عنها، الى التراجع عن الأندفاع الثوري الى الامام حتى نهايتها المظفرة.

ثالثاً: أن البورجوازية الصغيرة لا تستطيع إنجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية في نواح عديدة هامة منها:

١- عجزها في القضاء التام على بقايا الامبريالية وبقايا عناصر الردة المضادة للثورة التي تسهل للامبريالية إمرار مؤامراتها ضد حكمها البورجوازي الصغير الوطني التقدمي من جهة وتجعل البورجوازية الصغيرة عاجزة عن التصدي الناجح والمستمر للمؤامرات الاستعمارية من جهة اخرى، مما يعني في التحليل النهائي أن البورجوازية الصغيرة لا تستطيع تحقيق المهمة الأولى للثورة الوطنية وهي الاطاحة التامة بالاستعمار والقضاء الناجز على نفوذها وآثارها خاصة لأن البورجوازية الصغيرة تبقى على بعض الخيوط مع الإمبريالية ولا تنسف جميع الجسور معها مما يجعلها عاجزة عن تحقيق المهمة الأولى للثورة وبالتالي عن قيادتها بنجاح.

٢- عجزها عن إنجاز إصلاح زراعي جذري يخدم الفلاحين الفقراء ويعتمد عليهم بالدرجة الاولى ويؤدي الى تطوير يغاير الأسلوب البورجوازي في الريف، بل يكون الإصلاح الزراعي الذي تقوم به اصلاحا زراعيا على النمط الرأسمالي مما يؤدي الى سيادة العلاقات الرأسمالية وأنعاشها في الريف والى إكثار العناصر الرأسمالية الريفية وإطلاق العنان لنموها مما يدق اسفين في تحالف العمال والفلاحين الفقراء ويعرقل هذا الشرط الأساسي لنجاح الثورة ولإنجاز الاصلاح الزراعي والتحول باتجاه الاشتراكية.

٣- عجز البورجوازية الصغيرة عن حل المسألة القومية على أساس تقدمي وفق حق تقرير المصير الذي تتبناه الاشتراكية العلمية و الذي يعتبر الحل الوحيد الناجز للمسألة القومية وذلك بحكم الوشائج التي تشدها بالبورجوازية و أفكارها الشوفينية وبقايا

ترسبات الذهنية البورجوازية وبحكم ضبابية ذهنية البورجوازية الصغيرة التقدمية. وإن عدم حل المسألة القومية يعني عدم إنجاز جميع مهام الثورة الوطنية الديمقراطية، يعني عجزها عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية بنجاح تام.

رابعاً: بدلا من الاتيان بسلطة شعبية ديمقراطية تجسد حكم العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والقسم التقدمي من البورجوازية، هذه السلطة الضرورية لإنجاز مهام مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي، تفرض البورجوازية الصغيرة حكمها الأنفرادي بدلا عن الحكم الائتلافي. وهذا يعني الاخفاق في حل المسألة الأساسية في الثورة و أعني بها مسألة السلطة حلا صحيحا. إن البورجوازية الصغيرة لا تبني الديمقراطية الشعبية التي أصبحت تاريخيا الهدف الأساسي الذي ينجز بتحقيقه مهام الثورة الوطنية الديمقراطية. وهكذا فانها تعجز عن مواكبة الثورة الى نهايتها المظفرة مما يجعلها غير قادرة على قيادة الثورة الديمقراطية الشعبية التي غدت السبيل الوحيد للتحرر الوطني الناجز و لاجراء الاصلاحات الديمقراطية الشعبية و لتجسيد الترابط العضوي القائم بين الثورة الاشتراكية باعتبار الديمقراطية الشعبية مرحلة إنتقالية وتمهيدية للاشتراكية. وبدلا من إنتهاج هذا السبيل القويم بالتحالف مع الكادحين تحاول البورجوازية الصغيرة القفز من على متطلبات وضرورات بناء الديمقراطية الشعبية وفي محاولة فاشلة لبناء الاشتراكية بمفهومها البورجوازي الصغير، أي بتحريف الاشتراكية ومسخها وإظهارها بشكل إجراءات تأميمية و إصلاحات مبتورة. وهذه محاولة خطيرة تخلط بين مرحلتين للثورة هما الديمقراطية الشعبية والاشتراكية، مما يؤدي الى خلق مصاعب عديدة و الى اجهاض ثورتها الوطنية الديمقراطية فيما بعد.

حقا أن الثورة الوطنية الديمقراطية جزء من الثورة الاشتراكية العالمية ولا يجوز السماح بأن تتخلل بين الثورة الوطنية الديمقراطية والثورة الاشتراكية أية فترة للحكم البورجوازي ولكن لا يجوز الخلط بين مهمات المرحلتين ولا يمكن القفز على الأولى نحو الثانية لأنه لا يمكن بناء الاشتراكية دون اتمام مرحلتها الأولي، لأن الاشتراكية لا تبنى الا باكمال الديمقراطية الشعبية لمهامها و بعد إنجاز مهامها فقط. لذلك فأن محاولة البورجوازية الصغيرة هذه للخلط بين المرحلتين يعني عدم بناء كليهما لا الديمقراطية الشعبية ولا الاشتراكية ولاتستطيع البورجوازية الصغيرة أن تقود الثورة

الوطنية الديمقراطية في هذا السبيل ولا تستطيع قيادة البناء الاشتراكي بحكم طبيعتهما (الاشتراكية الاممية والبورجوازية القومية) المتناقضتين وبحكم كون الاشتراكية نظام الطبقة العاملة، نظاما اجتماعيا لا يمكن تشييده إلا بقيادة الطبقة العاملة و طليعتها الاشتراكية العلمية و إلا بإقامة دكتاتورية البروليتاريا. يقول كارل ماركس:-

((بين المجتمع الرأسمالي و المجتمع الشيوعي تقع مرحلة تحول المجتمع الرأسمالي تحولا ثوريا الى المجتمع الشيوعي. وتناسبها مرحلة أنتقال سياسية لا يمكن أن تكون الدولة فيها سوى الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا.)).

وردا على محاولات كاوتسكي لتحريف هذه المقولة و تساؤله: ((لم الدكتاتورية ؟ ما دامت هناك إغلبية ؟)) يستشهد لينين باقوال ماركس وأنجلز و تبريراتهما الاتية لوجوب الدكتاتورية:

((لسحق مقاومة البورجوازية، لبعث الخوف في نفوس الرجعيين، لدعم سلطة الشعب المسلح ضد البورجوازية، لكي يتمكن البروليتاريا من قمع أعدائها بالعنف)).

إذن فالمسألة لا تنتهي باسقاط البورجوازية والملاكين ومصادرة ممتلكاتهم والشروع ببناء الاشتراكية بل تستمر مقاومتهما بضراوة كما أنهم ((يظلون مع ذلك أقوى من المستثمرين لأن علاقات المستثمرين العالمية هائلة)) على حد قول لينين في كتابه الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي. ثم أن محاولات إستعادة النظام البورجوازي تستمر من جانب البورجوازية المدحورة. يقول لينين:

((أن الأنتقال من الرأسمالية الى الشيوعية هو مرحلة تاريخية كاملة. طالما لم تنته يظل المستثمرون يحتفظون حتما بأمل العودة بأمل يتحول الى محاولات للعودة. فأن المستثمرين الذين لم يكونوا يتوقعوا إطلاقا إسقاطهم ولم يكونوا يصدقونه ولم تخطر في بالهم فكرته، يندفعون الى المعركة أثر أول هزيمة جدية ويخوضون غمارها بعزيمة مضاعفة عشر مرات، وسورة جنونية وحقد إشتد مئات المرات من أجل إستعادة ((الفردوس)) المفقود، من أجل عائلاتهم التي كانت تحيا حياة هانئة وحكم عليها ((الرعاع الأنذال)) الأن بالخراب والبؤس أو بالكدح «الفظ».

ووراء الرأسماليين المستثمرين ترى السواد الأعظم من البورجوازية الصغيرة التي أثبتت عشرات السنين من التجارب التاريخية في جميع البلدان انها تتردد و تتأرجح وتسير اليوم وراء البروليتاريا و غدا تخاف مصاعب الأنقلاب فيتملكها الذعر لدى أول هزيمة أو نصف هزيمة يمنى بها العمال و تضطرب و يطيش صوابها وتتباكى وتركض من معسكر الى معسكر آخر..)) لينين - الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ص٨٣ وص٨٤ من كتيب حول الديمقراطية الاشتراكية السوفياتية طبعة موسكو العربية. ويتضح مما تقدم أن دكتاتورية البروليتاريا ضرورية لتوطيد الاشتراكية ولبناء الاشتراكية ولصيانتها من محاولات البورجوازية المدحورة. ولذلك فأن دكتاتورية البروليتاريا ليست نهاية المطاف. يقول لينين:

((ليست دكتاتورية البروليتاريا نهاية النضال الطبقي، بل هي إستمرار لهذا النضال باشكال جديدة. فدكتاتورية البروليتاريا هي النضال الطبقي للبروليتاريا الظافرة التي استولت علي السلطة السياسية ضد البورجوازية المغلوبة ولكن غير المبادة، غير المتلاشية والتي لم تكف عن المقاومة بل شددت مقاومتها)) ص١٧٧ من حول مسائل اللينينية، الطبعة العربية، دار ابن سيناء - بيروت. فكيف يمكن مقاومة محاولات البورجوازية المحمومة والجنونية ودحر مقاومتها العنيدة والضارية بدون دكتاتورية أكثر الطبقات ثورية وحزما بدون دكتاتورية البروليتاريا؟ وكيف تستطيع أنظمة الحكم التقدمية للبورجوازية الصغيرة أن تصمد الى النهاية أمام الضغوط الهائلة للبورجوازية الأهلية والبورجوازية الدولية؟ و محاولاتهما لاعادة فرض الرأسمالية، خاصة والبورجوازية الصغيرة ليست طبقة متجانسة ولا هي ثابتة وحازمة في ثوريتها وصلابتها النضالية ؟ الجواب هو أن البورجوازية الصغيرة ليست أهلا لتولي هذه المهمة الخطيرة و الصعبة والمعقدة بل هي عاجزة عن أدائها عن القيام بها تماما. وهذه حقائق ثابتة برهنتها المؤلفات الاشتراكية العلمية لماركس و أنجلز و لينين و لا يمكن دحضها بمقولات تحريفية باطلة مهما حاولت التحريفية المعاصرة تزينها و تجميلها.

ولكل ما تقدم بيانه يمكننا القول بأن البورجوازية الصغيرة عاجزة عن أداء دور القيادة في الثورة الديمقراطية.

سادساً: عجز البورجوازية الصغيرة عن تحقيق تحالف طبقي واسع بقيادتها وعجزها عن صيانة الوحدة الوطنية أو الجبهة الوطنية المتحدة، لأنها لا تستطيع أن تكتل العمال والفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين و البورجوازية الوطنية التقدمية في جبهة وطنية متحدة بسبب أنها لا تؤمن بالجبهة المتحدة بل تسلك الأسلوب البيروقراطي الفوقاني، الاسلوب التسلطي الدكتاتوري لفرض مشيئتها وإرادتها على الجماهير الشعبية، وبسبب انها لا تؤمن بالديمقراطية وإطلاق الحريات الديمقراطية لهذه الجماهير الشعبية، ولأنها بحكم طبيعتها الطبقية تلغي تحالف العمال والفلاحين - الأساس المتين للجبهة المتحدة - والقيادة كما هو معلوم لا تكتسب بالعنف أو بالقوة وبالتسلط الفوقاني، بل باقناع الجماهير الشعبية وباقتناعها بصحتها وتقبلها لها. وأكثر من ذلك فإن تجارب البلدان العربية والاسيوية تبرهن أن البورجوازية الصغيرة تهدم الجبهة الوطنية المتحدة حتى إذا وجدت، ناهيك عن بذل المساعي لتشكيلها.

وفي أغلب هذه البلدان تعرب البورجوازية الصغيرة - حالما تستلم الحكم - عن عدم ايمانها بالجبهة الوطنية المتحدة صراحة وتطرح بديلا عنها مقولة ((التنظيم الواحد)) أو ((الحزب القائد الواحد)). وهذا يعني أن الثورة الوطنية الديمقراطية التي يحتم لإنتصارها وجود جبهة وطنية متحدة لا يمكن أن تقاد من قبل البورجوازية الصغيرة التي لا تؤمن بها ولا تستطيع أن تضمن تشكيلها و لا قيادتها.

ولنأخذ التجربة العراقية بنظر الاعتبار لنعتبر منها.

التجربة العراقية مع البورجوازية الصغيرة

في العراق حاولت البورجوازية الصغيرة عن طريق ممثليها الضباط الأحرار قيادة الثورة الوطنية العراقية. فقد إستولى الضباط الأحرار بقيادة الزعيم الركن عبدالكريم قاسم على مقاليد الحكم في ١٤/ تموز /١٩٥٨ وحققوا مهمة إسقاط الملكية وإعلان الجمهورية وتحرير العراق من القواعد العسكرية البريطانية و من حلف بغداد العدواني وأعلنوا قانون الاصلاح الزراعي. وأطلقت الثورة في سنتها الاولى الحريات الديمقراطية الى حد كبير (مع حرمان القوميين منها) وأطلق العنان لأنطلاقة جماهيرية واسعة. وأطلق العنان للبورجوازية الوطنية لتنتعش و تزدهر و تحقق زيادة ملحوظة في الارباح والمشاريع والأنتاج وحاولت البورجوازية أن تلتف حول الثورة وتطوقها وتستحوذ عليها، بينما كان «الشيوعيون» يحاولون تحويلها عن طريق التحالف ((مع الزعيم الاوحد)) وبشعار (الحزب الشيوعي بالحكم)) وسلميا الى حكم ديمقراطي موجَّه، وقد فشلت البورجوازية الوطنية في ترويض البورجوازية الصغيرة (العسكرية) وفي إحتوائها بشعاراتها وسياستها وعجزت عن إقناعها بتسليمها مقاليد الحكم تحت ستار ديموقراطي دستوري. وكذلك فشل الشيوعيون في تحويل قاسم الى كاسترو وفي الأنتقال سلميا الى الديمقراطيةالبرلمانية. وظلت العناصر البورجوازية الصغيرة (العسكرية) تصر على مزاولة الزعامة و القيادة بذهنية فردية ((فوق الطبقات والأحزاب)) ومن ثم بعقلية دكتاتورية و بدأت بالتراجع عن اطلاق الحريات الديمقراطيةوبحجبها عن الأحزاب والمنظمات والصحافة تدريجيا. بعدما أدخلت الشعب في دوامة خلافات دموية رهيبة وبعدما نجحت في خطة فرّق تسد وأحبطت الجبهة الوطنية وإنفرط عقد جبهة الاتحاد الوطني وشرع بعض احزابها بالتقاتل فيما بينها. ومع ذلك فقد حمت البورجوازية الصغيرة (اقتصاديا) مصالح البورجوازية الوطنية ولكنها حرمتها من حقها في الاشتراك في الحكم الوطني و في ممارسة الحريات الديمقراطية مما أوجد ذلك تناقضا بينهما.

ثم بدأت البورجوازية الصغيرة بالارتداد عن الثورة وخاصة عن الاصلاحات الديمقراطية وبمغازلة اليمين والرجعية تحت شعار ((عفى الله عما سلف)) وبقيت الرأسمالية الكومبرادورية دون أن تمس مصالحها و شرعت الاقطاعية بالأنتعاش و خاصة في كردستان، حيث إتجه الحكم القاسمي اليها بأمل إستغلالها ضد الحركة القومية الكردية، وبدأ الاصلاح الزراعي (البورجوازي الطابع) بالتعثر والفشل. وبردت علاقة الحكم الوطني البورجوازي مع جميع الأحزاب السياسية الوطنية والتقدمية.

لقد برهنت تجربة العراق هذه عجز البورجوازية الصغيرة أيضاً عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية نحو تحقيق جميع أهدافها وظهرت إجراءاتها الإصلاحية كاجراءات غير جذرية تتسم بالوسطية والإصلاحية في كثير من المجالات. وظهرت ارتباطاتها الوثيقة بالبورجوازية الوطنية التي تشدها لايقاف تقدمها الى الامام.

ثم عجزت البورجوازية الصغيرة عن تقديم حل مقبول لمسألة السلطة – المسألة الأساسية في الثورة – إذ حاولت احتكارها لنفسها فحرمت منها العمال والفلاحين والبورجوازية الوطنية وفئات عديدة من البورجوازية الصغيرة نفسها. ثم عجزت عن تقديم حل علمي للمسألة القومية. وبدلا من إرساء الوحدة الوطنية على أسس المساواة الحقيقية وعلى قواعد الاتحاد الاختياري بافساح المجال ليمارس الشعب الكردي حقه في الحكم الذاتي ضمن الجمهورية العراقية، تراجعت حتى عن إقرارها مبدأ الشراكة في الوطن بين العرب والاكراد، ثم تحولت الى مواقع العداء واستعمال القوة العسكرية ضد القومية الكردية إنتهى بها المطاف الى شن حرب إقتتال الاخوة في كردستان العراق، فهدمت بذلك الوحدة الوطنية نهائيا بعدما كانت قد صدعتها بدورها التخريبي المعروف في شق الصف الوطني المتحد وهدم جبهة الاتحاد الوطني التي ضمت الأحزاب الوطنية الخمسة:- الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي وحزب الاستقلال.

كذلك فشلت البورجوازية الصغيرة في حل مسألة التناقضات الداخلية في توفير الحريات الديمقراطية للاحزاب والقوى الوطنية وحاولت مسح الحياة الحزبية والنقابية والمهنية.

اما على الصعيد القومي فقد تبنت سياسة كوسموبوليتية قوامها تجاهل وجود الامتين العربية والكردية و وجود حركتيهما القوميتين. وحاربت حركة الوحدة العربية دون تقديم شعار صحيح في موضوع الوحدة العربية.

ومن الأنصاف الاقرار بأن الأحزاب الوطنية التقدمية قد عجزت عن تقديم الشعار الصحيح للمرحلة وفشلت في صيانة إتحادها الوطني وفي حل تناقضاتها الداخلية باساليب ديمقراطية، اساليب النقاش والحوار والأنتقاد والاقناع. فتحولت التناقضات الداخلية بينها الى تناقضات عدائية وحادة إستعمل لحلها القتل والابادة الجسدية والارهاب والاضطهاد، بينما كان الواجب يقضي برفع شعار حكم ديمقراطي شعبـي بدلا من تخليد حكم البورجوازية الصغيرة الوطني والتطبيل لزعامة قائدها الأوحد، بينما كان الواجب يقضي بحشد القوى وتعبئة الطاقات الشعبية و توحيد الأحزاب التقدمية وقوى العمال والفلاحين من أجل تحقيق هذا الهدف. فلقد كانت الأحزاب التقدمية تفتقد تحليلا طبقيا صحيحا للاحداث والتطورات وتفتقد رؤيا ثورية للتطورات وللمستقبل وتواجه الاحداث بتكتيكات يومية ومواقف بنت الساعة وسياسات قصيرة الأمد دون أن تكون لها ستراتيجية واضحة تمارس خططها للوصول اليها، لتحقيقها، مما فوت على العراق فرصة تاريخية نادرة.

وقد مارست البورجوازية الصغيرة العارفية سياسة أكثر يمينية وأشد رجعية رغم قيامها بالتأميمات تحت تأثير التطورات العربية ورغم صراخها الكاذب عن الوحدة العربية. فلقد أسكرتها أُبهة الحكم ومغانمها ونست شعار الوحدة العربية. أن الزمرة العارفية تعطي نموذجا حيا للصراخ و العويل الكاذب من أجل الوحدة من جهة ونسف الخطوات الوحدوية الجدية من جهة اخرى.

ومن المعلوم أن شعار الوحدة العربية الذي طرحته البورجوازية قد جاء مطبوعا بطابع البورجوازية الصغيرة اللاديمقراطي، بحيث طرح الشعار بشكل مركزي شديد، بشكل بدا للجماهير الشعبية و كأنه نوع من التسلط، من التحكم. و ظهرت حقيقة عامة يجدر بجميع المناضلين العرب أن يفهموها جيدا ألا وهي أن الوحدة العربية لا تتحقق إلا على ايدي الجماهير العربية بقيادة الطبقة العاملة و إلا في خضم الثورة العربية الديمقراطيةالشعبية. أن الاضرار الفادحة التي ألحقتها البورجوازية الصغيرة بالوحدة العربية من جراء شعاراتها

اللاديمقراطية والخاطئة ومن جراء تصرفاتها التحكمية والدكتاتورية الضارة وبسبب طرحها الفوقاني لشعار الوحدة وتنكرها لضرورة الوحدة الديمقراطيةولتوفير الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية واحزابها التقدمية. إن هذة الاضرار لأفدح بكثير من أخطار الاقليمية والبورجوازية الكبيرة واضرارهما للوحدة العربية. والمؤسف إن الأحزاب الشيوعية العربية في المشرق لم تدرك أهمية الوحدة العربية كمطلب جماهيري عربي أولا «وكإستجابة لحاجات مادية لتطور المجتمع العربي ثانيا و أخيرا» كتحقيق لفكرة الاشتراكية القائلة بتفضيل الكيانات الكبرى على الكيان الصغير وتفضيل الاتحاد بين الامم المختلفة على الأنفصال فيما بينها من حيث المبدأ وبالتالي بضرورة توحيد أجزاء الامة الواحدة كتطبيق لقانون نشوء الامم وتطورها من جهة ولخلق كيان أوسع وأقوى في مواجهة الامبريالية وأصلح لتسريع التطور الاجتماعي ولنمو القوى المنتجة والطبقة العاملة من جهة اخرى.

فالامة العربية امة واحدة جزأتها الامبريالية والاقطاعية لغرض طغيانهما وتسلطهما على الجماهير الشعبية العربية ولاضعاف مقاومة هذه الجماهير وتفتيت قواها وطاقاتها. والنضال العربي ضد الامبريالية والصهيونية والاقطاعية وضد التجزئة هو نضال عادل ومشروع. لذلك يجب على القوى الطليعية العربية أن تخوض غمار هذا النضال وأن تسعى لقيادته. نعم على القوى الطليعية العربية أن تحتضن التيار التحرري الوحدوي القومي وأن يوجه هذا التيار ضد الامبريالية والصهيونية والاقطاعية والتجزئة ومن أجل التحرر الناجز والديمقراطية الشعبية والوحدة العربية وبذلك تحرم القوى البورجوازية والرجعية من إمكانية التلاعب بعواطف الجماهير الشعبية ومن إستغلال التيار القومي العربي (الموجود تأريخيا وموضوعيا) لصالح اليمين أو المشاريع الاستعمارية المشبوهة ذات الصفة الاتحادية أو الوحدوية العربية. وبالعكس، فعلى القوى الطليعية العربية تقع قيادة التيار القومي التحرري الوحدوي العربي في درب النضال الثوري ضد الامبريالية والصهيونية والاقطاعية والتجزئة ومن أجل التحرر التام من الإمبريالية وامتداداتها السياسية والاقتصادية والفكرية ومن أجل القضاء التام على الاقطاعية والتجزئة وبالتالي من أجل الديمقراطية والوحدة القومية للامة العربية.

أن إحتضان وقيادة التيار القومي التحرري من قبل الأحزاب الطليعية لا يؤدي الى عزل اليمين والعناصر العميلة المتاجرة بالقومية أو عزل البورجوازية عن قيادة الحركة التحررية فحسب، بل ويؤدي أيضاً الى تطوير المحتوى التقدمي لهذا التيار القومي وإنعاش مضمونه الديمقراطي والدمج الصحيح بين المسألة القومية و المسألة الفلاحية وبالتالي جعل الحركة التحررية القومية حركة ثورية ذات مضمون فلاحي وديمقراطي تجمع في شعاراته بين الحقوق القومية والحقوق والمطاليب الاجتماعية التقدمية. وبذلك تستطيع القوى الطليعية العربية أن تكسب قيادة جماهير الفلاحين وكذلك قيادة التيار القومي التحرري وبالتالي أن تكسب قيادة النضال الوطني الديمقراطي فتصبح طليعة حقيقية للشعب قادرة على قيادة نضاله ضد الامبريالية والاقطاعية والرجعية ومن أجل التحرر و الديمقراطية الشعبية والوحدة الوطنية.

ولا ريب أن تحقيق وحدة عربية تقدمية من خلال نضال الجماهير الشعبية العربية سيحقق للامة العربية هدفها القومي الأسمى، كما سيخلق كيانا قويا تقدميا يرجح كفة الشعوب الثورية ويكسبها دولة تقدمية كبرى ذات إمكانيات مادية وبشرية وطاقات هائلة. وبذلك يمكن تحطيم حلقات قوية من الجبهة الامبريالية والرجعية والصهيونية والاخلال بالتوازن في افريقيا والشرق الاوسط لصالح الشعوب الثورية. وبتحقيق الوحدة العربية يمكن للقوى الثورية العربية أن توحد طاقاتها العظيمة وتتلاحم بها مع قوى الشعوب الثورية في النضال لاسقاط الامبريالية على النطاق الاقليمي والعالمي، كما تسهل الوحدة العربية التقدمية على الأمة العربية إنجاز مهمات التحرير الاقتصادي كتأميم النفط العربي الغزير وبناء اقتصاد وطني قوى مستقل وتصنيع البلدان العربية ومن ثم سد الأسواق العربية بوجه الرأسمالية الدولية. وحرمان هذه الرأسمالية الدولية من النفط العربي والأسواق العربية والمواد الخام العربية سيؤدي الى تشديد الأزمة الخانقة للنظام الرأسمالي العالمي وبالتالي الى المساهمة في التعجيل بأنهيار الامبريالية العالمية خاصة والامة العربية تعادي الصهيونية التي تشكل حلقة هامة من الامبريالية العالمية.

ولما كانت للوحدة العربية مثل هذه الأهمية فقد كان طبيعيا أن تعاديها الامبريالية و تعرقل تحقيقها وتصون الحدود المصطنعة وتحمي التجزئة الاقطاعية والاقليمية القائمة. كما كان من الواجب أن تناضل الأحزاب الشيوعية في مقدمة الجماهير الشعبية

العربية لتحقيق أهداف حركة التحرر القومي العربي وأن تحتضن التيار القومي التقدمي وتقود هذا التيار لتصبح الطليعة الحقيقية للقومية العربية وللجماهير الشعبية العربية. فمهمة القوى الطليعية الثورية العربية هي إذن قيادة التيار التحرري القومي باتجاه تقدمي معادي للامبريالية والاقطاعية والصهيونية والنضال من أجل التحرر الشامل والديمقراطيةالشعبية والوحدة العربية.

هكذا نجد البورجوازية الصغيرة فاشلة عمليا في أداء دور القيادة في الثورة الوطنية بنجاح. فماعدا إسقاط الأنظمة الملكية الموالية للإمبريالية (سياسيا) و الى حد ما اقتصاديا واجتماعيا وتحقيق بعض الاصلاحات الديمقراطية في المجالات الزراعية والصناعية والثقافية، نراها تفشل في خلق الوحدة الوطنية (وتشكيل الجبهة الوطنية المتحدة) وفي توفير الحريات والحقوق الديمقراطية للجماهير الشعبية كي تنطلق وتحشد طاقاتها وتعبـيء امكانياتها في المعارك الوطنية، ونراها تفشل في تحقيق مهام مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي الأساسية في القضاء الناجز على الإمبريالية وركائزها وقلع جذورها الاقتصادية والاجتماعية في البلاد وفي اجتثاث شأفة العلاقات الاقطاعية والقضاء على الاستغلال الطبقي والاضطهاد القومي وكذلك في بناء السلطة الشعبية المطلوبة في هذه المرحلة التاريخية، لذلك سقطت البورجوازية الصغيرة في الامتحان و بان فشلها.

التسرع اليساري البورجوازي الصغير

لقد فشلت البورجوازية الصغيرة في العراق كما فشلت في جميع أقطار العروبة في قيادة الثورة بنجاح حتى نهايتها المظفرة. والأنكى أن البورجوازية العربية الصغيرة قد عجزت حتى عن بناء قوات عسكرية قادرة على الصمود في ميدان الدفاع الوطني، فبان عجزها المزري بوضوح. لقد صدقت الاحداث مقولة لينين بأن الحرب هي امتحان ومحك لجميع الطبقات والأحزاب السياسية. وقد جاءت حرب حزيران عام/١٩٦٧ لتكشف الحقائق المرة عن البورجوازية الصغيرة العربية وفشلها المعيب في تولي قيادة الثورة الوطنية الديمقراطيةحتى النهاية وظهرت عيوبها عارية للعيان. وكرد فعل للاحداث فقد اتجهت فئات عديدة منظمة ومبعثرة من البورجوازية الصغيرة بسرعة الصواريخ الى اليسار وأقصى اليسار فاصيبت فئات منها بدوار ((التسرع اليساري)) وقد تعالت بينها الاصوات تؤذن بسقوط البورجوازية الصغيرة تأريخيا كأن ذلك اكتشاف فريد جديد. والواقع أن البورجوازية الصغيرة ساقطة تاريخيا منذ ظهور البروليتاريا كقوة جديدة أوكل اليها التاريخ بمهمة قيادة الثورة وليس اكتشاف أصحابنا اليساريين الجدد بجديد، بل أنه قديم ومر عليه اكثر من قرن من الزمان، ولكن اخواننا اكتشفوه مؤخرا بعدما لمسوه بايديهم وشاهدوا ((صرح الاماني)) المعلقة على الحكم التقدمي للبورجوازية الصغيرة يتداعى وأوشك أن ينهار على رؤوسهم أيضاً.

الا أن هذا الاكتشاف الموفق لا يستوجب الفزع والهلع ولا الهروب من الواقع باتجاه أقصى اليسار ولا يبرر تبني الشعارات ((ما فوق اليسارية)) وإعلان العداء المكشوف والحرب الفورية على هذه الأنظمة الوطنية التقدمية، «كرد فعل» لسقوط الخيال، هذا مع العلم أن الطبيعة الطبقية للبورجوازية الصغيرة (كمالك صغير) تضفي عليها هذه الصفات الثوروية التي تشبه الفوضوية أحيانا. يقول لينين:

((لقد تقرر عند الماركسيين نظريا بصورة تامة واختبار جميع الثورات والحركات الثورية في أوروبا قد أكد هذا الامر بصورة تامة أن المالك الصغير (هذا النموذج الاجتماعي الذي

يمثل في كثير من البلدان الأوروبية جمهورا غفيرا للغاية) إذ يعاني في ظل الرأسمالية ظلما دائما وغالبا ما تسود حياته بشدة وسرعة خارقة ويصيبه الدمار، يصاب من جراء ذلك بسهولة، بالافراط في الثورية، الا أنه غير قادر على أن يبدي الثبات والصمود والتقيد بالطاعة.)) ص٢٠ من مختارات لينين - الجزء الرابع - الطبعة العربية / موسكو.

يقينا أن الثوريين الحقيقيين والماركسيين اللينينيين يرحبون بتحول المناضلين التقدميين الى اليسار وبرغبتهم في تبني الماركسية اللينينية، فالنظرية الاشتراكية العلمية ليست احتكارا على فئة ولم تسجل في دائرة الطابو ملكا صرفا على احد. انها نظرية ثورية من أجل التغيير الثوري، انها نظرية ثورية للجماهير الشعبية ترشدهم في النضال الثوري وترشد جميع الذين يحبون وطنهم ويريدون الخير لشعوبهم و يرغبون بصدق واخلاص أن يسلكوا طريق التقدم الاجتماعي. انها نظرية ثورية لجميع العمال والفلاحين والكادحين والمثقفين الثوريين الذين يريدون تحرير الأنسان من الاستغلال والاضطهاد القومي و يناضلون من أجل الاشتراكية. إنها نظرية الأنسانية التقدمية بأسرها.

ولكن الادعاء بالنظرية و تبني الاشتراكية العلمية وترديد جمل من ماركس و لينين و غيرهما من فلاسفة الماركسية اللينينية شيء، وفهم وإستيعاب نظريتهما وفلسفتهما ودمج حقيقتها العامة بالظروف الواقعية والخصائص المحددة للثورة شيء آخر. أن فهم النظرية الاشتراكية العلمية وإستيعابها هو الخطوة الاولى، اما الأهم منها فهو تطبيقها العملي و دمجها بالشروط الملموسة و الخصائص الحسية للنضال الثوري باعتبار النظرية هادية للعمل و مرشدة للنضال، يقول لينين ((أن الممارسة العملية أعلى من المعرفة (النظرية) لانها لا تمتاز بصفة الشمول فحسب بل تمتاز كذلك بصفة الواقع المباشر)).

ويقول ماوتسي تونگ: ((أن النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة تضع الممارسة العملية في المقام الاول إذ تعتبر أن معرفة الأنسان لا يمكن أن تنفصل اطلاقا عن الممارسة العملية وتنبذ كل النظريات الخاطئة التي تنكر أهمية الممارسة العملية وتفصل المعرفة عن الممارسة العملية)) ص٤٣٤ من المؤلفات المختارة - الجزء الاول - في الممارسة العملية.

لذلك يجب إدراك أهمية الحزب الطليعي المسلح بالافكار الاشتراكية العلمية والذي ينجز هذه المهمة ويعبر عنها بمنهاجه وسياسته الثورية الصائبة وبوضعه الصحيح

لستراتيجية صائبة وتكتيكات مدروسة تخدم هذه الستراتيجية. فالحزب الطليعي هو الذي ينظم الممارسة النضالية ويقود نضال العمال والفلاحين والكادحين والمثقفين الثوريين المندمجين بهم، وهو الذي يتولي خلق الكوادر والعناصر المناضلة المشبعة بالافكار الثورية والنظرية الاشتراكية العلمية، وهو الذي يستطيع صهر العناصر اليسارية الجديدة التي يرغب في تبني الماركسية اللينينية بصدق واخلاص ثم أن تحول هذا الفريق من العناصر الثورية الى اليسار وتركهم لنهجهم البورجوازي الصغير وشجبهم الذهنية البورجوازية الصغيرة وتحولهم نحو الاشتراكية العلمية هو أمر حسن ولكن المهم هو تحولهم عمليا الى اشتراكيين علميين حقيقيين، وهو مهمة شاقة تتطلب بجانب الاستعداد، الاستيعاب السليم للنظرية الاشتراكية العلمية والممارسة العملية المستمرة خلال فترة زمنية كافية، يقول ماوتسي تونگ ((أن للمادية الديالكتيكية – الفلسفة الماركسية ميزتين بارزتين: أولاهما صفتها الطبقية فهي تعلن صراحة أن المادية الديالكتيكية هي في خدمة البروليتاريا والثانية صفتها العملية فهي توكد على تبعية النظرية للممارسة العملية حيث أن النظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ثم تعود لخدمة الممارسة العملية)). وأن هذه المهمة تجابه بصعوبات عديدة لأن الجو النضالي الوطني والاممي مليء بالمقولات والدعايات التحريفية و ((اليسارية الجديدة)) و ((التروتسكية)) التي تتبنى تحت ستار مكافحة الستالينية (هذا الشعار التحريفي المعادي للماركسية اللينينية) تتبنى جملة من الافكار المضللة المعادية للاشتراكية العلمية.

أن الاسواق تعج بكتب جميلة المظهر تحمل عبارات مغرية عن اليسار الجديد والدوبروية والمكتبات تزخر بالكتب التحريفية القريبة عن اذهان الشباب المنسلخ من البورجوازية الصغيرة، لذلك فأن تحول الشباب التقدمي الى الاشتراكية العلمية ستعترضه عراقيل كثيرة وصعوبات جمة. ولا غرابة أن تدفعهم قاعدة ((رد الفعل)) من فعل أنسلاخهم من البورجوازية الصغيرة الى التسرع اليساري الذي يعبر عن نفسه بالشطب على البورجوازية الوطنية بأسرها (وما فيها من مراتب تقدمية) وبالمناداة بسقوط البورجوازية الصغيرة نهائيا وبترديد مقولات تروتسكية ودوبروية عن الثورة والبؤرة الثورية وتجاهل ضرورة الثورة الديمقراطية الشعبية، حتى كان رغبتهم الذاتية قادرة على تبديل أحكام التطور

الاجتماعي وفرضيات التاريخ. هذا بينما تبقى الحقائق الموضوعية في مكانها الاجتماعي التاريخي تتغير وتتفاعل وتتطور لا وفق رغبات الصفوة المثقفة أو امنياتهم الطيبة، بل وفق قوانين التطور الاجتماعي والحاجات المادية للمجتمع البشري وتصادم التناقضات.

فمثلا أن اعلان سقوط البورجوازية الصغيرة فعلا من قبل هؤلاء المناضلين لا يعني سقوط البورجوازية الصغيرة فعلا، لأن البورجوازية الصغيرة مازالت قوة ثورية في النضال وبالامكان أن تبقى قوة ثورية الى البناء الديموقراطي الشعبـي. فالبورجوازية الصغيرة هي إحدى القوى التقدمية المدعوة الى المشاركة في النضال الموحد لبناء الديمقراطية الشعبية. ولكنها لا تستطيع أن تكون قائدة هذا النضال.

هذا عن البورجوازية الصغيرة المحكومة التي تضم الفلاحين المتوسطين والطلبة ومعلمي المدارس الابتدائية والثانوية وصغار المحامين والاطباء والمهندسين وأصحاب الصناعات اليدوية وصغار موظفي الحكومة والكتبة وصغار التجار والكسبة كالبقالين والعطارين وأصحاب الدكاكين. وهذه البورجوازية الصغيرة تضم فئات واسعة وكثيرة من الشعب وبينها فئات مثقفة و متعلمة ذات شأن هام في الحركة الوطنية والثورية. و هي بجموعها تنقسم الى مراتب ثلاث. والبورجوازية الصغيرة بأسرها تعتبر مع العمال والفلاحين القوة الثورية الرئيسية في مرحلة التحرر الوطني. ولكنها عاجزة عن القيام بدور القيادة أو الطليعة. أما البورجوازية الصغيرة الحاكمة فتختلف عن البورجوازية الصغيرة قبل أن تتولى الحكم بالخصائص التالية:-

١- إن الفئة الحاكمة من البورجوازية الصغيرة غالبا تمثل المرتبة العليا من البورجوازية الصغيرة و هي المرتبة التي تكفي نفسها بنفسها اقتصاديا مع زيادة سنوية. وهذه الفئة الحاكمة لا تكفي نفسها سنويا فحسب، بل تشرع بالتحول الى بورجوازية متوسطة بفضل مواقعها في السلطة وبفضل الرواتب والامتيازات والمناصب والترقيات والترفيعات السريعة التي تنالها وبذلك تشكل الطبقة الجديدة وهي طبقة بورجوازية متوسطة جديدة في البداية، ولكنها تشرع بالتحول الى بورجوازية احتكارية بحكم احتكارها لسلطة الدولة التي يكون جوهر بنائها التحتي رأسمالية الدولة. فحينما تصبح رأسمالية الدولة البناء التحتي يشرع البناء الفوقي (السلطة السياسية والقانونية والتنفيذية أي الحكومة) بالتحول التدريجي الى حكومة رأسمالية الدولة طبقا لقانون توافق البناء الفوقي مع

البناء التحتي وكونه أنعكاسا وصورة سياسية فوقية للبناء الاقتصادي التحتي. وهكذا تتحول الفئة الحاكمة من البورجوازية الصغيرة الى البورجوازية المتوسطة تدريجيا ثم الى بورجوازية احتكارية من طراز جديد بحكم سيطرتها المطلقة على المشاريع الصناعية والمصرفية والمالية والزراعية وعلى الاقتصاد الوطني والتجارة الخارجية وبحكم تحول الدولة الى حكم رأسمالية الدولة. وهذا اختلاف هام بين البورجوازية الحاكمة والمحكومة.

٢- أن البورجوازية الصغيرة الحاكمة لا تمثل البورجوازية الصغيرة كلها ولا جميع مراتبها بل مرتبتها العليا غالبا. بينما تخوض البورجوازية الصغيرة بمراتبها العديدة (بدرجات متفاوتة طبعا) معارك التحرر الوطني. تشرع الفئة العليا الحاكمة من البورجوازية الصغيرة بالانسلاخ عن البورجوازية بالاختلاف معها والتردد في خوض النضال الثوري.

٣- بينما تمتاز البورجوازية الصغيرة المحكومة بخاصية و بقدرة التعاون مع العمال والفلاحين الفقراء وسائر الكادحين في النضال من أجل التحرر والديمقراطية الشعبية ترتد البورجوازية الصغيرة الحاكمة عن الديمقراطية الشعبية وتسعى لبناء حكمها الوطني التقدمي كبديل عنها.

٤ - بينما تناضل البورجوازية المحكومة مع العمال والفلاحين الفقراء و سائر الكادحين من أجل الحقوق والحريات الديمقراطية تشرع الفئة الحاكمة منها بحجبها من العمال والفلاحين الفقراء وممثليهم في صفوف المثقفين حالما تستولي على السلطة حيث تشرع بفرض دكتاتوريتها وتحرم بذلك الجماهير الشعبية الكادحة من الديمقراطية ومن ممارسة الحريات الديمقراطية.

٥- تقبل البورجوازية الصغيرة المحكومة بشعار الجبهة الوطنية المتحدة، ولكن البورجوازية الصغيرة الحاكمة ترفضها وتنبذ شعار الجبهة المتحدة لتطرح بدلا عنها شعار الحزب الواحد أو التجمع القوى الواحد أو الاتحاد الاشتراكي أو التنظيم الثوري الواحد، ومع ذلك فأن سقوط البورجوازية الصغيرة من علياء القيادة تاريخيا لايعني اخراجها من على منصة القيادة التي تقف عليها الآن أو طردها من ميدان التأثير على الاحداث والاوضاع فورا.

في نقاشه مع الشيوعيين ((اليساريين)) الألمان يناقشهم لينين في قولهم بسقوط البرلمانية تاريخيا مما يترتب عليه (بزعمهم) مقاطعة البرلمان بصورة مطلقة ودائمة، فيعترض لينين ويوضح الفرق بين سقوط البرلمانية تاريخيا وهو قول صحيح على المدى

الستراتيجي، وبين بقائها الواقعي في المدى التكتيكي. وفي عصر أنهيار الامبريالية يصف لينين الاستعمار ((بعملاق ذي قدمين من طين)) هذا الوصف الذي صاغه ماوتسي تونگ بعبارته المعروفة بأن ((الاستعمار وجميع الرجعيين نمور من الورق)). فعند الشرح توضح حقيقة أن كون الاستعمار عملاقا له قدمان من طين أو نمرا من الورق قول صحيح على المدى السراتيجي من حيث النظر الى المستقبل الذي هو للشعوب وجماهيره الكادحة حتما ولكن الاستعمار نمر حقيقي وقدماه من حديد وصلب إذا نظرنا اليه في اصطدامنا المباشر به، وعلى المدى التكتيكي، على مستوى الممارسة النضالية ضده.

و البورجوازية الصغيرة – الساقطة تاريخيا منذ عشرات السنين – ما زالت تملأ ساحة النضال الوطني و مازالت تتربع على عرش القيادة في توجيه الأحداث والأوضاع عمليا و فعليا في البلدان العربية المتحررة وستظل قابعة في منصة القيادة الى اليوم الذي تبرز فيه على المسرح الطبقة العاملة المنظمة تقودها طليعتها الثورية الاشتراكية العلمية في تحالف متين مع الفلاحين وسائر الكادحين، حينئذ فقط تستطيع الطبقة العاملة أن تزيح البورجوازية الصغيرة من منصة القيادة وتعيدها الى مكانها الصحيح اللائق بها في صف القوى التقدمية المصطفة خلف الطبقة العاملة المجاهدة.

ومالم تبرز طليعة ثورية اشتراكية علمية للطبقة العاملة، طليعة قوية تضم خيرة العناصر العمالية و تلف حول رايتها غالبية الطبقة العاملة و كل العناصر الشريفة والواعية منها ومالم تفلح هذه الطليعة في كسب ثقة الطبقة العاملة و إيجاد تحالف العمال و الفلاحين وسائر الكادحين تحت قيادتها، فأن شعار اسقاط البورجوازية الصغيرة سيظل في احسن الاحوال مقولة علمية نظرية، بينما يكون شعار اسقاط الحكم التقدمي للبورجوازية الصغيرة شعارا سابقا لأوانه غير ممكن التحقيق وقد يكون في خدمة قوى الردة المضادة للثورة أيضاً باعتباره شعارا (ما فوق اليسارية) مغامرا.

أن لينين رغم دعوته لتحويل ثورة شباط ١٩١٧ الى ثورة اشتراكية و دعوته العمال الى ابداء البطولة البروليتارية في سبيل إنجاح ثورتهم وقضيتهم ظل يعارض رفع شعار اسقاط الحكومة المؤقتة الى أن نضجت الظروف وظهرت الامكانية الحقيقية لأسقاطها. وعندما طرح نفر من لجنة الحزب في بتروطراد (باغداتييف وآخرون) شعار قلب الحكومة المؤقتة حالا في مظاهرات ايار ١٩١٧ أي قبل ثورة أكتوبر باشهر ((أنكرت اللجنة المركزية للحزب

البولشفي سلوك هؤلاء المغامرين اليساريين اشد الأنكار لانها اعتبرت أن هذا الشعار سابق لاوانه وغير صحيح ومن شأنه أن يضايق الحزب مسعاه الى اكتساب الاكثرية في مجالس السوفيات الى جانبه)). راجع تاريخ الحزب البولشفي - الفصل السابع.

ودعونا نستمع الى لينين وهو يشرح تجربة البلاشفة بدقته المعروفة وبعمقه النظري وبصيرته النفاذة إذ يقول :-

((لقد بدأ البلاشفة نضالهم المظفر ضد الجمهورية البورجوازية البرلمانية (في الواقع) و ضد المناشفة باحتراس شديد والاستعداد لذلك النضال بالرغم من الاراء التي غالبا ما نعثر عليها الآن في اوروبا واميركا لم يكن أمرا بسيطا ابدا. إننا لم ندع في مستهل الفترة المذكورة الى قلب الحكومة، بل لقد كنا نشرح عدم امكانية قلبها بدون تغييرات تمهيدية في هيئة السوفيتات و روحيتها، أننا لم ندع الى مقاطعة البرلمان البورجوازي، الى الجمعية التأسيسية، بل لقد كنا نقول منذ مجلس نيسان العام (١٩١٧) لحزبنا وكنا نقول رسميا باسم الحزب، أن جمهورية بورجوازية مع جمعية تأسيسية، خير من مثل هذه الجمهورية بدون جمعية تأسيسية، أما جمهورية ((العمال والفلاحين)) أي الجمهورية السوفيتية فهي خير من أية جمهورية بورجوازية ديمقراطية برلمانية. ولولا هذا الاستعداد الذي جرى باحتراس ودقة وتبصر وطول مدة لما استطعنا أن نحرز الإنتصار في تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩١٧ ولا أن نحتفظ بهذا الإنتصار)) ص ١٨ من مختارات لنينين - مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية - الطبعة العربية - موسكو.

وإذا راعينا الظروف الخاصة التي تمر بها البلدان العربية من حيث تعرضها لعدوان امبريالي وغزو صهيوني استيطاني وتذكرنا كيف أن الحزب الشيوعي الصيني كان قد دعا الى الاتحاد مع كايشك وحزبه أثناء تعرض الصين الى الغزو الياباني، يمكننا القول بأن شعار اسقاط الأنظمة التقدمية التي تقودها البورجوازية الصغيرة في الظروف الراهنة حيث لا توجد احزاب طليعية حقيقية قوية وحيث لم يتحقق تحالف العمال والفلاحين، هو شعار مغامر صبياني لا يخدم الا مخططات قوى الردة المضادة للثورة التي تتآمر على هذه الأنظمة تأمرا مفضوحا ومتواصلا.

ولكن ذلك لا يعني نبذ شعار الديمقراطية الشعبية بل يعني رسم ستراتيجية صحيحة تستهدف اقامة الديمقراطية الشعبية كهدف رئيسي في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي والنضال للوصول الى هذا الهدف بحشد القوى اللازمة لتحقيقه، بايجاد الطليعة الثورية الحقيقية وتقويتها وكسب ثقة الطبقة العاملة ولفها حول راية هذه الطليعة وتحقيق تحالف العمال والفلاحين والكادحين بقيادة هذه الطليعة باعتبار ذلك السبيل القويم لتحقيق الديمقراطية الشعبية ولاسقاط البورجوازية الصغيرة من منصة القيادة وتغيير حكمها الوطني التقدمي بحكم ديمقراطي شعبـي حالما تنضج الظروف وتتوفر الشروط دون ابطاء أو تأخير. ولا يجوز طرح شعارات متطرفة من غير أوانها ودون انضاج الظروف لتحقيقها والا تحولت العملية الى مزايدة يسارية فارغة، والى مغامرة صبيانية إذا حاولت فئة ثورية أن تطرح هذا الشعار للعمل من أجله دون وجود مستلزمات تحقيقه. لقد عانت ((القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي)) بقيادة المرتد عزيز الحاج من هذا المرض من داء التسرع اليساري وسلكت المغامرة اليسارية نهجا لها فتحطمت تنظيماتها القوية نسبياً بسرعة مذهلة لانها بالضبط لم تدرك حقيقة التناقض بين الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء والمثقفين الثوريين المرتبطين بهم من جهة وبين البورجوازية الصغيرة الحاكمة من جهة اخرى.

أن هذا التناقض في مرحلة الكفاح ضد الإمبريالية والغزو الصهيوني والمؤامرات الامبريالية هو تناقض ثانوي لأن التناقض الأساسي ما زال مع الامبريالية والصهيونية والطبقات والعناصر الرجعية العميلة، ولكن هذا التناقض يتدرج في أثناء سير الثورة الوطنية نحو الاقتراب من تحقيق الديمقراطية الشعبية الى تناقض عدائي، وخاصة بعد ما يتعاظم نضال الطبقة العاملة بقيادة طليعتها السياسية الثورية وعلى رأس الجماهير الشعبية الكادحة كالفلاحين والمراتب الثورية من المتعلمين والبورجوازية الصغيرة التقدمية، ويشتد كفاحها من أجل الديمقراطية الشعبية وحينما يخف خلاف البورجوازية الصغيرة الحاكمة أو يتلاشى تناقضها مع الامبريالية والصهيونية أو حينما تتحالف البورجوازية الصغيرة مع الامبريالية وتصبح تابعة أو عميلة لها حينئذ فقط يصبح هذا التناقض تناقضا رئيسيا عدائيا ويجب دفعه الى الأمام وإبرازه، والاسراع في تقديم هذا التناقض (قبل أن يتحول الى تناقض عدائي) الى المقام الاول حتى برغبة نبيلة كاقامة

الديمقراطية الشعبية (قبل نضوج شروطها) هو نوع من المغامرة الصبيانية.

أن كون الحكم البورجوازي الصغير عاجزا عن إنجاز مهمات مرحلة التحرر الوطني و كون الديمقراطية الشعبية قادرة على تحقيق جميع مهام هذه المرحلة لا يعني وجود امكانية حقيقية لتحل الثانية محل الحكم الاول، بل يعني وجوب النضال من أجل خلق الامكانيات الحقيقية لايجاد هذا التغيير. وكون الطبقة العاملة قادرة تاريخيا على قيادة الثورتين الديمقراطية والاشتراكية، وكون البورجوازية الصغيرة عاجزة عن ذلك لا يعني تحول هذا القول الى صك تنازل من قبل البورجوازية الصغيرة للطبقة العاملة عن القيادة فعلا، بل المهم والمطلوب هو أن تصبح الطبقة العاملة المؤهلة تاريخيا للقيادة قادرة فعلا على ممارسة ومزاولة هذه القيادة على مسرح الاحداث والتطورات لا على صفحات الكتب و النشرات.. وحينئذ فقط تستطيع الطبقة العاملة أن تزيح البورجوازية الصغيرة من منصة المسرح السياسي وتقوم هي بتوجيه الاحداث وتمسك بيديها زمام الامور وتطور الاوضاع كقائدة حقيقية للثورة. فلماذا تستطيع الطبقة العاملة وكيف تستطيع أن تتولى دور القيادة في الثورة الديمقراطية؟

الطبقة العاملة
قائدة للثورة الديمقراطية

تعتمد قدرة الطبقة العاملة و قابليتها في قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية وكذلك في الثورة الاشتراكية على خواصها ومميزاتها الطبقية وقابلياتها الجهادية والطاقات الثورية الكامنة فيها كأحدث طبقة اجتماعية كادحة مظلومة.

فأولاً: إن الطبقة العاملة هي أحدث الطبقات الاجتماعية وخاصة البروليتاريا الصناعية منها التي تمثل قوى الأنتاج الجديدة و تعتبر أكثر الطبقات تقدمية. و تتمركز الطبقة العاملة باعداد كبيرة وفي شكل تجمعات منتظمة في مشاريع حديثة كالمصانع والمعامل و السكك و الميناء والبرق و النفط والكهرباء. وهي تستعمل أحدث الالات والمكائن و يترتب على ذلك ما يلي:

١- قابلية العمال على التنظيم النقابي والسياسي الحزبي الثوري، أو على العمل المنسق والمنظم وعلى الضبط والترابط والطاعة والاتحاد في العمل والارادة وهذه صفات ضرورية للنضال المنظم و لممارسة القيادة في المجتمع لا تتوفر الا في الطبقة العاملة.

٢- قدرة العمال على تلقي الافكار الجديدة والتقدمية والثورية بحكم مستواهم وعلاقاتهم بأحدث أساليب الأنتاج و بالتالي قدرتها على استيعاب النظرية الثورية .

٣ - قدرة العمال على ممارسة الأساليب النضالية كالاضرابات النقابية والاضرابات السياسية و المظاهرات مما يعتبر تدريبات و تمرينات تمهيدية في النضال الثوري.

٤ - إن الطبقة العاملة الحديثة (البروليتاريا) هي الطبقة النامية لانها تنمو عاما بعد عام وبحكم التطور الاجتماعي والتقدم الصناعي وأنتشار الالات الحديثة في الأنتاج (الصناعي والزراعي) فهي الطبقة ذات الشأن الاول في المستقبل. وأن هذا النمو للطبقة العاملة نمو كمي (من حيث تكاثر عددها) كما هو نمو كيفي من حيث تزايد وعيها الطبقي والسياسي ونشاطها التنظيمي والثوري ودورها في التقدم الاجتماعي والنضال الثوري.

ثانياً: وضاعة مركز العمال الاقتصادي وكونهم محرومين من وسائل الانتاج، فلا يملكون الا قوة العمل ويعتمدون على أذرعهم واجسادهم في العمل وقد يئسوا من الحصول على الثروات وهم يعانون أنواع المشقات والصعاب والمظالم ويتعرضون الى الاستثمار الطبقي والاستغلال البورجوازي والاضطهاد الاستعماري (والقومي أحيانا). ويترتب على ذلك ما يلي:

١. يملك العمال طاقات ثورية هائلة وحينما تتفجر تستطيع الاتيان بالمعجزات والبطولات البروليتارية.

٢. يمتاز العمال بشدة البأس في الكفاح وبالبسالة والشجاعة وعدم الخوف من ضياع الممتلكات والمصالح.

٣. يمتاز العمال بالثورية المنظمة والحازمة والصرامة ولا يعرفون التردد والتذبذب بل يمتازون بالاستمرارية في النضال والثبات والصمود فيه.

((فالبروليتاريا هي من حيث وضعيتها الطبقة الثورية الوحيدة الحازمة والمتقدمة اكثر من غيرها فهي بحكم ذلك مدعوة الى القيام بدور قيادي في الحركة الثورية الديمقراطية...)) على حد وصف لينين.

ثالثاً: تتطلب مصالح البروليتاريا الطبقية الاجتماعية أن تكون الثورة جذرية وعميقة ومستمرة وأن تحصل التغييرات الاجتماعية بالطريق الثوري وبالبتر وان تحسم القضايا بالحزم الثوري، وهي لا ترتبط بالمصالح الأنانية مع أية طبقة إستغلالية ولا تشدها الى الرأسمالية والاقطاعية إلاّ وشائج ((العداء والصراع الطبقي)) ولذلك فأن الطبقة العاملة يهمها الإنتصار الحاسم للثورة. يقول لينين:-

((أن إنتصار الثورة إنتصارا حاسما يهم البروليتاريا اكثر مما يهم البورجوازية وينتج من ذلك أن الثورة البورجوازية هي الى حد ما مفيدة للبروليتاريا أكثر منها للبورجوازية.)) ص٢٦ من كراس الثورة الديمقراطية الاولى في روسيا - مكتب المطبوعات الشعبية - بيروت - دمشق /١٩٤٧.

رابعاً: أن الطبقة العاملة هي الطبقة الاجتماعية الثورية المخلصة للديمقراطية وللاصلاحات الديمقراطية وتتوافق مصالحها مع الفلاحين والاجـراءات الديمقراطية كالاصلاح الزراعي واطلاق الحريات الديمقراطية كحرية العمل النقابي والسياسي وإبداء

الرأي و النشر و التظاهر و الأحزاب...الخ. يقول لينين:

((أن البروليتاريا وحدها تستطيع أن تكافح في سبيل الديمقراطية بروح الاستمرار والمثابرة، ولكنها لا تستطيع الإنتصار في هذا الكفاح إلاّ إذا أنضمت جماهير الفلاحين الى النضال الثوري البروليتاري)) ص٢٩ من نفس المصدر السابق. وينجم مما تقدم:

١- إن الطبقة العاملة تستطيع التحالف مع الفلاحين على أساس متين ولأمد بعيد مما يؤهلها لقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية التي يعتبر الاصلاح الزراعي جوهرها الديمقراطي.

٢- إن الطبقة العاملة تحمل لواء الديمقراطية والحريات العامة بصدق وإخلاص مما يمكنها من التحالف مع المثقفين الأحرار ومع البورجوازية الوطنية الديمقراطية متوسطة كانت أم صغيرة.

٣- تفتح الطبقة العاملة بدفاعها عن الديمقراطية الابواب على مصراعيها لحل التناقضات داخل الشعب وبالاساليب الديمقراطية مما يوطد الوحدة الوطنية للشعب ويوجد الشروط اللازمة لبناء جبهة وطنية تقدمية. فالطبقة العاملة تستطيع بنضالها مع سائر القوى التقدمية خلق المناخ الملائم لقيام الجبهة الوطنية التقدمية باعتبارها السبيل الوحيد لإنتصار الثورة الوطنية الديمقراطية إنتصارا تاما وناجحا وهذا ما يؤهل الطبقة العاملة لتولي دور القيادة في الجبهة والثورة معا.

خامساً: تحتم مصالح الطبقة العاملة أن تعادي كافة أنواع الاستغلال وجميع أشكال الاضطهاد سواء كان ذلك استغلالا رأسماليا أو اقطاعيا أو اضطهاداً استعماريا أو قوميا أو مذهبيا ...الخ. فالطبقه العاملة لا تستثمر أحدا ولا تضطهد ولا تمتص دماء أحد بل تتعرض هي الى مظالم الاستغلال والاستثمار والاضطهاد، لذلك فهي العدوة اللدودة لجميع أنواع الاستغلال والاضطهاد ولذلك تناضل بعناد وحزم وبقوة وبأندفاع ضد الامبريالية والبورجوازية والاقطاعية حتى تتم تصفية هذه الافات الثلاث تصفية تامة وشاملة وهذا يعني أن الطبقة العاملة هي الطبقة الاجتماعية الثورية التي يمكنها إنجاز المهمتين الأساسيتين للثورة الوطنية وهما القضاء على الامبريالية أولا والقضاء على الاقطاعية و البورجوازية الكومبرادورية ثانيا. وعليه فأن الطبقة العاملة تستطيع قيادة الثورة.

وبحكم تجردها من خواص المستثمرين وبعدها عن الاستغلال وعدائها للاضطهاد وبحكم مصلحتها في القضاء على كافة أنواع الظلم والاستثمار تربط الطبقة العاملة ربطا موضوعيا بين الثورتين الديمقراطية والاشتراكية بعكس البورجوازية التي تريد خلق سور صيني بينهما. مما يؤهل الطبقة العاملة لقيادة الثورة الوطنية التي غدت ثورة للديمقراطية الجديدة في عصرنا الحالي. فالطبقة العاملة هي الطبقة الاجتماعية الوحيدة التي تحتم مصالحها أن تحرر المجتمع باسره من الاستثمار كي تتحرر هي من شروره ولأنها لا تستطيع أن تخلّص نفسها بدون أنقاذ المجتمع باسره من شرور الاستغلال و مظالم الاضطهاد.

يشرح فردريك أنجلز في مقدمة البيان الشيوعي كيف أن التاريخ هو منذ أنحلال ملكية الأرض المشاعية الابتدائية تاريخ نضال بين الطبقات ((نضال بين طبقات مستثمرة وطبقات مستثمرة بين طبقات مسودة وطبقات سائدة في مختلف مراحل تطورها الاجتماعي)). ثم يستطرد أنجلز قائلا:

((وقد بلغ هذا النضال في الوقت الحاضر مرحلة أصبحت فيها الطبقة المستثمرة المضطهدة (البروليتاريا) لا تستطيع أن تتحرر من الطبقة التي تستثمرها وتضطهدها (البورجوازية) دون أن تحرر في الوقت نفسه و الى الابد المجتمع باسره من الاستثمار ومن الاضطهاد و من نضال الطبقات)) ص٥٧ من كراس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية – بقلم ستالين.

سادساً: لما كانت الثورة الوطنية الديمقراطية ثورة ديمقراطية جديدة تبني الديمقراطية الشعبية فإن الطبقة العاملة وحدها تستطيع قيادتها لأنها أصبحت جزءاً من الثورة الاشتراكية التي تبنيها الطبقة العاملة (على النطاقين الوطني والدولي) فغدت الديمقراطية الشعبية مرحلة إنتقالية للاشتراكية وعليه فلا تتعارض مصالح الطبقة العاملة بعكس البورجوازية من مواصلة الثورة الديمقراطية الجديدة سيرها نحو الاشتراكية• يحدد لينين مهمة البروليتاريا بما يلي:

((على رأس الشعب باسره خصوصا على رأس الفلاحين في سبيل الحرية الكاملة، في سبيل ثورة ديمقراطية حازمة، في سبيل الجمهورية، وعلى رأس الشغيلة وجميع المستثمرين في سبيل الاشتراكية، هكذا يجب أن تكون عمليا سياسة البروليتاريا

الثورية، وهذا هو الشعار الطبقي الذي يجب أن يسود وأن يعين حل جميع المسائل الخططية وكل النشاط العملي لحزب العمال خلال الثورة)). ص٤٠ من كراس الثورة الديمقراطيةالاولى في روسيا.

سابعا: تملك الطبقة العاملة القدرة على إيجاد الحزب الطليعي وتملك كذلك النظرية الطليعية الثورية وهي الاشتراكية العلمية وبذلك وحدها يمكن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية حتى النصر النهائي، يمكن قيادة الشعب بأسره نحو الديمقراطية فالاشتراكية.....

و من أجل تحويل ((امكانيات تأمين القيادة البروليتارية في الثورة الديمقراطية الى حقيقة واقعة، ولكي تصبح البروليتاريا في الحقيقة والواقع زعيمة الثورة البورجوازية وقائدتها)) يجب حسب رأي لينين توفر شرطين هما:

اولاً: أن يكون للبروليتاريا حليف يمكنه أن يقبل قيادة البروليتاريا وهو جماهير الفلاحين.

ثانياً: أن تعزل البروليتاريا و تبعد عن قيادة الثورة البورجوازية الحرة لتنفرد هي بها.

كيف تستطيع الطبقة العاملة أن تمارس دور القيادة في الثورة الوطنية الديمقراطية

أن الخصائص الثورية للطبقة العاملة التي تؤهلها للقيام بدور الطليعة الثورية لا تكفي لوحدها لتحويل هذه ((الأهليّة)) الى حقيقة واقعية، الى مباشرة فعلية للقيادة، بل لابد من توفر الشروط التالية:

اولا: إيجاد طليعة ثورية للطبقة العاملة بشكل حزب سياسي طليعي مسلح بالنظرية الاشتراكية العلمية، حزب طليعي يضم خيرة العناصر العمالية المناضلة والواعية باعتبار الحزب فصيلة الطليعة للطبقة العاملة ومن حيث هو فصيلة منظمة تنظيما حديديا قائما على أساس مباديء الديمقراطية المركزية والنقد والنقد الذاتي والاسلوب الجماهيري في العمل ومن حيث هو أعلى أشكال التنظيم الطبقي ومن حيث الوحدة التامة في الارادة و في العمل، وحدة لا تقبل التكتلات الأنقسامية و وحدة النظرية والتطبيق أيضاً.

أن وجود حزب طليعي للطبقة العاملة لايعني حصر عضويته على العمال فقط، بل أن هذا الحزب هو اتحاد طوعي اختياري لجميع المناضلين الثوريين من العمال والفلاحين والمثقفين وسائر الكادحين الذين يقبلون منهاج الحزب ونظامه الداخلي ويدينون بالنظرية الاشتراكية العلمية وباسلوبه الجماهيري الثوري في العمل. ولكن يجب صهر جميع الأعضاء على اختلاف منشأهم الطبقي والاجتماعي في بوتقة الحزب، في بوتقة النضال الجماهيري الثوري ويجب تربيتهم بالنظرية الطليعية الثورية لأن ((فقط حزب ترشده نظرية الطليعة يستطيع القيام بدور مناضل الطليعة)) كما يقول لينين في كتابه ما العمل.

ثانيا: وجود علاقة متينة قوية للحزب الطليعي بالطبقة باعتبار الحزب فصيلة الطليعة المنظمة والقائدة للطبقة العاملة بحيث تكون هذه العلاقة منظمة وعضوية وراسخة ومتفاعلة كعلاقة هيئة الأركان بالجيش من حيث الرابطة القيادية. ومثل هذه العلاقة

بين الحزب والطبقة يجب أن تكون علاقة متبادلة يعرفها لينين بأنها ((ثقة متبادلة بين طليعة الطبقة العاملة و الجماهير العمالية)). و ما معنى ذلك؟ يجيب ستالين على هذا السؤال بأنه يعني ما يلي:

١- ((على الحزب الطليعي أن يصغي بأنتباه الى صوت الجماهير إن عليه أن يقف موقف العناية من الغريزة الثورية عند الجماهير، إن عليه أن يدرس نضال الجماهير العملي متحققا بذلك صحة سياسته وأن عليه إذن ألاَّ يعلِّم الجماهير وحسب بل وأن يتعلم منها أيضاً.))

٢ - ((أن على الحزب أن يكسب ثقة الجماهير البروليتارية يوما فيوما وأن يضمن لنفسه بسياسته و عمله تأييد الجماهير و أن عليه الا يأمر بل يقنع قبل كل شيء مسهلا على الجماهير ادراك صحة سياسة الحزب بتجربتها الخاصة و ان عليه أن يكون قائد طبقة و زعيمها ومعلمها.)) ص١٩٨ من اسس اللينينية و حول مسائل اللينينية - الطبعة العربية - دار ابن سيناء – بيروت ١٩٦٧.

ومعلوم أن كسب ثقة الطبقة العاملة لايتم بالاعلان اللفظي عن كون الحزب طليعة الطبقة العاملة أو تعليق لافتة ((الحزب الشيوعي)) والمناداة اللفظية بالماركسية اللينينية. أن ثقة الجماهير العاملة تكتسب بأن يضم الحزب في صفوفه خيرة العناصر العمالية الثورية، خيرة العناصر المناضلة و المتفانية وأن يكون للحزب نظرية صحيحة وسياسة صائبة وأن يبدي ويبرهن إخلاصه التام للطبقة العاملة وأهدافها ومصالحها ويقدم التضحيات في سبيلها و أن يوجد علاقات متشعبة ومتعددة بجماهير الطبقة شريطة أن تقتنع هذه الجماهير بشعارات وخطط الحزب. يقول ستالين:

((يقوم نفوذ الحزب على ثقة الطبقة العاملة وثقة الطبقة العاملة لا تكتسب بالعنف - الذي يحطمها ليس إلاّ، بل بصحة النظرية، بصحة سياسة الحزب، باخلاص الحزب للطبقة العاملة، بصلته بجماهير الطبقة العاملة، باستعداده وقدرته على إقناع الجماهير بصحة شعاراته)) ص٢٠١ من المصدر السابق.

وكذلك كسب هذه الثقة يتطلب ردحا من الزمن، فترة نضالية معينة، يثبت خلاله الحزب الطليعي بنضاله وتضحياته و في المعارك النضالية التي يخوضها في سبيل مطاليب واهداف الطبقة العاملة وبقيادته العملية لنضالاتها اليومية جدارته وكفاءته.

يقول ستالين: ((أن ثقة الطبقة العاملة بالحزب لا تكتسب فجأة ولا بوسيلة العنف إزاء الطبقة العاملة، بل بعمل طويل يقوم به الحزب بين الجماهير وبسياسة الحزب الصحيحة وبمعرفة الحزب إقناع الجماهير بصحة سياسته على أساس تجربة الجماهير الخاصة بمعرفة الحزب أن يضمن لنفسه تأييد الطبقة العاملة وأن يتقدم جماهير الطبقة العاملة)) ص٢٠١ من نفس المصدر السابق.

هنا يجب التأكيد على إبراز أهمية إقناع الجماهير عن طريق العمل الصبور المتواصل بصحة سياسة الحزب وعلى أساس تجربة الجماهير الخاصة. وهذا يعني أن الحزب يجب الايتقدم لخوض المعارك الحاسمة الا بعد إقناع الجماهير بصحة مواقفه وبصحة سياسته وخططه كي تستجيب الجماهير لنداءاته وكي يقودها الحزب في المعارك ويتقدمها لا أن ينعزل عن الجماهير ويخوض وحده المعارك فيقع في المغامرة. يقول لينين: ((بالطليعة وحدها يستحيل النصر. والقذف بالطليعة وحدها الى المعركة الفاصلة ما دامت الطبقة بكاملها، مادامت الجماهير الغفيرة لم تقف من الطليعة إما موقف التأييد المباشر أو على الاقل موقف الحياد المشبع بالعطف والعجز التام عن إسداء المساعدة لعدوها، لا يكون حماقة وحسب وإنما يكون جريمة أيضاً.

((ولكيما تصل الطبقة بكاملها حقاً والجماهير الغفيرة حقا من الشغيلة ومظلومي رأس المال الى الوقوف هذا الموقف، لا يمكن الاكتفاء بالدعاية وبالتحريض وحده، فلبلوغ ذلك ينبغي أن تغتني الجماهير بتجربتها السياسية الخاصة)) ص٢٠٧ من نفس المصدر السابق.

وحتى إذا كانت سياسة الحزب صحيحة بوجه عام ولكنه يفتقد الصبر وطول الاناة ولا يحسن الأنتظار كي يعطي الجماهير إمكانية الاقتناع على أسس تجربتها الخاصة بصحة سياسة الحزب و بصواب خططه، فأن الحزب لا يستطيع كسب النصر. و إذا خاض المعارك الفاصلة آنئذ بالاعتماد على قواه الحزبية الخاصة يكون كمن سلك نهج المغامرين وينعزل عن الجماهير. لذلك فأن القيادة الصحيحة في مثل هذه الأحوال تعني: ((معرفة إقناع الجماهير بصحة سياسة الحزب، معرفة وضع وتطبيق شعارات تصل بالجماهير الى مواقف الحزب وتسهل عليها ادراك صحة سياسة الحزب على أساس تجربتها الخاصة معرفة رفع الجماهير الى مستوى ادراك الحزب وعلى هذا النحو ضمان تأييدها وإستعدادها للنضال

الحاسم)) كما يقول ستالين مؤكدا حقيقة أن ((طريقة الاقناع هي الطريقة الأساسية في قيادة الحزب للطبقة العاملة)).

و طبيعي أن الحزب لا يطمح في ادخال ((الطبقة)) في الحزب رغم حرصه الشديد على العلاقة الوثيقة بالطبقة وعلى كسب ثقتها واقناعها بسياسته وشعاراته. فالحزب هو فصيلة الطليعة للطبقة العاملة فقط. ولكن وحدة الطبقة من الامور الأساسية الهامة التي يتوقف على تحقيقها الإنتصار في النضال، لذلك يجب النضال من أجل تحقيق وحدة الطبقة العاملة النضالية، وحدة مبدئية صائبة، وحدة العناصر الواعية، العناصر المؤمنة بالمباديء. ولاريب أن تحقيق مثل هذه الوحدة الضرورية أمر معقد وشائك يحتاج الى النضال المثابر والعمل الدؤوب والسعي المتواصل لاقناع جماهير الطبقة العاملة بأهمية الوحدة وبضرورة الوحدة المبدئية باعتبارها شرطا رئيسيا لإنتصار الطبقة العاملة ولقيامها بمهام دور الطليعة في الثورة والمجتمع.

عن ضرورة وحدة الطبقة العاملة وارتباطها الوثيق بالحزب الطليعي و عن عدم إمكانية إدخال الطبقة كلها في الحزب يقول لينين ما يلي: ((نحن حزب الطبقة ولذلك فالطبقة كلها على وجه التقريب. أما في وقت الحرب، أي في عهد الحرب الأهلية فالطبقة كلها على الاطلاق يجب أن يعمل تحت قيادة حزبنا وأن تتراص حوله اكثر ما يمكن. أما أن تصبح الطبقة، كلها تقريبا أو الطبقة بأسرها يوما ما وفي عهد الرأسمالية في حالة تستطيع معها أن ترتفع حتى تبلغ درجة الوعي والنشاط مثل فصيلتها الطليعية أي مثل حزبها الاشتراكي الديمقراطي، فأن التفكير في مثل ذلك هو ضرب من المانيلوفيه وشكل من السير في ذيل الحركة. وأن المنظمة النقابية (وهي منظمة ابتدائية اكثر من الحزب واقرب تناولا الى ادراك الجماعات غير المتقدمة) لا تستطيع في عهد الرأسمالية أن تشمل الطبقة العاملة بأسرها تماما. وليس هناك اشتراكي ديمقراطي واحد سليم التفكير داخله الشك يوما في ذلك.)) ص١٣٦-١٣٧ من كتاب اسس اللينينية و حول مسائل اللينينية بقلم ستالين.

ثالثا: ضمان تحالف العمال والفلاحين باعتبار هذا التحالف الأساس المتين للجبهة الوطنية التي تناضل الطبقة العاملة لايجادها وتشكيلها من العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية شريطة أن تباشر طليعة الطبقة العاملة

قيادتها لهذه الجبهة المتحدة، ولسائر الطبقات الثورية المنضمة اليها، فاذا أمنَّت الطبقة العاملة تحالفها مع الفلاحين، أي كسبت الفلاحين الى جانبها وضمنت لنفسها قيادة نضال الفلاحين فهذا يعني كسبها لقيادة غالبية الشعب والجيش الأساسي للحركة الوطنية وبالتالي كسبها لقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية التي هي ثورة الفلاحين من حيث الجوهر. وحينما تكسب الطبقة العاملة الفلاحين الى جانبها وتكسب قيادتهم في النضال الثوري أي تحقق تحالف العمال والفلاحين يسهل عليها جر البورجوازية الوطنية الى الجبهة الوطنية. كما يسهل عليها كسب البورجوازية الصغيرة في المدن قبل البورجوازية الوطنية. وحينئذ فقط تتحقق جبهة وطنية حقيقية واسعة ويسهل على الطبقة العاملة أن تتولى دور القيادة لسائر الطبقات الوطنية. ولكن كيف تباشرالطبقة العاملة عن طريق حزبها السياسي الطليعي القيادة السياسية لسائر الطبقات الثورية في البلاد؟ يجيب على هذا السؤال الرفيق ماوتسي تونگ بأن تحقيق مهمة مباشرة القيادة السياسية يتطلب:

١- على الطبقة العاملة أن ترفع ((شعارات سياسية أساسية تتماشي مع التطور التاريخي)) وأن ترفع ((في سبيل تحويل هذه الشعارات السياسية الى حقيقة واقعة، شعارات للعمل في كل مرحلة من مراحل التطور وفي كل إنعطاف أساسي للاحداث))، إذ بدون مثل هذه الأهداف المحددة تصبح القيادة السياسية خارجة عن الموضوع.

٢- يجب على الطبقة العاملة ولاسيما طليعتها السياسية أن ((تظهر حماسها واخلاصها اللامحدود لتصبح مثالا في العمل)) لتحقيق هذه الأهداف والشعارات. كما يجب على كوادر واعضاء حزب الطليعة ((أن يكونوا أبعد الناس نظرا واكثرهم استعدادا للتضحية واعظمهم حزما واكثرهم قدرة على تقدير الاوضاع بدون تمييز وأن يكونوا أقدر الناس على الاستناد الى الغالبية العظمى من الجماهير وعلى كسب تأييدها))

٣ – على حزب الطبقة العاملة أن ((يقيم علاقات ملائمة مع حلفائه وأن يطور ويدعم تحالفه معهم بينما يلتزم بمبدأ عدم التخلي عن اهدافه السياسية المقررة.))

٤- ينبغي توسيع صفوف حزب الطبقة العاملة وتقويته وتعزيزه والمحافظة على وحدته الأيديولوجية ونظامه الدقيق. راجع ص٤٠١ من مؤلفات ماوتسي تونگ المختارة – موضوع مهمات الحزب الشيوعي الصيني في مرحلة مقاومة اليابان.

رابعا: على الطبقة العاملة المشبعة بمباديء الاممية الثورية أن تتبنى المشاعر القومية التقدمية وتحتضن المطالب القومية الديمقراطية وترفع الشعارات القومية الثورية وتتقدم لتتولى هي - لا البورجوازية - الحركة القومية التحررية ولتقود هي - لا البورجوازية - التيار القومي والوحدوي وذلك بشكل ثوري مبدئي سليم وبعيدا عن التعصب القومي والروح القومية البورجوازية، وعلى طليعة الطبقة العاملة أن تستوعب مغزى الحقيقة التي تسطع من قول لينين بأن ((الوطنية هي من أعمق المشاعر وقد وطدتها قرون و قرون و آلاف السنين من الكيانات المنطوية على نفسها)). على الطليعة أن تعرف أن هذه المشاعر العميقة جدا قد اصبحت قوة مادية من جراء تغلغلها في صفوف الناس، و مثل هذه القوة الفاعلة ذات الجذور الراسخة في التاريخ لا يمكن ولايجوز تجاهلها خاصة لأن الوطنية هي من المشاعر الأنسانية النبيلة باعتبارها تجسد حب الوطن ومشاعر التعلق بمصالحه والعمل على تحريره وتخليصه من الامبريالية والغاصبين الظالمين الاجانب.

والوطنية هي في الوقت الحاضر في بلدان آسيا و افريقيا وامريكا اللاتينية من أعمق المشاعر الثورية المعادية للامبريالية العالمية و للاضطهاد القومي و هي بالتالي غدت قوة ثورية فاعلة في المجتمع تساهم بدورها الكبير في تأجيج المشاعر الثورية المعادية للامبريالية وإثارة الحماسة للشروع في النضال الثوري لتحرير هذه البلدان من الإمبريالية العالمية. وهذا يعني أن الوطنية الثورية هي في عصرنا إحدى أهم القوى الثورية في معركة الكادحين الدائرة مع الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة. ولذلك فأن الطليعة إذا لم تحتضن هذه المشاعر ولم تتول قيادة تيارها الثوري ستعجز عن تولي دور القيادة في الحركة الوطنية الثورية كما تعجز عن المساهمة في تطوير الوطنية و تعميق مضمونها الديمقراطي والتقدمي وفي بلورة شعاراتها باتجاه ثوري وجماهيري مما يعني افساح المجال للبورجوازية لتتولى دور القيادة في الحركة الوطنية ولتفسد فيها وتبث فيها مفاهيمها القومية الضيقة والشوفينية.

حقا أن الطبقة العاملة تتبنى الاممية البروليتارية في شعاراتها وسياستها العامة، ولكن ((الوطنية هي إذن في واقع الأمر تطبيق عملي للاممية في حرب التحرر الوطني)) على حد تعبير الرفيق ماوتسي تونگ. ولذلك فلا تعارض مطلقا بين الوطنية الحقة،

وطنية المناضلين الثوريين، وطنية الشغيلة الثورين و بين الأممية الحقيقية التي تعني التآخي و الكفاح المشترك والتلاحم الكفاحي بين شغيلة جميع الامم ضد الإمبريالية و الرأسمالية الدولية و في سبيل تحرير جميع الشعوب وأنقاذ شغيلة جميع البلدان من الاضطهاد والاستغلال، كما تعني وحدة مصالح شغيلة جميع البلدان و ضرورة توافقها وأنسجامها مع المصالح الأساسية العامة للثورة الاشتراكية العالمية و تتطلب من البلدان التي أنتصرت الاشتراكية فيها تقديم العون المادي و المعنوي للامم المظلومة و للطبقات العاملة المناضلة. لذلك فأن الاممية لا تتعارض مع الوطنية الصادقة.

يقول الرفيق ماوتسي تونگ : ((فنحن أمميون و وطنيون في أن واحد و شعارنا هو القتال ضد المعتدين دفاعا عن الوطن.)) لذلك فقد اخطأت الأحزاب الشيوعية التي ابتعدت عن الحركات القومية التقدمية في بلدانها واتخذت منها موقف اللامبالاة وعدم الاكتراث بها. فلقد كان واجبها أن تدرس هذه الحركات القومية التحررية وتفهم حقيقة أن ((مضمون الوطنية تحدده الظروف التأريخية)). فقومية الامة المظلومة المناضلة ضد الامبريالية وعملائها هي قومية تقدمية وثورية وقوة فاعلة ومؤثرة في المجتمع تأثيرا ايجابيا لصالح الثورة. وإذا ما احتضنت وقادت الطبقة العاملة التيار القومي التقدمي وارشدته في طريق تقدمي ثوري في تلاحم كفاحي مع نضالات الشعوب الثورية فان مثل هذه الحركة القومية ستكون حركة تقدمية ديمقراطية ثورية وتتحول الى رافد هام من روافد الثورة الاشتراكية العالمية.

أن تجاهل التيار القومي – الذي هو تيار تاريخي موضوعي – والانعزال والابتعاد عن جماهيره الغفيرة يؤدي الى الأنعزال عن الحركات الشعبية والى الأنفراد في درب ((الهامش من الاحداث)) وحينئذ لا تستطيع الطبقة العاملة أن تقود الجماهير الشعبية خاصة في مرحلة التحرر الوطني، وحينئذ لا تستطيع قيادة الحركة الوطنية التحررية. كما لا يمكن تحرير البروليتاريا والجماهير الكادحة الاخرى ما لم يتم تحرير الوطن والشعب من الامبريالية، أو مالم تقم الطبقة العاملة بقيادة الحركة الوطنية التحررية. ((إذ أن دحر المعتدين و تحرير امتنا أمر لا يمكن إنجازه الا إذا حاربنا دفاعا عن الوطن، كما أنه لا يمكن تحرير البروليتاريا و سائر ابناء الشعب الكادح الا إذا تحررت الامة)) ماوتسي تونگ. راجع كراس دور الحزب الشيوعي الصيني في الحرب الوطنية.

أن الحزب الطليعي الثوري يعزل نفسه عن تيار التطور التاريخي وعن الجماهير الغفيرة عندما ينبذ الراية الوطنية بمقولات كوسموبوليتية أو لا يسرع الي رفعها والانضواء مع الجماهير الشعبية و في مقدمة صفونها تحت لوائها. وإذا لم يحمل الحزب الطليعي الثوري عاليا الراية الوطنية حملتها البورجوازية وكسبت مساندة وعطف الجماهير المنضوية تحت لوائها وبذلك يفقد الحزب الطليعي القدرة للتأثير على الاحداث والقدرة على مزاولة وممارسة دوره الطليعي فعلا. يقول الرفيق لين بياو:

((لقد برهن التاريخ على أنه أمام العدوأن الامبريالي الفظيع يجب على الحزب الشيوعي أن يرفع عاليا الراية الوطنية ويستخدم هذا السلاح: الجبهة المتحدة، ليلف حوله جماهير الشعب وسائر الوطنيين المناضلين ضد الامبريالية الذين يشكلون اكثر من تسعين في المائة من مجموع سكان البلاد، وليعبـيء الى أقصى الحدود جميع العناصر الإيجابية ويتحد الى أقصى درجة مع جميع القوى التي يمكن الاتحاد معها، ويعزل العدو المشترك للامة كلها الى ابعد الحدود وإذا نبذنا الراية الوطنية، واتخذنا خط الباب المغلق، وعزلنا أنفسنا بذلك فستكون ممارسة القيادة وتطوير قضية الثورة الشعبية خارجة عن الموضوع، ويعني ذلك في الواقع أننا قدمنا المساعدة الى العدو وعرضنا أنفسنا للهزيمة.)) ص٢١-٢٢ من كراس عاش إنتصار الحرب الشعبية.

واخيرا فأن الذي يعتقد أن الطلائع البروليتارية الثورية مجردة من المشاعر القومية ومن الشعارات القومية التقدمية، يرتكب غلطة الكوسموبوليتية وغلطة إبعاد الطبقة العاملة عن مهمتها في قيادة الحركة القومية التقدمية. يقول لينين: ((ونحن البروليتاريين الروس المدركين، هل نحن براء من شعور الكرامة القومية؟ كلا بالطبع نحن نحب لغتنا، نحب وطننا ونحن نبذل قصارى جهودنا لكي ننهض بجماهير شغيلته (أي بتسعة أعشار سكانه) الى مستوى حياة الإدراك، الى مستوى حياة الديمقراطيين والاشتراكيين. ونحن نشعر بالالم كالالم الذي يحز في قلوبنا عندما نرى ونحسس ما يكابده وطننا الجميل على ايدي الجلادين خدم القيصر والأعيان والرأسماليين من الوان العنف والظلم والخسف.)). ثم يستطرد قائلا: ((ونحن مفعمون بالكرامة القومية لأن الامة الروسية قد أنشأت هي أيضاً طبقة ثورية..)) راجع مقالة لينين بصدد كرامة الروس القومية.

ثم كيف تحقق الطبقة العاملة قيادتها للحركة الوطنية التحررية إذا هي تجاهلت المشاعر القومية؟ والمطاليب القومية؟ والحقوق القومية؟ وكيف تستطيع قيادة الجماهير الشعبية إذا لم تعبر عن مطامحها القومية المشروعة؟ لذلك فأن الطبقة العاملة يجب أن تعبِّر أصدق تعبير عن المشاعر القومية التقدمية والمطامح القومية المشروعة. وطبيعي أن الطبقة العاملة تعبِّر عن ذلك حسب مفاهيمها التقدمية الأنسانية المناقضة للشوفينية والكوسموبوليتية والانعزالية القومية وبعيدا عن مفاهيم السلم الطبقي وأنكار النضال الطبقي بحجة ((القومية)) و صيانة ((وحدة الامة)). والطبقة العاملة لا تستطيع أن تستفيد من نظريتها - النظرية الاشتراكية العلمية - ولا من الفلسفة الماركسية اللينينية ما لم تتقن لاستيعاب النظرية فحسب بل وتطبيقها العملي عن طريق ربطها بالخصائص المشخصة لوطنها ولاوضاع شعبها وخصائص الثورة في بلادها أيضاً. يقول الرفيق ماو:

((... ولكننا لا نستطيع أن نطبق الماركسية بنجاح الا إذا ربطناها بالخصائص المحددة لبلادنا و وضعناها في قالب وطني محدد. إن قوة الماركسية اللينينية العظمى تكمن في انها مرتبطة بالممارسة الثورية المحددة للبلدان المختلفة.)) و هكذا فعلى الطبقة العاملة أن تدرس تاريخ شعبها وتعرف أوضاع الحركة الوطنية واتجاهاتها الثورية وأن تدمج الحقيقة العامة للنظرية الاشتراكية العلمية بالوقائع المشخصة للحركة الثورية في بلادها و تضع الماركسية اللينينية في قالب وطني محدد و ذلك لأن فصل المضمون الثوري للنظرية عن الطابع الوطني اللازم هو اسلوب الذين لا يستوعبون النظرية وأن الذين يضعون الاهمية في مواجهة الوطنية الثورية إنما يرتكبون حماقة تاريخية. يقول الرفيق ماو:((إن فصل المضمون الاممي عن الشكل الوطني هو طريقة اولئك الذين لا يفهمون شيئا من الأممية.))

والطبقة العاملة في نضالها الوطني التحرري تدرك جيدا حقيقة أن النضال القومي هو في جوهره نضال طبقي، باعتباره نضال الطبقات التقدمية من القومية المظلومة ضد الطبقة الرأسمالية الامبريالية في الامة الظالمة وباعتبارها نضال الجماهير الشعبية ضد اقطاعيتها الاهلية ورأسماليتها الكومبرادورية الاهلية أيضاً. وباعتبار المسألة القومية هي مسألة الفلاحين في جوهرها ونضال الفلاحين ضد الاقطاعية وبقايا القرون الوسطى هو

نضال طبقي وحضاري. كما أن الفلاحين الذين يشكلون الجيش الرئيسي للحركة الوطنية إنما يناضلون نضالا طبقيا في طابع وطني حينما يكافحون الامبريالية ويسعون من أجل التحرر الوطني الناجز. وكذلك فأن نضال الطبقة العاملة ضد الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية في خضم الصراع الوطني الثوري مع الامبريالية والحكم العميل والتابع لها هو نضال طبقي مثلما يكون نضاله ضد الامبريالية التي تمثل الرأسمالية الاحتكارية نضالا طبقيا في طابع وطني.

وتنظر الطبقة العاملة الى مسألة الوحدة القومية -على أساس تقدمي - كمسألة عادلة و ضرورية لتطورها ولإنتصار الاشتراكية وتعتبر نضالها من أجل تحقيق الوحدة القومية - على أساس تقدمي - نضالا ثوريا عادلا و تنفيذا لمباديء الاشتراكية العلمية التي تحبذ التجمعات الكبرى بين القوميات المختلفة على أساس اختياري حر، فكيف بتوحيد أجزاء أمة واحدة؟ ولا تشترط البروليتاريا لتحقيق الوحدة القومية الا كونها وحدة تقدمية في صالح الجماهير الشعبية وضد مصالح الامبريالية والطبقات الرجعية. لذلك فأن الطبقة العاملة العربية مثلا هي التي يجب أن تقود نضال الجماهير الشعبية العربية من أجل وحدة عربية تقدمية مثلما تقود الطبقة العاملة الفيتنامية أو الطبقة العاملة الكورية نضال امتيهما من أجل تحقيق الوحدة بين أجزاء امتيهما و وطنيهما. فالوحدة العربية التقدمية لا تحقق هدفا قوميا للامة العربية فحسب، بل تقضي على المخططات الامبريالية الرجعية التي قسمت الأمة العربية لتمشية مؤامراتها أيضاً. كما ستوجد هذه الوحدة العربية التقدمية قوة تقدمية كبيرة في الميدان الدولي و في ميدان مواجهة الامبريالية والصهيونية وتخلق امكانيات قيام العرب بتأميم نفطهم وبناء المجتمع الاشتراكي وبانزال ضربات ساحقة بالامبريالية الدولية. والحزب الطليعي العربي الذي لا يدرك هذه الحقائق ويعتبر الوحدة العربية أو الدولة العربية الواحدة شعارا خياليا كالدولة العالمية مثلا يرتكب غلطة مبدئية وسياسية كبرى. كما يخطيء الذين يعتقدون بأن البورجوازية العربية تستطيع تحقيق الوحدة العربية. لأن الطبقة الوحيدة التي تستطيع أن تبني وحدة عربية تقدمية ثابتة هي الطبقة العاملة حينما تتصدر و تقود نضال جماهير الأمة العربية من فلاحين وكادحين و كسبة و مثقفين ثوريين.

دور الفلاحين في الثورة

تعرض الفلاحون خلال قرون من الزمن الى الاضطهاد والى الاستغلال من قبل الاقطاعية وممثلتها السياسية الأنظمة الملكية الأوتوقراطية. وعلى اكتاف الفلاحين دارت طاحونة الحروب التي شنتها الأنظمة الملكية والامبراطوريات القديمة وبدمائهم أديرت. فقد كانت الجيوش ومصاريفها تجبـي وتجمع من الفلاحين غالبا وكان القادة والزعماء من مصاصي دمائهم أو من عملاء هولاء الظالمين القساة. لذلك فإن نضال الفلاحين ضد مضطهديهم ومصاصي دمائهم كان عبر التاريخ شيئا طبيعيا ومشروعا.

ولكن التاريخ يثبت أن الفلاحين كانو دوما احتياطيا للثورة و وقودا لها وقوى أساسية فيها دون أن تكون لهم القيادة في الثورة. فارتباط الفلاحين بالأنتاج الزراعي الفردي وعلاقاتهم باساليب الأنتاج الصغير البالية جعل منهم فئات عديدة ومبعثرة لاتقبل التنظيم والطاعة والأنضباط بسهولة بل بصعوبة وبطئ وتردد. ففي العصور الاقطاعية المظلمة حدثت ثورات فلاحية عديدة ولكنها لم تحقق النصر ولم تواصل النضال طويلا.

وفي عهد الثورة البورجوازية في غربي اوروبا نهضت جموع الفلاحين للقتال تحت قيادة البورجوازية ضد الحكم الملكي الأوتوقراطي الممثل للاقطاعية والاستبداد. يقول ستالين بهذا الخصوص ما يلي: ((أن الثورات البورجوازية في الغرب (أنكلترا، فرنسا، المانيا والنمسا) سلكت كما هو معلوم طريقا آخر، فهناك لم تكن السيادة في الثورة للبروليتاريا التي لم تكن تمثل و لم يكن من الممكن أن تمثل نظرا لضعفها، قوة سياسية مستقلة، بل كانت السيادة للبورجوازية الليبرالية. هناك لم يتم أنقاذ الفلاحين من النظام الإقطاعي على يد البروليتاريا التي كانت قليلة العدد وغير منظمة، بل تم على يد البورجوازية. هناك مشى الفلاحون ضد النظام القديم مع البورجوازية الليبرالية. هناك كان الفلاحون احتياطيا للبورجوازية. هناك بالتالي أدت الثورة الى تقوية وزن البورجوازية السياسي تقوية عظيمة.)) ص٧٧ من اسس اللينينية وحول المسائل اللينينية – الطبعة العربية – دار ابن سينا – بيروت – ١٩٦٧.

اما بالنسبة لحركة البروليتاريا الأوروبية ونضالها في سبيل الاشتراكية فقد أشار ماركس الى ضرورة التوفيق بين الحركة الثورية الفلاحية والثورة البروليتارية، وهي الفكرة التي صاغها في رسالة وجهها الى أنجلز في عام ١٨٥٦ و قال فيها ((سيكون كل شيء في المانيا متوقفا على إمكان دعم الثورة البروليتارية بطبعة جديدة من حرب الفلاحين)). والواقع أن الفلاحين المضطهدين وخاصة فقراء الفلاحين، يملكون طاقات ثورية لايمكن بدون تفجيرها وتشغيلها إحراز النصر في الثورة الديمقراطية أو الاشتراكية. وقد أدرك هذه الحقيقة بوضوح فلاديمير ئيليج لينين وصاغ على أساسها نظرية التحالف بين العمال والفلاحين في الثورة الديمقراطية وفي الثورة الاشتراكية، وبذلك أوجد لينين حليفا قويا للبروليتاريا الثورية وضمَّن بذلك التحالف إنتصار البروليتاريا في الثورة الاشتراكية.

وكان موضوع الفلاحين مثار النقاش و الجدال بين الثوريين الروس عامة و بين الماركسيين والشعبيين خاصة. إذ كان الشعبيون يذهبون خطأ الى أن القوة الثورية الرئيسية هي طبقة الفلاحين لا العمال: ((في الامكان دك سلطان القيصر وكبار ملاكي الاراضي بحركات التمرد يقوم بها الفلاحون وحدهم ولم يكن الشعبيون يعرفون الطبقة العاملة أو يدركون أن ليس بوسع الفلاحين وحدهم. التغلب على القيصرية وعلى كبار ملاكي الاراضي ما لم يحالفوا الطبقة العاملة وينضووا تحت لوائها ولم يفطن الشعبيون الى أن طبقة العمال هي أشد طبقات المجتمع ثورية وأسبقها في مضمار التقدم.)) راجع تاريخ الحزب البولشفي- الفصل الاول.

الا أن آراء الشعبيين قد دحضت من قبل بليخانوف الذي يعود الى كتاباته الماركسية الأولى الفضل الأكبر في غلبة الماركسية على الشعبية. فقد بين بليخانوف أن الفلاحين المؤلفين من مزارعين منفردين – هم رغم كثرة عددهم – الطبقة الكادحة المرتبطة بأشد أشكال الاقتصاد تأخرا وهو الأنتاج الصغير، ولذلك فليس لهم مستقبل كطبقة فلاحية خاصة، إذ أنهم ينقسمون دوريا وباستمرار الى فلاحين أغنياء (بورجوازيين) والى فلاحين مدقعين (أشباه البروليتاريا و بروليتاريين)، ثم أن الفلاحين لعدم تكتلهم و بحكم وضعهم كملاكين صغار لا يتقبلون التنظيم بسهولة ويسر ولا يتبعون الحركة الثورية بمثل السرعة التي يتبعها العمال. إلا أنَّ بليخانوف لم يدرك أهمية الفلاحين وأهمية تحالفهم مع العمال ولا الطاقة الثورية الكامنة في الفلاحين الفقراء والمعدمين.

ولقد قام لينين بتوضيح هذه الأهمية للحركة الفلاحية وقدم في مؤلفه ((من هم اصدقاء الشعب)) فكرة التحالف الثوري بين العمال والفلاحين لأول مرة باعتبار هذا التحالف هو الوسيلة الرئيسية لقلب حكومة القيصر وكبار ملاكي الاراضي. يقول لينين:

((ينبغي بذل جميع الجهود كي يتعزز التحالف بين البروليتاريا الثورية الاشتراكية و بين الفلاحين الثوريين ويزداد قوة وبأسا وينمو ويصبح ناضجا حين يحين حل الأزمة السياسية الحالية القادم الذي لا مناص منه. ففي هذا التحالف و فيه فقط يمكن نجاح حل القضية التي تتعلق بتسليم الفلاحين جميع الاراضي وبتسليم الشعب كل الحرية وكل السلطة)). ولذلك أوجب لينين على حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي أن يناضل من أجل تخليص الفلاحين من نفوذ البورجوازية وإيجاد تحالفهم مع البروليتاريا وجرهم تحت لواء قيادة البروليتاريا وذلك على الرغم من علمه التام بتذبذب الفلاحين و ترددهم لأنهم القوة الجدية الوحيدة التي يمكن أن تقبل التحالف بقيادة البروليتاريا وبه يمكن إحراز النصر في الثورة.

وكان لينين يدرك جيدا أن ((بين الفلاحين جماهير من العناصر نصف البروليتارية الى جانب العناصر البورجوازية الصغيرة))، وكلاهما فئتان اجتماعيتان ثوريتان وكان يؤمن بأن: ((جماهير الفلاحين دون أن تصبح اشتراكية ودون أن تكف عن كونها بورجوازية صغيرة يمكن أن تصبح من أشد أنصار الثورة الديمقراطية وأكثرهم حزما. وهي ستصبح كذلك حتما إذا لم ينقطع مجرى الحوادث الثورية، هذه الحوادث التي تثقف جماهير الفلاحين، أنقطاعا مبكرا بنتيجة خيانة البورجوازية وإندحار البروليتاريا. فبهذا الشرط تصبح جماهير الفلاحين حتما حصن الثورة والجمهورية. إذ أن ثورة ظافرة تماماً هي وحدها التي تستطيع أن تعطي جماهير الفلاحين كل شيء في ميدان الاصلاحات الزراعية، أن تعطيها كل ما ترغب فيه وكل ما تحلم به، وكل ماهو لازم حقا لها)). راجع لينين – خطتان للاشتراكية الديمقراطيةفي الثورة الديمقراطية.

والواقع أن لينين قد اعار المسألة الفلاحية أهمية كبيرة حتى ظن البعض ((أن القضية الأساسية في اللينينية هي مسألة الفلاحين وان نقطة انطلاق اللينينية هي مسألة الفلاحين، دورهم وأهميتهم)). ولكن هذا غير صحيح قطعا وذلك لأن ((المسألة الأساسية في اللينينية ونقطة إنطلاقها ليست مسألة الفلاحين بل مسألة دكتاتورية

البروليتاريا، مسألة الفوز بها، مسألة توطيدها. أن مسألة الفلاحين، باعتبارها مسألة حليف البروليتاريا في نضالها في سبيل السلطة هي مسألة مشتقة.)) – ص١٦٣ من حول مسائل اللينينية – الطبعة العربية بقلم ستالين. إذن فدور البروليتاريا هو القيادة في الثورة، ودور الفلاحين هو دور حليف البروليتاريا في الثورة. وكان نضال لينين في سبيل الثورة البروليتارية و في سبيل إنتصارها وإقامة دكتاتورية البروليتاريا هو الذي أوجب الاهتمام بمسألة الفلاحين ودورهم في الثورة. ((فكل من يسير الى الحكم ويستعد له عليه أن يهتم حتما بمعرفة من هم حلفاؤة الحقيقيون. بهذا المعنى تكون مسألة الفلاحين جزءا من المسألة العامة لدكتاتورية البروليتاريا، وهي بهذه الصفة تمثل مسألة من المسائل الحيوية الكبرى في اللينينية.)) على حد قول ستالين في ص٧٣ من المصدر السابق والذي يستطرد قائلا:

((أن المسألة موضوعة كما يلي: هل الامكانيات الثورية الكامنة لدى جماهير الفلاحين بفعل ظروف وجودهم الخاصة قد استنزفت أم لا؟ وإذا كانت لم تستنزف، فهل من أمل، وهل من أساس للاستفادة من هذه الامكانيات في سبيل الثورة البروليتارية ولتحويل جماهير الفلاحين، أي تحويل اكثريتهم المستثمرة من احتياطي للبورجوازية كما كانوا في الثورات البورجوازية في الغرب وكما لايزالون في الوقت الحاضر، الى احتياطي، الى حليف للبروليتاريا؟ أن اللينينية تجيب على هذا السؤال بالايجاب، أي انها تعترف بوجود كفاءات ثورية في صفوف اكثرية الفلاحين وبالامكان الاستفادة من هذه الكفاءات لمصلحة دكتاتورية البروليتاريا. ويؤكد تاريخ الثورات الروسية الثلاث تأكيدا تاما استنتاجات اللينينية في هذا الموضوع)). ((ومن هنا ذاك الاستنتاج العملي عن ضرورة تأييد جماهير الفلاحين الكادحين في نضالهم ضد الاستعباد والاستثمار في نضالهم من أجل تحررهم من الاضطهاد والبؤس)) ص٧٤ و ص٧٥ من المصدر السابق.

وعلى أساس هذه النظرية اللينينية حول مسألة الفلاحين وتطويرا لهذه النظرية وإغناءاً لها عالج الرفيق ماوتسي تونگ مسألة الفلاحين في الثورة الوطنية الديمقراطية في مرحلة التحرير الوطني الديمقراطي. فقد لاحظ الرفيق ماو أيضاً من دراسته للتاريخ الصيني أن الفلاحين الصينيين كانوا قوة ثورية رئيسية في جميع النضالات التي حدثت ضد الاستعمار واسرة جينغ منذ حرب مملكة التايبينغ السماوية عام ١٨٥١. وفي جميع

الأنتفاضات الوطنية التي حدثت تحت راية البورجوازية التقدمية الصينية بزعامة صن يات صن كان الفلاحون قوة ثورية رئيسية. وعندما عاودت الثورة الصينية إندلاعها بعد الحرب العالمية الاولى وإنتصار ثورة اوكتوبر الاشتراكية ودخلت مرحلة جديدة بظهور الحزب الشيوعي وتحالفه مع الكومينتانگ ودخوله اليه مع الاحتفاظ باستقلاله الايديولوجي والسياسي والتنظيمي، برزت أهمية دور العمال والفلاحين، مما حدي بالزعيم الصيني الخالد صن يات صن الى (صياغة مباديء الشعب الثلاثة) من جديد وجعل مساعدة العمال والفلاحين ركنا هاما من اركانها الثلاثة. ولكن حزب البورجوازية الوطنية الصينية لم يكن قادرا بحكم طبيعته الطبقية على القيام بصياغة نظرية صائبة عن دور العمال والفلاحين في الثورة الديمقراطية، فتصدى لصياغتها بنجاح مشهود قائد الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونگ، حيث أكد أهمية تحالف العمال والفلاحين باعتباره الأساس المتين للجبهة الوطنية ضد الامبريالية والاقطاعية والكومبرادورية. وبين الرفيق ماوتسي تونگ الدور القيادي للطبقة العاملة في الثورة الوطنية الديمقراطية. أما بخصوص الفلاحين فقد إستند الى موضوعة ستالين القائلة بأن المسألة الوطنية هي في جوهرها مسألة الفلاحين، و أن الفلاحين يشكلون الجيش الأساسي للحركة الوطنية، وصاغ مقولته بأن القوة الثورية الرئيسية للثورة الوطنية الديمقراطية هي الفلاحون، بينما تلعب البروليتاريا دور القيادة الثورية في الثورة الوطنية الديمقراطية. يقول الرفيق ماو:

((لقد قال ستالين (ان المسألة القومية هي في جوهرها مسألة الفلاحين) وهذا يعني أن الثورة الصينية في جوهرها ثورة الفلاحين و أن المقاومة الحالية ضد اليابان هي جوهريا مقاومة الفلاحين ضد اليابان. أن سياسة الديمقراطية الجديدة تعني جوهريا منح السلطات للفلاحين. وأن مباديء الشعب الثلاثة الجديدة أو الديمقراطية هي جوهريا مباديء ثورة الفلاحين كما أن الثقافة الجماهيرية تعني جوهريا رفع مستوى الفلاحين الثقافي. وأن حرب المقاومة ضد اليابان هي جوهريا حرب الفلاحين)). ص٥١١ من مؤلفات ماوتسي تونگ المختارة، المجلد الثاني.

ولاحظ ماوتسي تونگ الخصائص العامة للبلدان المستعمرة وشبه المستعمرة من حيث كون قواها الثورية ضعيفة في البداية وكون قوى أعداء الثورية كبيرة ومن حيث التأخر الاقتصادي والسياسي والثقافي لهذه البلدان وضعف الطبقة العاملة كميا وكيفيا

وكثرة الفلاحين فاستنتج من كل ذلك بأن الثورة ستكون طويلة الأمد وسيكون الفلاحون جيشها الرئيسي والبروليتاريا قيادتها مما يحتم العمل بوصية انجلس القائلة بأنه من أجل الاستيلاء على السلطة السياسية (يجب أن يبدأ الحزب بالذهاب من المدينة الى الريف) وبالتالي فعلى الحزب الطليعي أن يبدأ بنقل مركز ثقل نشاطه الى الريف ويشرع منه بأنشاء القواعد الثورية وبتحرير الريف لمحاصرة المدن منه ومن ثم تحرير البلاد كلها عن طريق الحرب الشعبية الطويلة الأمد بما في ذلك تحرير المدن المحاصرة بالمناطق الريفية المحررة. وقد بين الرفيق ماو بأن الطبقة العاملة والفلاحين يشكلون القوة الدافعة الأساسية للثورة و الجماهير العريضة من البورجوازية الصغيرة و المثقفون الثوريون هم خير الحلفاء الذين يمكن الاعتماد عليهم في الثورة الوطنية ويمكن لقسم من البورجوازية الوطنية أن يتحالف معهم ضمن الجبهة المتحدة في النضال ضد الامبريالية و الاقطاعية. يقول ماوتسي تونگ:

((أن القوى المحركة للثورة لا تزال في الأساس العمال والفلاحين و البورجوازية الصغيرة في المدن. بيد أنه يمكن الآن أن تضم اليها البورجوازية الوطنية)) ص٢٤٨ من المختارات، المجلد الأول، حول تكتيك مناهضة الامبريالية اليابانية. وعن دور جماهير الفلاحين و البورجوازية الصغيرة في المدن القيادي قال أنهم ((يشكلون القوى الرئيسية في الحرب الثورية الا أن الأنتاج الصغير الذي يتميزون به يضيق نظرتهم السياسية (وبعض الجماهير العاطلة تحمل افكارا فوضوية) ولذا يعجزون عن قيادة الحرب قيادة صحيحة)) ص٢٤ من كراس ست مقالات عسكرية، ماوتسي تونگ.

ولكن الفلاحين لا يشكلون طبقة اجتماعية موحدة ومتجانسة. بل يؤلفون مراتب اجتماعية مختلفة تضم- ١- الفلاحين الأغنياء ٢- الفلاحين المتوسطين ٣- الفلاحين الفقراء ٤- العمال الزراعيين. ولهذه المراتب مواقف مختلفة في الثورة. فبالرغم من تعاطف جميع الفلاحين مع المشاعر الوطنية ومع الحركة الوطنية التحررية، الا أن الفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين في الريف هم الذين يشكلون القوة الرئيسية الثورية في الحرب الشعبية، بينما يمتاز الفلاحون المتوسطون بمواقف شبيهة بموقف البورجوازية الصغيرة في المدن، ويمتاز الفلاحون الأغنياء بمواقف البورجوازية الوطنية و الملاكين الوطنيين الصغار في الحركة الوطنية التحررية. لذلك فأن الطبقة العاملة يحدد موقفها من الفلاحين

بقول لينين التالي: أولا مع (كل) الفلاحين ضد الملكية ضد الملاكين العقاريين ضد القرون الوسطى (ونظرا لذلك تبقى الثورة ثورة بورجوازية ديمقراطية). ثم مع الفلاحين الفقراء مع أنصاف البروليتاريين مع جميع المستثمرين ضد الرأسمالية بمن فيهم الريفيون الأغنياء، الكولاك، المضاربون وعليه تصبح الثورة ثورة اشتراكية. وما الرغبة في اقامة حاجز صناعي كسور الصين بين الثورتين والفصل بينهما بغير درجة إستعداد البروليتاريا ودرجة اتحادها مع الفلاحين الفقراء الا تشويه كبير للماركسية وتحقير لها و احلال لليبرالية محلها. إذن يشكل الفلاحون الجيش الرئيسي للثورة الوطنية الديمقراطية و لكنهم لا يستطيعون قيادة الثورة الى النصر. و لماذا؟.

أسباب عجز الفلاحين عن قيادة الثورة

حقا أن الفلاحين يلعبون دورا هاما في الثورة الوطنية الديمقراطيةالتي تكون في جوهرها ثورتهم ويقدمون لها جميع المساعدات، فالقسم الأعظم من الأنصار يكون من أبنائهم ومناطق الثورة تكون مناطق الفلاحين الذين يقدمون المساعدات المادية والمعنوية لها ويتحملون اعباءها ومشاقها ومآسيها. وصحيح أن الهدف الرئيسي للثورة هو بجانب تحرير الوطن من الامبريالية والسيطرة الاجنبية، تحرير الفلاحين من الاقطاعية وإستئصال شأفة العلاقات الاقطاعية في البلاد ولكن الفلاحين لا يستطيعون أداء دور القيادة في الثورة للاسباب المبينة أدناه:

أولاً : أن الفلاحين لا يشكلون طبقة متجانسة موحدة، بل يتألف الفلاحون من عدة مراتب أولها الفلاحون الأغنياء المحسوبون على البورجوازية، وهؤلاء لا يستطيعون القيام بدور القيادة لنفس الاسباب التي لا تستطيع بموجبها البورجوازية أداء هذا الدور. وثانيها (وهم الفلاحون المتوسطون) هم البورجوازيون الصغار الذين سبق بيان عجزهم عن الاضطلاع بدور القيادة في الثورة. وثالثها الفلاحون المدقعون (وهم اشباه البروليتاريا). وكذلك العمال الزراعيون وهؤلاء يرتبطون بالطبقة العاملة التي تمتاز البروليتاريا منها بالمميزات الثورية والنضالية و الجهادية التي تؤهلها للقيادة في الثورة. ولكن هؤلاء الفلاحين رغم كونهم من أقرب حلفاء الطبقة العاملة في النضال من أجل الاشتراكية، الا أن كونهم يرتبطون بالأنتاج الصغير و بالوسائل الأنتاجية البدائية و تبعثرهم يجعلهم لا يتميزون بخصائص البروليتاريا الجهادية الثورية التي تؤهلها للقيادة الثورية.

ثانياً : أن الفلاحين الذين يشكلون مراتب اجتماعية متعددة يعتبرون فئة اجتماعية غير ثابتة لأن اغنيائها يتحولون الى البورجوازية الريفية ويصبحون قريبين من الملاكين بينما يهاجر الفلاحين المدقعون الى المدن ويتحولون الى عمال وكادحين وعاطلين (يحملون افكارا فوضوية). ويتحول الفلاح المتوسط الى فلاح غني أو مدقع باستمرار. كل ذلك يجعل من الفلاحين جماعة غير ثابتة ولا مستقبل لها بحكم التطور الاجتماعي الذي

يفتت صفوفهم دائما. وهذا ما يجعلهم متذبذبين و مترددين و يجعل تنظيمهم صعبا وتحشيدهم معقداً مما ينفي امكانية قيامهم بدور القيادة في الثورة.

ثالثاً : أن كون الفلاحين مرتبطين بالأنتاج الصغير يجعلهم يتميزون بضيق الافق و قصر النظر السياسي، لذا يعجزون من قيادة الحرب الثورية قيادة صحيحة. وخاصة لأن هذه العلاقة بالأنتاج الصغير البدائي تجعلهم فئة مشتتة غير مستعدة لقبول متطلبات التنظيم الثوري من ضبط واطاعة ووحدة الأرادة والعمل و تقبل الآراء و الافكار الثورية بسرعة. كما أن كونه مالكا صغيرا ينفي عنهم القدرة عن الاضطلاع بمهام ثورة ديمقراطية شعبية تعتبر المرحلة الأنتقالية الى الاشتراكية القائمة على الملكية الجماعية لوسائل الأنتاج والتي تحتم القضاء على الملكية الصغيرة للارض وتجميع الفلاحين في الجمعيات التعاونية الزراعية والمزارع الجماعية ثم مزارع الدولة في المستقبل.

رابعاً : لا يملك الفلاحون نظرية ثورية كي تقود وترشد الحركة المنورة بعكس البروليتاريا التي تملك نظريتها الثورية الاشتراكية العلمية. ولا يملكون المقدرة الجهادية على مواصلة النضال دون وهن أو تردد حتى الاشتراكية، بينما تملك البروليتاريا هذه المقدرة. ثم أن الفلاحين لايستطيعون بدون الحلفاء إنجاز أية مهمة أساسية بما فيها الاصلاح الزراعي الجذري. وقد أثبتت التجربة أن الطبقة العامله هي خير حلفاء الفلاحين. لكل ذلك فأن الفلاحين لا يستطيعون بدون التحالف مع البروليتاريا وبدون النضال المشترك معها وتحت قيادتها إنجاز مهمات الثورة الديمقراطية بما فيها تحرير أنفسهم من الاستثمار الاقطاعي ومن مظالم العلاقات الاقطاعية في الريف، ((إذ أن تجربة جميع الثورات وجميع حركات الطبقات المضطهدة وأن تجربة الحركة الاشتراكية العالمية تعلمنا أن البروليتاريا فقط في وسعها أن تجمع وتقود وراءها الفئات المبعثرة والمتأخرة من السكان الكادحين والمستثمرين)) كما يقول لينين في كتابه الثورة البروليتارية و المرتد كاوتسكي.

هذا هو التحليل العلمي لموقف الطبقات الاجتماعية المختلفة من الثورة و من مهمات مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي. أما كيف يمكن إيجاد تحالف هذه الطبقات في الجبهة الوطنية التقدمية فيتوقف شرحه على مستلزمات الجبهة المتحدة.

بقيت مسألة تحقيق تحالف القوميات المختلفة في الجبهة الوطنية المتحدة التي تتوقف على تحقيق مهمتين أساسيتين:

الاولى: تحقيق تحالف العمال والفلاحين و سائر الكادحين.

والثانية: اعتراف الجبهة الوطنية المتحدة بحق القوميات المختلفة في تقرير مصيرها و بحقوق هذه القوميات الديمقراطية مما يخلق جوا مناسبا لتحالف الأحزاب التقدمية لهذه القوميات و المنبثقة عن حركاتها التحررية التقدمية. وكذلك لتحقيق هذا التحالف يجب إفساح المجال أمام الأحزاب والمنظمات التقدمية لهذه القوميات ثم إيجاد تلاحمها الكفاحي. ويقينا أن أحسن شكل لهذا التلاحم الكفاحي بين القوميات واحزابها التقدمية و المنظمات الديمقراطية هو صيغة الجبهة المتحدة. كيفية هذا التحالف و تحقيقه تدخل ضمن كيفية تحقيق الجبهة الوطنية المتحدة نفسها.

الفصل الثالث

أهداف الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة

إذا كنا في معرض البحث عن الأهداف الأساسية لجبهة وطنية تقدمية حقيقية قوامها الأساسي تحالف العمال والفلاحين وسائر الكادحين مع البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية التقدمية، فلابد أن تتضمن هذه الاهداف إقامة حكومة ديمقراطية جديدة ذات نظام ديمقراطي شعبـي وذات سلطة ديمقراطية مركزية. أن الديمقراطية الشعبية تتطلب حكما ائتلافيا بين ممثلي العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية التقدمية بقيادة الطبقة العاملة وستمارس السلطة الشعبية الديمقراطية، ستمارس الدكتاتورية ضد عملاء الامبريالية وضد الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية، بينما ستطلق الحريات الديمقراطية للعمال والفلاحين وغيرهم من أطراف الإئتلاف بما في ذلك حرية الأحزاب والمنظمات والنقابات والجمعيات الفلاحية و المنظمات المهنية وكذلك حرية النشر و المعتقد.

ومثل هذه الحكومة الشعبية ستوجد حتما أنواعا من المؤسسات التشريعية المنتخبة من قبل الشعب. بينما يحرم أعداء الشعب من حق الأنتخاب والاشتراك في الحياة السياسية العامة.

واقتصاد هذه الديمقراطية الشعبية سيكون قائما على إمتلاك الدولة للبنوك والمصانع والمشاريع الصناعية والتجارية الكبرى وعلى تحريم الاحتكار وتأميم التجارة الخارجية وتقييد التجارة الداخلية بما يخدم مصالح الشعب الكادح وكذلك منع الرأسمال الخاص من السيطرة على وسائل معيشة الشعب وستكون المشاريع ذات طبيعة اشتراكية وهي تشكل القوة القائدة في مجموع الاقتصاد الوطني. ولكن الجمهورية الديمقراطية الشعبية ((لا تصادر الاملاك الرأسمالية الخاصة الاخرى، لا تحظر تطور الأنتاج الرأسمالي الذي لا يسيطر على وسائل معيشة الشعب)).

اما في الميدان الزراعي، فستقوم الحكومة الديمقراطية الشعبية بمصادرة أراضي الإقطاعيين وملاكي الاراضي وتوزيعها على الفلاحين الذين لا يملكون أرضا أو يملكون قطعا صغيرة، مع السعي لاقامة تعاونيات زراعية واقامة مزارع حكومية نموذجية وتشجيع الفلاحين على تأسيس فرق التعاون والعمل على تأسيس المزارع التعاونية بمحض رغبتهم وبارادتهم. وهذه هي العناصر الاشتراكية في الريف.

وفي المجال القومي ستسعى الديمقراطية الشعبية لحل المسألة القومية على أساس حق تقرير المصير مع الدعوة والتبشير بالاتحاد الاختياري الأخوي ولتحقيق الوحدة القومية لأجزاء الأمة المقسمة على أساس الديمقراطية الشعبية وبالاعتماد على الجماهير الشعبية.

أما في السياسة الخارجية فستمارس سياسة معاداة الإمبريالية والصهيونية والاحلاف الاستعمارية ودعم حركات التحرر الوطني والتحالف مع الدول الاشتراكية والحركات العمالية الثورية و تمارس سياسة التعايش السلمي على اسس المباديء الخمسة المعروفة لها. وهذا يعني رفض الديمقراطية الشعبية لمقولة الحياد، إذ لابد من التحالف مع المعسكر المعادي للامبريالية والصهيونية ضد المعسكر الاستعماري العالمي الذي تقوده الامبريالية الأمريكية.

هذا عن الاهداف الأساسية للجبهة الوطنية التقدمية الحقيقية. أما في الظروف الحالية حيث تنعدم مستلزمات اقامة الجبهة الوطنية التقدمية و توجد امكانية اتحاد الأحزاب التقدمية في جبهة متحدة فأن الاهداف التي يجمع عليها الاطراف التقدمية يجب أن تدرج في الميثاق الوطني لاتحاد الأحزاب. وهنا يجب التمييز بين جبهة وطنية تقدمية حقيقية بمضمونها الطبقي العلمي وباعتبارها تحالفا طبقيا، وتلاحما كفاحيا جهاديا بين جماهير العمال و الفلاحين والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية باعتبارها اتحادا في القواعد أولا والقيادات ثانيا، أقول يجب التفريق والتمييز بين مثل هذه الجبهة الوطنية التقدمية و بين تآلف أحزاب وطنية وتقدمية وأتحادها بعد الاتفاق على أهداف معينة قريبة أو آنية في المرحلة التاريخية المعينة، خاصة لأن أهدافهما وطبيعتهما وقيادتهما مختلفتان. إذ تتضمن أهداف الجبهة الوطنية الحقيقية الديمقراطية الشعبية وطبيعتها الطبقية هي التحالف الطبقي الحقيقي وقيادتها هي الطبقة العاملة، بينما تتحدد أهداف تآلف الأحزاب باتفاقها على مواضيع ومسائل معينة وطبيعتها ليست التحالف العريض والجماهيري للطبقات الثورية و لا تشترط فيها قيادة الطبقة العاملة. وكذلك تختلف أساليب كفاحهما في الغالب إذ تسلك الجبهة الوطنية الحقيقية غالبا اسلوب الكفاح المسلح الثوري (الحرب الشعبية) بينما يمارس تآلف الأحزاب آساليب نضالية اخرى في الأغلب الأعم.

«الميثاق الوطني»
لاتحاد الأحزاب و المنظمات التقدمية

أن الميثاق الوطني لاتحاد الأحزاب والمنظمات التقدمية يجب أن يتضمن الاهداف الوطنية والديمقراطية باتجاه السير نحو الديمقراطيةالشعبية باعتبارها الهدف الستراتيجي لمرحلة التحرر الوطني الديموقراطي. وذلك كي لا يعرقل تحقيق أهداف الجبهة الوطنية التقدمية المنشودة حالما تتوفر شروط (مستلزمات) إقامة مثل هذه الجبهة الوطنية المتحدة. ولكي يتم وضع برنامج يتضمن هذه الأهداف الوطنية الديمقراطية فلا بد من تشاور ديمقراطي حر بين أطراف هذا الاتحاد و مراعاة النقاط المشتركة والمصالح الحقيقية للجماهير الشعبية مع تقدير صحيح للمرحلة التاريخية الراهنة وطبيعة ثورتنا الوطنية الديمقراطية وقواها المحركة الرئيسية. ومساهمة منا في بلورة هذا البرنامج، نتقدم بالمقترحات التالية للميثاق الوطني المطلوب:

أولاً: معاداة الامبريالية والصهيونية والاحلاف الاستعمارية ومقاومة مؤامراتها ودسائسها، والاستعداد الجدي للمساهمة في خوض معركة تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة الاخرى وذلك على مستوى الحرب النظامية والحرب الشعبية. وتقديم المساعدات المادية والمعنوية للثورة الفلسطينية.

ثانياً: التضامن والتحالف، والاتحاد مع القوى العربية الثورية والأنظمة العربية المتحررة لخوض النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية.

ثالثاً: تحقيق اتحاد فيدرالي بين الأنظمة العربية المتحررة وتحقيق الوحدة العسكرية التامة لخوض الحرب الثورية ضد الصهيونية والامبريالية و من أجل تحرير فلسطين والاراضي العربية المحتلة الأخرى.

رابعاً: تعزيز التضامن الكفاحي مع القوى التحررية الوطنية والطبقة العاملة العالمية الثورية والدول الاشتراكية والمعادية للامبريالية والمساهمة الجدية في الكفاح الثوري

العالمي ضد الإمبريالية وعلى رأسها الامبريالية الامريكية وتأييد حركات الشعوب التحررية في شرقنا وفي آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وإيجاد علاقات كفاحية متينة معها.

خامساً : إقامة حكومة إئتلافية ذات طبيعة ديمقراطية ثورية بحيث تمثل طبقيا العمال والفلاحين و سائر الكادحين بجانب البورجوازية الصغيرة و القسم التقدمي من البورجوازية الوطنية وتمثل قوميا العرب والأكراد والتركمان و سياسيا ممثلي الأحزاب التقدمية و الديمقراطية الثورية.

سادساً : ١- تحارب هذه الحكومة الائتلافية جميع المؤامرات الامبريالية والدسائس الرجعية وتقمع نشاط العملاء والخونة والعناصر الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية.

٢. وتطلق الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية وللاحزاب والمنظمات التقدمية والثورية.

٣. تمهد السبيل لايجاد مؤسسات تشريعية على أسس ديمقراطية لتضمن الإرادة الشعبية.

سابعاً : حل القضية القومية للشعب الكردي على أساس الحكم الذاتي ضمن الوحدة الوطنية للعراق وتعزيز التلاحم الكفاحي بين العرب والاكراد والتركمان وسائر المواطنين و تمتين أُخوَّتهم وضمان الحقوق الثقافية و الادارية للاخوان التركمان.

ثامناً : النضال من أجل الحريات الديمقراطية بمافيها حرية العمل الحزبي والنقابي والمهني والفكري لجميع القوى التقدمية والأحزاب الوطنية التقدمية، ومن أجل حرية الصحافة والنشر والمطبوعات لهذه القوى التقدمية جميعا والعمل على إستنهاض العمال والفلاحين وسائر الكادحين ومساعدتهم لتنشيط وتنوير الحركة النقابية والفلاحية وممارسة حرياتهم كاملة في الميدان النقابي و في الجمعيات الفلاحية والحركة الثورية عموما.

تاسعاً : النضال من أجل تمتع القومية الكردية بحقوقها السياسية والادارية و الثقافية و حق التمثيل في البرلمان والحكومة المركزية في جميع مرافق الدولة والمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية بشكل يتناسب مع وجودها مع ضمان حقوق الاقليات القومية الساكنة في كردستان العراق كالتركمان والاثور و غيرهم. و النضال من أجل تمتع القومية

الكردية بالحريات الديمقراطيةالعامة.

عاشراً : مصادرة أراضي الاقطاعيين وتوزيعها مع الأراضي الأميرية على الفلاحين المعدمين أو الذين يملكون قطعة صغيرة من الأرض وتقديم المساعدات الفعلية لنضال الفلاحين من أجل إستنهاض الجماهير الفلاحية ولإنعاش حركة فلاحية ثورية تساهم في إنجاح الإصلاح الزراعي الجذري. والسعي لتشجيع الفلاحين على تأسيس فرق التعاون وتبادل المساعدة تمهيدا لإنشاء مزارع تعاونية بجانب قيام الدولة بتأسيس مشاريع حكومية زراعية نموذجية ومزارع للدولة في الأراضي المستصلحة الأميرية. وتقديم المساعدات المالية والفنية والتوجيهية للحركة الفلاحية والسعي لمكننة الزراعة وحل مشاكل الري والتسميد والتسويق.

الحادي عشر : السعي لأنشاء الصناعة الثقيلة في البلاد باستثمار المعادن الموجودة وطنيا بإقامة صناعة الحديد والصلب وإستخراج المعادن في جميع أنحاء العراق بدون تمييز. وتشجيع الصناعة الوطنية ووضع الخطط اللازمة لإنجاح المشاريع الصناعية القائمة و تطويرها و خاصة الصناعة النفطية والكبريتية وإيجاد الصناعات البتروكيمياوية وإكثار الصناعة الخفيفة الموجودة.

الثاني عشر : لما كانت مشكلة الأرض والفلاحة في كردستان ذات ميزات خاصة، لذلك يجب تشريع قانون للاصلاح الزراعي يضمن إستئصال شأفة العلاقات الاقطاعية وحصول فلاحي كردستان على الأراضي وحل مشكلة الري لصالحهم. وكذلك يجب الاهتمام بتربية المواشي والاغنام باعتبارهما شكلا رئيسيا للأنتاج في الريف، والغاء جميع القيود والامتيازات والعلاقات المتعلقة بتربية المواشي وتعميم الطب البيطري للوقاية والعلاج، كما يجب الاهتمام بالتبغ باعتباره عنصرا رئيسيا للأنتاج في الريف الكردي ورفع القيود المفروضة على زراعة التبغ وتحسين نوعية و مساعدة زراع التبغ ماديا وتخليصهم من جشع المرابين و الإقطاعيين و تقديم المساعدة الفنية الحديثة لهم. واخيرا يجب الاهتمام بالغابات والإكثار منها وصيانتها وتطعيم الاشجار فيها لتنمية الثروة النباتية.

الثالث عشر : محاربة الاحتكارات النفطية الدولية و إعتبار تأميم النفط هو الهدف النهائي للشعب، لذلك يجب النضال من أجل تقريب يوم التأميم والسعي لإيجاد مستلزمات إنجاح تأميم النفط والسير على سياسة وطنية في مجال إستخراج وإستغلال

النفط من قبل شركة النفط الوطنية وبيعها وإيجاد الاسواق اللازمة لصرف المنتوجات النفطية دون الاعتماد على الاحتكارات النفطية الدولية و تقوية شركة النفط الوطنية وإيصالها الى مستوى إنجاز مهامها الوطنية الخطيرة. والنضال من أجل زيادة عائدات العراق و حصته من النفط وإستحصال حقوقه من شركات النفط الاستعمارية والنضال من أجل مساهمة العراق في رأسمال شركات النفط و إدارتها ومراقبة إنتاجها والاشراف على تنفيذ الاتفاقيات المعقودة بدقة وكذلك المساهمة في عمليات التسويق والتصريف في الخارج. ويجب العمل على تهيئة الكوادر الادارية والفنية والعلمية في مجالات الصناعة النفطية كافة وكذلك تربية الكوادر الضرورية لتصنيع البلاد وإقامة المشاريع الصناعية لاستثمار المعادن و طنيا.

الرابع عشر : وضع خطة علمية مبرمجة لتصنيع البلاد وبالاعتماد على مواردنا وعلى القروض من الدول الصديقة وبالاعتماد على الاتفاقيات المعقودة مع الدول الصديقة و شريطة أن تصون هذه الاتفاقيات استقلالنا الوطني وتضمن مصالحنا الاقتصادية والوطنية و ألاّ تؤدي الى ربطنا بعجلة هذه الدول.

الخامس عشر: تأميم التجارة الخارجية ومساهمة الدولة في التجارة الداخلية عن طريق تنظيمها ومراقبتها وقيادتها وعن طريق إنشاء المخازن العامة وتحديد الأسعار والأرباح و تنظيم التوزيع العادل للمواد الغذائية والاستهلاكية الوطنية المستوردة مع السماح بتطوير الصناعة والتجارة الرأسمالي ضمن النطاق المخصص لهما في النظام الاقتصادي العام وبتوجيه من الدولة ومحاربة الاحتكار والمضاربة. وإقامة علاقاتنا التجارية مع الدول المختلفة على أساس المنفعة المتبادلة و وفق خطة مدروسة تستهدف إنجاز التنمية الاقتصادية وتصنيع البلاد والسعي الجدي لتخليص تجارتنا الوطنية وإقتصادنا الوطني من القيود التي تشدها بالسوق الرأسمالية الدولية وبالدول الاستعمارية. ومنع تغلغل الرأسمال الاستعماري وتوجيه الإستيراد نحو السلع الأنتاجية والتصنيع ومكننة الزراعة. ومنع تهريب الاموال الى الخارج ورعاية مصالح التجار والصناعيين الوطنيين ومنحهم التسهيلات المصرفية والائتمانية والكمركية وغيرها للنهوض بمستوى أعمالهم.

السادس عشر : السعي لتنظيم المشروعات المالية للجمهورية العراقية بشكل يهدف الى الاقتصاد في النفقات وتوفير الأموال للمشاريع الأنتاجية والتصنيع مع مراعاة التوازن بين المصروفات والواردات و وإيجاد نظام عادل للضرائب يعتمد على الضرائب المباشرة والتصاعدية على الدخل والارث وتخفيف عبء الضرائب غير المباشرة على الجماهير الكادحة ودعم وتوسيع البنك المركزي العراقي لتمكينه من إتخاذ الاجراءات الكفيلة بمكافحة تهريب العملة والذهب وتقوية العملة العراقية وتغطيتها بمقادير كافية من الذهب والعملات الأجنبية القوية. وتشريع القوانين الكمركية و التعريفة الكمركية بشكل يؤمن مصالح عامة الشعب الكادح وحماية الاقتصاد والصناعة الوطنية. ورفع رواتب الكادحين والمستخدمين وتقليل الرواتب العالية لكبار موظفي الدولة و وضع حد أعلى مناسب للراتب مع تحديد حد أدنى، مناسب للشغيلة يكفي لتوفير حياة كريمة مناسبة لهم.

السابع عشر : صيانة وإنجاح التأميمات التي حدثت و توفير الكوادر الفنية والادارية النزيهة والكفؤة اللازمة لادارتها. ودعم القطاع العام ومعالجة نواقصه وعيوبه بالاسلوب العلمي ومساعدة القطاع الخاص المفيد للشعب تحت رقابة القطاع العام. والعمل على تنشيط القطاعين في تناسق مع بعضهما و وفق البرنامج والخطة العامة للدولة.

الثامن عشر : العناية بالجيش ورفع مستواه الثقافي والعلمي والصحي وجعله جيشا عصريا و تنشئة أفراده بروح النضال الثوري والديمقراطية الصحيحة والوطنية الصادقة للذود عن الوطن ومكاسب الشعب التقدمية وتهيئته لخوض معركة تحرير فلسطين من الصهيونية والامبريالية ولمواجهة التحديات الاستعمارية والرجعية في المنطقة والعمل على تسليح العمال والفلاحين وإيجاد فصائل الميليشيا الشعبية الثورية للمساهمة في الدفاع عن الوطن وحماية مكاسب العمال والفلاحين ولتطوير الثورة العراقية. وكذلك الاهتمام بتحسين أحوال الشرطة ورفع مستواهم الثقافي والصحي والمعاشي وتقوية الروح الوطنية والديمقراطية في صفوفهم وجعلهم في خدمة الشعب ومدركين لواجباتهم ومسؤلياتهم.

التاسع عشر: النضال من أجل تحسين معيشة العمال والكادحين و تحديد حد أدنى للراتب بسبعمائة وخمسين فلسا وتحسين شروط العمل و سن القوانين التقدمية للعمل والضمان الاجتماعي تكون شاملة لجميع العمال والكادحين ومنع الفصل التعسفي و النقل الكيفي. والنضال للقضاء على البطالة جذريا وإيجاد الأعمال للشغيلة وتقليص ساعات العمل ومنع العمل بالقطعة وتشريع القوانين اللازمة التقدمية للتقاعد وممارسة العمال حرياتهم النقابية الديمقراطية وضمان حق العمال في الأرباح وإرسال البعثات وكذلك زيادة المدارس الصناعية و فتح أبوابها أمام العمال المهرة و المتقدمين و توفير المساكن للعمال وتوفير الضمان الصحي والمعالجة الطبية المجانية و حماية حقوق المرأة العاملة و مساواتها بالرجل وحقها في التمتع بالاجازة اثناء الولادة وبعدها ومنع تشغيل الأحداث.

العشرون : النضال من أجل إستئصال الامية والقضاء على الجهل وفق خطة ثورية مدروسة وتنفيذ مبدأ التعليم الابتدائي الالزامي والمجاني وتطوير البرامج التربوية والتعليمية وجهة ديمقراطية وثورية واشتراكية ومكافحة الاتجاهات والميول الرجعية والثقافات الاستعمارية والاقطاعية والشوفينية وتنمية وتشجيع الثقافة التقدمية والاشتراكية. والاهتمام بالجامعات العراقية والمحافظة على استقلالها وجعلها مراكز هامة للبحث و التتبع العلمي، و تطوير جامعة السليمانية و مساعدتها ماديا و معنويا. و كذلك تطبيق الدراسة الكردية في كردستان العراق و جعل اللغة الكردية لغة رسمية بجانب اللغة العربية. تطوير الأدب والفن في العراق بشقيه العربي والكردي واستغلال طاقاتهما الثورية لخدمة الجماهير الشعبية. و تطور وسائل الاعلام و الإذاعة والتلفزيون ووضعها في خدمة الشعب الكادح.

الحادي والعشرون : النضال من أجل تمتع المرأة العراقية بحقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكاملة ومساواتها بالرجل وتشريع القوانين اللازمة لحماية حقوقها ولصيانة العائلة وحق المرأة في نواحي الزواج والطلاق والإرث وحماية حقوق الأمومة والطفولة.

الثاني والعشرون : النضال من أجل رفع مستوى السلطة القضائية وتشريع القوانين التقدمية وصيانة استقلال القضاء التام بحيث يكون قادرا على تحقيق العدالة وتحسين أحوال القضاة والحكام وتوفير الصيانة اللازمة لهم. وتطهير أجهزة الدولة المختلفة من العناصر الرجعية والفاسدة والمرتشية والبيروقراطية وتهيئة أجهزة ديمقراطية كفؤة لخدمة الشعب وتمشية أمور الدولة.

الثالث والعشرون : تعميم العلاج المجاني للجماهير الشعبية والإكثار من المستشفيات والمؤسسات الصحية ودور النقاهة والاستراحة وتزويد الريف، والاماكن النائية بالخدمات الطبية و وضع خطة شاملة مدروسة لتيسير الأدوية وإنشاء صناعتها و وضع أسعار مناسبة لها. والسعي من أجل توفير الملاكات الصحية ذات الكفاءة و فتح المزيد من الكليات و المدارس الصحية والإكثار من البعثات الطبية الى الخارج و وضع خطط تفصيلية علمية للوقاية من الامراض المتوطنة والسارية لاستئصالها. والسعي لتوفير المياه الصالحة للشرب وحفر الابار الارتوازية.

الرابع و العشرون : تحسين الطرق وتعبيدها والإكثار من شبكة سكك الحديد وتأمين ناقلات النفط المطلوبة وخلق اسطول بحري تجاري و توسيع شبكات الاتصال البري و الجوي والنهري و العناية بالمصايف العراقية وتوسيعها و تنظيمها عصريا و تشجيع و تنشيط حركة السياحة في العراق.

الفصل الرابع

مستلزمات الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة

بينّا فيما تقدم حقيقة الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة باعتبارها تحالف العمال والفلاحين و البورجوازية الصغيرة والقسم التقدمي من البورجوازية الوطنية، وذلك فيما يتعلق باوضاع بلادنا الخاصة وما تبقّى من مهمات مرحلة التحرر الوطني و الديموقراطي بعد ثورة ١٤/ تموز وإنجازاتها العديدة. والهدف الأساسي لهذه الجبهة هو تحقيق مهام الثورة الديمقراطية الشعبية في القضاء التام على الإمبريالية و الاقطاعية والبورجوازية الكومبرادورية واقامة نظام حكم ديمقراطي شعبـي.

إذن فالجبهة الوطنية المتحدة المنشودة هي الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة بقيادة الطبقة العاملة و طليعتها السياسية المسلحة بالافكار الاشتراكية العلمية. ولكن لا يمكن تحقيق مثل هذه الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة الا بنضال شاق طويل يخوضه الحزب الطليعي الثوري. لذلك فالشرط الأول لاقامة هذه الجبهة هو وجود حزب طليعي ثوري يمثل العمال والفلاحين وسائر الكادحين، حزب ثوري يضم في صفوفه خيرة العناصر العمالية الشريفة والمناضلة والواعية، وخيرة العناصر شبه البروليتارية في الريف وبذلك يضع القاعدة الصلدة لتحالف العمال والفلاحين. إذ أن المناضلين الثوريين العاملين (من العمال و الفلاحين) في صفوف حزب الطليعة الثوري سيحققون بجانب وحدة الطبقة العاملة تحالفها مع الفلاحين وذلك عن طريق تبني مطاليب الفلاحين و دعم نضالهم في سبيل الأرض من جهة و جعل الفلاحين الفقراء الواعين قوة طليعية في الجمعيات الفلاحية والنضالات الفلاحية من أجل الاصلاح الزراعي من جهة ثانية و قيادة النضال الثوري المسلح للفلاحين في الحرب الشعبية أو في حرب التحرر الوطني من جهة ثالثة.

إذن فإن تحالف العمال والفلاحين هو الشرط الأساسي الثاني لاقامة الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة و سيستغرق تحقيق هذا التحالف فترة طويلة نسبيا. إذ أن تشتت الفلاحين و تبعثر صفوفهم و عدم وجود حركة فلاحية ثورية منظمة أو حزب فلاحي يمثل الفلاحين تمثيلا حقيقيا يجعل أمر التحالف منوطا بنضال ثوري من أجل إيجاد حركة فلاحية ثورية و تأليف جمعيات فلاحية مناضلة و تشديد النضالات الفلاحية و ربطها

بنضالات الطبقة العاملة التي تؤيد بدورها مطاليب الفلاحين في الحصول على الأراضي وفي إجراء إصلاح زراعي جذري، وهذا يعني قبول الطبقة العاملة بشعار الفلاحين المعبر عن أمنيتهم القديمة أُمنية تملك الأرض، وهي أُمنية ديمقراطية بورجوازية في الاصل و الجوهر. وهذا يعني إتفاق الطبقة العاملة مع الفلاحين على هدف ديمقراطي مشترك.

ولكن مجرد هذا الاتفاق على مطاليب الفلاحين لا يعني خلق تحالف العمال والفلاحين، بل يمهد لهذا التحالف و يسهله وأن هذا التحالف سيمر بتجارب عديدة حتى بعد تحقيقه. ولكي يصبح هذا التحالف أمرا ممكنا و واقعا، يتطلب نضال متواصل من حزب الطبقة العاملة و في الريف بحيث ينقل مركز نشاطه الي الريف ويسعى لتوعية الفلاحين وإستنهاض البروليتاريا الريفية والفلاحين الفقراء و جعلهم نواة الحركة الفلاحية الثورية وطلائعها وتربيتهم لقيادة الجمعيات الفلاحية والتعاونية، ويتم ذلك بخوض نضال ثوري طويل الأمد بين الفلاحين، وبتقديم العون الفعلي لنضالات الفلاحين في سبيل الأرض و أهدافهم الديمقراطية الاخرى. وعندما يستنهض الفلاحون ويتأكدون من صدق دعم ومساندة الطبقة العاملة لنضالاتهم وينتظمون في حركة جماهيرية فلاحية قوية ويدركون أهمية التلاحم الكفاحي مع أصدق حلفائهم في المدن وهم العمال، حينئذ يظهر للوجود تحالف العمال والفلاحين، وبذلك يتم وضع الأساس المتين للجبهة الوطنية المتحدة وتتحقق المهمة المركزية في الجبهة الوطنية المتحدة، وحينئذ فقط يمكن كسب الجماهير الغفيرة من العناصر البورجوازية الصغيرة في المدن، وحينئذ فقط يتم كسب البورجوازية الوطنية التقدمية الى جانب الجبهة الوطنية التقدمية سواءاً أكان هذا الكسب نتيجة إقناعها أو إجبارها بحيث لا يمكنها التخلي عن الجبهة دون أن يؤدي ذلك الى عزلتها الموحشة و القاتلة.

و في بحثه المعنون (عاش إنتصار الحرب الشعبية) يلخص الرفيق لين بياو هذه المسألة كما يلي: ((لقد برهن التاريخ على أنه في مجرى الثورة الوطنية الديمقراطية ينبغي أن تضم الجبهة المتحدة تحالفين: التحالف الاول هو التحالف بين العمال والفلاحين و الثاني هو تحالف الشعب الكادح مع البورجوازيين و سائر أفراد الشعب غير الكادحين. أن التحالف الأول هو التحالف بين العمال و بين الفلاحين و سائر الكادحين في المدن و الارياف وهو أساس الجبهة المتحدة. إنَّ اخذ الطبقة العاملة بزمام القيادة

في الثورة الوطنية الديمقراطية يتوقف على قيادتها للجماهير الغفيرة من الفلاحين في النضال ولف صفوفهم حولها. وفقط إذا اخذت الطبقة العاملة زمام قيادة الفلاحين، و فقط على أساس التحالف بين العمال والفلاحين يكون من الممكن تأسيس التحالف الثاني وتكوين جبهة متحدة واسعة واجراء حرب شعبية ظافرة، وإلاَّ فإنَّ كل شيء سيكون غير مضمون ويصبح أشبه ما يكون ببناء على أساس من رمال أو يكون كلاما فارغا)). ص٢٣ من الطبعة العربية لكراس لين بياو/ عاش إنتصار الحرب الشعبية.

ومن العوامل المساعدة لايجاد وتحكيم تحالف العمال والفلاحين هي كون العمال مرتبطين بالفلاحين عن طريق كون العديد من العمال من أصل فلاحي و وجود العديد من العمال الزراعيين في الريف وكذلك عدم وجود تناقض عدائي بين مصالحهم، ثم ثورية العمال كأحدث طبقة اجتماعية تحتم مصالحها مساندة الفلاحين و التحالف معهم والنضال لتحريرهم.

يقول الرفيق ماوتسي تونگ: ((لما كانت البروليتاريا الصينية تنتمي بغالبيتها الى الفلاحين المعدمين لذلك تملك روابط طبيعية بجماهير الفلاحين الغفيرة، مما يسهل أمر إيجاد إتحاد وثيق بين البروليتاريا والفلاحين)). وهذا القول ينطبق على أوضاع عمال بلادنا أيضاً الذين ينحدرون بغالبيتهم الساحقة من الفلاحين و بذلك يحفظون روابطهم العديدة مع جماهير الفلاحين مما يسهل مهمة تحقيق التحالف بين العمال والفلاحين. لذلك فكلما كانت حركة الطبقة العاملة قوية وجماهيرية و واسعة و ثورية، كلما كانت روابط العمال و حزب الطبقة العاملة بالفلاحين متعددة وقوية وواسعة، خاصة إذا أندمجت مسألة الأرض عمليا مع سائر المسائل الديمقراطية الأخرى التي تناضل الطليعة الثورية للطبقة العاملة في سبيلها.

أن تحقيق تحالف العمال مع الفلاحين يعني في الواقع تحقيق تحالف البروليتاريا واشباه البروليتاريا (وهم الفلاحون الفقراء) والبورجوازية الصغيرة الريفية (وهم الفلاحون المتوسطون) و البورجوازية الريفية (وهم الفلاحون الاغنياء) و هذا يعني وضع الاسس لايجاد تحالف البروليتاريا واشباه البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية التقدمية على نطاق البلاد بأسرها، أي إيجاد أُسس قيام الجبهة الوطنية المتحدة. وهنا نفهم الأهمية الكبرى لتحالف العمال والفلاحين لا من حيث توحيد القوى الرئيسية في

الثورة الوطنية الديمقراطية (الفلاحون) مع القوى الطليعية فيها (العمال) فحسب، وإنما من حيث و ضع أساس متين لاقامة الجبهة الوطنية المتحدة أيضاً بإيجاد التحالف الاول العظيم تمهيدا لايجاد التحالف الثاني فيها وأعني تحالف الشعب الكادح مع البورجوازية الوطنية و البورجوازية الصغيرة.

ومن الشروط الأخرى لتحقيق هذا التحالف هي قيام الطليعة الثورية بطرح شعارات صحيحة بصدد المسائل و المواضيع التي تواجه الشعب وباظهار الحماس والاخلاص الشديدين في النضال لتحقيق أهداف الفلاحين و مطاليبهم وأن تقيم منظمات حزبية قوية و كثيرة في أرجاء الريف المختلفة وأن تساعد الفلاحين على تنظيم جمعياتهم الفلاحية و التعاونية و تنظيم قواهم الغفيرة و بالاعتماد على العمال الزراعيين والفلاحين الفقراء و توعيتهم و مساعدتهم على تولي دورهم القيادي في الحركة الفلاحية الجماهيرية، مما يؤدي ذلك الى وضع لبنة صلدة لقيادة البروليتاريا للفلاحين أيضاً. وهنا يجب التأكيد على ضرورة النضال من أجل حركة فلاحية جماهيرية عمودها الفقري الفلاحون الفقراء والعمال الزراعيون و أنصاف البروليتاريا في الريف وإسناد هذه الحركة من قبل الطبقة العاملة مساندة فعلية و مستمرة. وحينئذ يسهل تحقيق تحالف العمال والفلاحين.

ومما يساعد على تحقيق هذا التحالف أيضاً هو خوض الحرب الشعبية الثورية حيث ينقل الحزب الطليعي الثوري مجموعة من خيرة كوادره و عناصره الى الريف، و يوسع نشاطه ونطاق دعايتة و يمارس فعليا نضالا ثوريا من أجل تحرير الفلاحين من الاقطاعية و توزيع الأرض عليهم و رفع المظالم المتعددة عن كواهلهم. وحينما ينقل الحزب الطليعي الثوري مركز ثقل نشاطه الثوري الى الريف و يخوض الكفاح المسلح و يبدي البطولات البروليتارية المتنوعة ويكشف عن هويته الحقيقية لجماهير الفلاحين الغفيرة ويوقظهم من سباتهم العميق، حينئذ يتحقق ارساء التحالف بين العمال والفلاحين على أُسس قوية متينة و صلدة. لذلك فأن خوض حرب الأنصار الثورية سيكون من أهم عوامل خلق تحالف العمال و الفلاحين وبالتالي من مقومات بناء الجبهة الوطنية المتحدة.

هكذا يستطيع الحزب الطليعي الثوري أن يقوي نفسه ويوسع صفوفه ويربي المناضلين الثوريين و هكذا يستطيع تحقيق تحالف العمال و الفلاحين و بالتالي تحقيق قيادته

للجبهة الوطنية المتحدة. لذلك فأن الحزب الذي يريد أن يقود الجبهة الوطنية المتحدة لا يكفيه الادعاء بأنه هو الحزب الشيوعي أو الطليعي أو الماركسي اللينيني، بل لابد أن يكون حزبا طليعيا ثوريا حقيقيا وأن يحقق بالاسلوب الثوري الجماهيري المشروح سابقا تحالف العمال والفلاحين و يضمن قيادته في هذا التحالف مما يؤدي الى تحقيق الجبهة الوطنية المتحدة من جهة و ضمان قيادته لهذه الجبهة من جهة أخرى.

لقد سبق بيان كيف تستطيع الطبقة العاملة عن طريق طليعتها السياسية قيادة سائر الطبقات الاجتماعية في الثورة الوطنية الديمقراطية، و لكن الذي يجب التأكيد عليه هنا هو أن الشروط المذكورة لهذه القيادة ضرورية لممارسة الحزب الطليعي دورا طليعيا في الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة أيضاً مثل ضرورتها لاقامة هذه الجبهة نفسها. وهذا يعني ضرورتها لاشراك البورجوازية الوطنية التقدمية نفسها في الجبهة المتحدة. والبورجوازية الوطنية عادة لا تشترك بمحض إرادتها في الجبهة الوطنية المتحدة، بل يجب خلق ظروف تجعل الجبهة ضرورة وطنية لا تستطيع البورجوازية الاستغناء عنها، وإلاّ فإنّ البورجوازية تفضل إنفرادها بالظهور على المسرح السياسي بالزعامة والقيادة في الحركة الوطنية. لذلك فلابد من خلق الظروف التي تجبرها على الاقتناع بالاشتراك في الجبهة المتحدة.

و في مجال إشراك البورجوازية الوطنية التقدمية يجب النضال ضد نوعين من الأنحرافات: أولهما ينكر إمكانية إشراك البورجوازية الوطنية في الجبهة الوطنية المتحدة و هذا يعني في الحقيقة و الواقع إنكار عداء البورجوازية للامبريالية في جميع الأدوار والمراحل للثورة، وهو نوع من التطرف اليساري و الأنعزالية، كما يعني نفي امكانية اقامة الجبهة المتحدة ونفي إمكانية قيادة الحزب الطليعي لها. وبهذا الصدد و بخصوص التجربة الصينية يقول الرفيق ماوتسي تونگ: ((أن رفض مساهمة البورجوازية في الثورة بحجة أن هذه المساهمة ذات صفة مؤقتة و وصف الاتحاد مع الجماعة المقاومة لليابان من البورجوازية (في بلد شبه مستعمر) بأنه إستسلامية، هو وجهة نظر تروتسكية و نحن لا نوافق عليها. أن مثل هذا الاتحاد اليوم هو بالضبط الجسر الذي لابد لنا من عبوره في طريقنا نحو الاشتراكية)). ص٤٢٣ من مؤلفات ماوتسي تونگ المختارة – الجزء الاول – الطبعة البكينية.

والأنحراف الثاني هو أن يعتبر و يعترف بمقولة تزعم إنَّ برامج و سياسة وايديولوجية ومواقف الطبقة العاملة هي نفس برامج وسياسة ومواقف البورجوازية في مرحلة الجبهة الوطنية المتحدة وعدم التمييز الدقيق بين الاختلافات الموجودة بينهما. وهذا يعني في الواقع إنكار وجود الطبقات والصراع الطبقي. يقول الرفيق ماوتسي تونگ: ((أنه في حرب المقاومة يجب أن تخضع جميع الاشياء لمصلحة المقاومة ضد اليابان و هذا مبدأ مقرر. وبناء على هذا المبدأ يجب أن تخضع مصلحة الصراع الطبقي لمصلحة حرب المقاومة ولا يجوز لها أن تتعارض معها. بيد أن وجود الطبقات والصراع الطبقي هو حقيقة واقعة. فاولئك الذين ينكرون هذه الحقيقة ينكرون وجود الصراع الطبقي هم مخطئون. ان النظرية التي تحاول إنكار وجود الصراع الطبقي لنظرية خاطئة كليا. إننا لا ننكر الصراع الطبقي ولكن ندخل تعديلات على مجرياته. أن سياسة المساعدات المتبادلة والتنازلات من الطرفين التي ننادي بها لا تنطبق على العلاقات بين الأحزاب و الجماعات فحسب بل على العلاقات الطبقية أيضاً. ص٢٧٩ من المجلد الثاني للمؤلفات المختارة.

إذ أن للطبقتين اختلافات هامة في أهدافهما وسياستهما ومواقفهما حتى اثناء الكفاح المشترك بينهما، ويستمر الصراع بينهما على قيادة الحركة الوطنية والجبهة المتحدة وعلى مستقبل البلاد و الشعب. و من يتغاضى عن هذه الحقائق سيقع في إنحراف يميني ذيلي. لذلك فأن السياسة الصحيحة للطبقة الثورية، للطبقة العاملة، تقوم على مبدئي الاتحاد والصراع مع البورجوازية معا. لأن خطر تمرد البورجوازية على الثورة وعلى الجبهة قائم دائما و يوجد خطر خيانة البورجوازية للثورة حينما يشتد تناقضها مع العمال والفلاحين ويتعاظم نضالهم الوطني والطبقي وحينما تبدي الامبرالية نوعا من التساهل والمرونة ونوعا من الملعنة السياسية. و لذلك يجب على الحزب الطليعي الثوري أن يخوض في موضوع تشكيل الجبهة المتحدة مع البورجوازية كما يقول الرفيق ماو:

((نضالا حازما في جبهتين. فيكافح من ناحية ضد الخطأ المتمثل في تجاهل إمكانية إنضمام البورجوازية الى النضال الثوري في فترات معينة و الى حدود معينة. وهذا الخطأ يتجلى في إعتبار البورجوازية في الصين مماثلة تماما للبورجوازية في البلدان الرأسمالية الأخرى، ومن ثم تجاهل المحافظة على هذه الجبهة قدر المستطاع، وهذه هي نزعة الباب المغلق «اليسارية». من ناحية أخرى يكافح ضد الخطأ المتمثل في عدم التمييز

بين البروليتاريا و البورجوازية من حيث البرنامج و السياسة والإيديولوجية و التطبيق العملي و غيرها وفي تجاهل الفوارق المبدئية الموجودة في تلك المجالات. و هذا الخطأ يتمثل في تجاهل حقيقة أن البورجوازية (ولاسيما البورجوازية الكبيرة) لا تبذل كل ما في وسعها لبسط نفوذها على البورجوازية الصغيرة والفلاحين فحسب، بل تبذل قصارى جهودها للتأثير على البروليتاريا و الحزب الشيوعي و تسعى سعيا حثيثا لكي تقضي على استقلالهما السياسي والايديولوجي و التنظيمي وتجعلهما ذيلا للبورجوازية وحزبها السياسي و لكي تستأثر زمرة البورجوازية بكل ثمار الثورة. ويتمثل أيضاً في تجاهل حقيقة أن البورجوازية (ولا سيما البورجوازية الكبيرة) تخون الثورة كلما تعارضت الثورة مع المصالح الخاصة لزمرتها. وإذا تجاهلنا هذه الناحية وقعنا في خطأ الأنتهازية اليمينية.)) ص٤٠٠ من المجلد الثاني لمؤلفات ماوتسي تونگ المختارة – الطبعة البكينية العربية.

و في بلداننا الشرقية تبرز البورجوازية الصغيرة ممثلة في أحزابها و هيئاتها الحاكمة كمنافسة لقيادة الجبهة المتحدة. وغالبا ما تطالب الأحزاب التقدمية بزعامة الجبهة المتحدة ولكن القبول بقيادة البورجوازية الصغيرة للجبهة غلطة مبدئية كبرى لعجز البورجوازية عن قيادة الثورة كما بيّناها. إنَّ عدم وجود حزب طليعي ثوري حقيقي لا يبيح إقرار الأخطاء المبدئية الكبرى مطلقا. لأن ذلك يؤدي الى خداع الجماهير الشعبية و تعميتها و الى عرقلة قيام الحزب الطليعي والى تحريف مسيرة الحركة الوطنية الديمقراطيةنفسها.

والخطة المبدئية السليمة في مثل هذه الظروف تبدأ بالنضال من أجل إيجاد حزب طليعي ثوري حقيقي و حينئذ يجب مواصلة النضال من أجل تحالف العمال والفلاحين كأساس للجبهة الوطنية المتحدة مع النضال لجذب البورجوازية الصغيرة والوطنية الى الجبهة. وستنتزع القيادة في الجبهة الوطنية المتحدة بالنضال الثوري المتواصل كما سبق بيانه وليس بالادعاء و المناداة. و حيث لا يمكن قيام الجبهة المتحدة لا يمنع من النضال في سبيل الائتلاف الوطني.

وفي ظروف بلادنا – العراق – يجب النضال من أجل اتحاد الأحزاب التقدمية و الثورية الموجودة وفق ميثاق للتعاون الوطني لقيادة نضالات شعبنا بقوميتيه العربية والكردية نحو اهدافهما الديمقراطية والقومية المبينة في مشروع الميثاق الوطني المذكور في هذا

البحث، وذلك دون فرض قيادة حزب معين مسبقا بل إختيار اسلوب التشاور والتباحث بين الأحزاب وممارسة الأسلوب الديموقراطي في النقاش والأنتقاد والدراسة لمختلف المسائل و القضايا الوطنية والطبقية. و هذا يؤدي بنا الى إدراك حقيقة أن الجبهة الوطنية المتحدة تفترض الديمقراطية كشرط أساسي لقيامها وبقائها و تطورها.

فالديمقراطية ضرورية لأنطلاقة الجماهير الغفيرة من العمال والفلاحين و البورجوازية الصغيرة ولقيام هذه الطبقات والفئات، وكذلك لقيام البورجوازية الوطنية أيضاً بممارسة النشاط السياسي والنقابي والفلاحي ولتأسيس الأحزاب والجمعيات الفلاحية والنقابات العمالية، مما يجعل اقامة الجبهة المتحدة ممكنا و يسيرا. و بدون الديمقراطية لا يمكن وضع أسس بناء الجبهة المتحدة. والديمقراطية ضرورية لتوفير الثقة بين أطراف الجبهة، هذه الثقة المتبادلة التي تعتبر لازمة لأنشاء الجبهة أصلا. والديمقراطية ضرورية لتبادل وجهات النظر والتعبير عن الآراء والافكار و بيان المواقف والسياسات الخاصة المنبثقة عن القناعات الخاصة للاحزاب والطبقات المختلفة. والديمقراطية ضرورية لحل التناقضات الثانوية الموجودة بين الاطراف الوطنية والتقدمية بالاساليب الودية والسلمية وألاّ تتفاقم هذه التناقضات وتشتد وتنفجر وتتحول الى تناقضات عدائية، مما يهدم إمكانية الجبهة المتحدة و وحدة الكفاح. و الديمقراطية ضرورية لبناء أجهزة الجبهة من الأجهزة القيادية العليا حتى السفلى ومن القمة الى القاعدة، وعلى مختلف المستويات الجماهيرية والتنظيمية والدعائية والسياسية والحرب الشعبية وفي جميع مراحل الكفاح المشترك.

فالجبهة المتحدة ليست حزبا واحدا أو تنظيما موحدا لطبقة واحدة بل هي إتحاد نضالي بين عدة طبقات مختلفة وأحزاب متباينة عن بعضها تملك بجانب الاهداف المشتركة أهدافا وسياسات وأيديولوجيات مختلفة أيضاً. لذلك فلابد من الديمقراطيةلتأليف لجنة قيادية للجبهة تمثل جميع أطراف الجبهة و تقودها و توحد فعالياتها و تنسيق نضالات هذه الأطراف و الأحزاب في حلبة الكفاح المشترك من أجل الاهداف المشتركة. وإذا لم تراع الديمقراطية في تأليف مختلف اللجان القيادية للجبهة من اللجنة العليا الى لجان المحافظات و المناطق والمدن و المعامل والارياف وإذا لم يختر الاسلوب الديموقراطي في التعبير عن الافكار والاراء و بيان المواقف السياسية وفي النقاش والأنتقاد و الاعتراض

والحوار، فلا تقوم الجبهة و لا تعيش أبداً بل ستنهار سريعا. فلكي تصبح الجبهة المتحدة جهازا تنفيذيا و قياديا فعالا لابد من الديمقراطية. إذ عن طريق الاسلوب الديمقراطي وحده يمكن تحويل الاراء و الخطط المختلفة الى آراء و خطط منسجمة، ومن ثم الى قوة محركة فعالة تسير باتجاه الاهداف و المطاليب المعينة و المحددة.

ولكي تنفذ الأحزاب والطبقات المختلفة قرارات الجبهة وأوامرها لابد من اخذ رأيها و إحترام وجهات نظرها والأنتباه والاصغاء الى ملاحظاتها و أنتقاداتها ولا بد من مراعاة مصالحها لذلك فإن إجماع مثلي الاطراف الرئيسية شرط لجعل القرارات الزامية و سارية المفعول على الجميع. أن الديمقراطية ضرورية لحماية حرية الأحزاب والطبقات الاجتماعية في العمل في الميادين السياسية والفكرية والتنظيمية وفق مباديء هذه الأحزاب و نظريتها ولتوفير حرية التعبير عن معتقداتها ومشاعرها ومبادئها. كما أن الديمقراطية تعتبر ضرورية لكي تمارس الأحزاب والهيئات المنضمة الى الجبهة ممارسة فعالياتها الحزبية والسياسية الخاصة وممارسة حقها في الأنتقاد و بيان النواقص والعيوب واظهارها المشاكل وبيان مطاليب ومشاعر الجماهير والطبقات الاجتماعية المختلفة. لذلك تعتبر الديمقراطية ضرورية للتحالف الطبقي والتآلف الوطني و لمنع وقوع الصراعات الحادة و صيانة وحدة الشعب الوطنية و كذلك لتوفير جو سلمي هاديء، جو عمل مشترك و نضال موحد و للقضاء على المشاحنات والمنازعات الداخلية باسلوب أخوي و ودي.

يقول ماوتسي تونگ: ((و يجب أن ندرك أنه مثلما يستحيل تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان حقيقية و وطيدة بدون توفر السلم في الداخل، فأنه يستحيل أيضاً تأسيس جبهة كهذه بدون توفر الديمقراطية في الداخل. وعليه فأن النضال من أجل الديمقراطية هو في الفترة الراهنة من التطور، الحلقة الأساسية في مهمة الثورة، وإذا عجزنا عن إدراك أهمية الديمقراطية بوضوح و تراخينا في النضال من أجلها فسوف نعجز عن تأسيس جبهة وطنية متحدة ضد اليابان حقيقية و وطيدة.)) ص٢٩٠ من مختارات ماوتسي تونگ – الجزء الاول.

وقد يعترض بعض الحكام الوطنيين على الديمقراطية بحجة ظروف المعركة المصيرية ضد الإمبريالية والصهيونية و ضرورات الدفاع الوطني ومستلزمات حشد

الطاقات والامكانيات و صيانة مؤخرة الجيش و ضرورة تسليح الجماهير لصيانة الثورة من الداخل ولمنع فعاليات الرجعيين ومنع النشاط التأمري.. الى غير ذلك من الاشياء الواجبة الاداء و لكن بغير الطريق الذي يدعو اليه هؤلاء الحكام الوطنيون. لأن تحقيق هذه الامنيات الطيبة و الصحيحة سيتم على أحسن وجه بالديمقراطية للشعب.

يقول الرفيق ماوتسي تونگ عن ضرورة الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي وأثناء خوض غمار الكفاح المسلح ضد العدوان الإمبريالي والغزو الاجنبـي نص ما يلي: ((أن الاستعدادات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتعليمية من أجل الدفاع الوطني جميعها ضرورية لشن المقاومة المسلحة في سبيل إنقاذ الوطن، لايجوز أن نتوانى في أي منها لحظة واحدة. ولكن مفتاح النصر لمقاومتنا المسلحة هو كسب الديمقراطية والحرية سياسيا. فالمقاومة المسلحة تتطلب السلم والتضامن على نطاق البلاد، بيد أنه لا يمكن تدعيم السلم الذي تم تحقيقه ولا يمكن تقوية التضامن بدون ديمقراطية وحرية. كما أن المقاومة المسلحة تتطلب تعبئة الشعب و ما من سبيل لتعبئة الشعب بدون ديمقراطية وحرية. وإذا لم يدعم السلم والتضامن ولم تتم تعبئة الشعب فأن مقاومتنا المسلحة سوف تواجه نفس المصير الذي واجهته الحبشة فكانت هزيمة الحبشة ترجع في الأساس الى أنها بسبب نظام الحكم الاقطاعي فيها كانت عاجزة عن توطيد الوحدة الداخلية و عن إثارة حماس الشعب. و بدون وجود ديمقراطية لا يمكن تأسيس جبهة وطنية متحدة حقيقية و وطيدة ضد اليابان في الصين ولا يمكن إنجاز مهمات هذه الجبهة.)) ص٣٩٢ من نفس المصدر السابق.

واعتقد أن هزيمة حزيران قد أكدت صحة الاستنتاجات المتقدمة بكل وضوح وجلاء وبرهنت على ضرورة الديمقراطية للإنتصار في الحرب الدفاعية العادلة ولتعبئة طاقات الشعب و الدفاع عن المكاسب التي حققتها الثورة العربية.

وفي العراق تبدو أهمية الديمقراطية واضحة في تدعيم الوحدة الوطنية و في حل المشكلة الكردية وضمان السلم والاستقرار في كردستان وسائر أنحاء العراق، وكذلك في خلق جو اللقاء والاتصال والتعاون بين الأحزاب و في إنتعاش النقابات و المنظمات والجمعيات الفلاحية و في القضاء على الرواسب السلبية المتبقية في علاقات القوى التقدمية والأحزاب الثورية الوطنية.

وعلى ضوء هذه الحقائق فيمكن القول بأن الديمقراطية من أهم مستلزمات الجبهة الوطنية التقدمية في بلادنا مثلما هي من مستلزمات السلم والتضامن الوطني و الوحدة الوطنية لشعبنا العراقي بقوميتيه العربية والكردية و بأقلياته القومية المتآخية. ومن فضائل الديمقراطية أيضاً انها توفر المجال للجبهة الوطنية المتحدة وحرية و إستقلالية الاطراف المشتركة فيها معا. إذ أن الجبهة المتحدة كتحالف طبقي هي إتحاد لطبقات واحزاب معينة تتميز بكياناتها الخاصة و تحتفظ بها رغم مشاركتها لاحزاب وطبقات أخرى في النضال المشترك تحت راية الجبهة المتحدة من أجل الاهداف المشتركة.

أن الجبهة الوطنية التقدمية هي تحالف طبقي لمرحلة تاريخية معينة، ولذلك فهي لا تعني إذابة الأحزاب السياسية المختلفة التي تمثل مصالح هذه الطبقات التي لا تتوافق ولا تتوحد في جميع المسائل و لا على جميع الاهداف البعيدة والقريبة، بل تعني الجبهة الاعتراف بهذه الأحزاب و الاقرار بوجودها وبحقها في العيش و بحقها في التبشير بآرائها وأيديولوجيتها و بيان مواقفها و سياساتها الحزبية الخاصة، لأن التمسك بالجبهة الوطنية التقدمية وبأهدافها والعمل تحت رايتها يعني تنسيق الجهود وتوحيد الفعاليات والنضالات من أجل الأهداف المتفقة عليها فقط. حقا أن الجبهة الوطنية التقدمية ضرورية جدا ولا يمكن بدونها تحقيق مهام الثورة الوطنية الديمقراطية في التحرر الناجز و الديمقراطية الشعبية، بيد أنه يجب في الوقت نفسه المحافظة على الاستقلال الأيديولوجي والسياسي والتنظيمي لكافة الأحزاب المشتركة في الجبهة المتحدة.

يقول الرفيق ماوتسي تونگ بهذا الخصوص ما يلي: ((فيما يتعلق بالعلاقات بين الأحزاب والجماعات فإن مبدأ الديمقراطية من مباديء الشعب الثلاثة يسمح بأن تتحالف الأحزاب و الجماعات بعضها مع بعض وأن يحافظ كل منها علي إستقلاله في الوقت ذاته، وإذا ما تحدث المرء عن الوحدة و أنكر الاستقلال فأن ذلك يعني التخلي عن مبدأ الديمقراطية، وهذا ما لا يمكن أن يوافق عليه حزبنا الشيوعي و لا أي حزب اخر أو جماعة أخرى. و مما لاريب فيه أن الاستقلال داخل الجبهة المتحدة أنما هو إستقلال نسبـي و ليس إستقلالا مطلقا، وإذا ما إعتبرناه إستقلالا مطلقا فسيؤدي ذلك الى إنهاك السياسة العامة – سياسة الوحدة ضد العدو – بيد أنه لا يجوز إنكار هذا الاستقلال النسبـي، فإن أيّا من الأحزاب يجب أن يكون له إستقلاله النسبـي أي حريته النسبية

سواء من الناحية الأيديولوجية أو السياسية أو التنظيمية. وإذا ما حّرم أيّ حزب من الأحزاب من هذه الحرية النسبية أو تخلى عنها من تلقاء نفسه، فأن ذلك سيؤدي أيضاً الى إنتهاك السياسة العامة - سياسة الوحدة ضد العدو-)). ص١٤-١٥ من كراس دور الحزب الشيوعي الصيني في الحرب الوطنية.

والخلاصة فإن مستلزمات الجبهة الوطنية التقدمية المتحدة تتلخص في: وجوب وجود حزب طليعي ثوري قوى ذو نفوذ جماهيري واسع، أولا وإيجاد تحالف العمال والفلاحين عبر نضال ثوري طويل الأمد وعبر الحرب الثورية والنضالات الثورية المتعددة من أجل حقوقهم الطبقية و الوطنية، ثانيا و باعتبار هذا التحالف شرطاً وسبيلا الى قيام الجبهة بعد كسب و جر البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية وضمها الى الجبهة، ثالثا وتوفير الديمقراطية، رابعا وضمان الاستقلال والاتحاد للاطراف المشتركة في الجبهة، خامسا.

هذه هي مستلزمات الجبهة الوطنية التقدمية التي لا يمكن بدون توفيرها إيجاد الجبهة و ضمان نجاحها ودوامها.

شكر وتقدير

نقدم باسم المشروع الشكر الجزيل الى المناضل القديم (صديق علي) ، حيث زودنا بالنسخة القديمة المستنسخة من أرشيفه الخاص، واعتمدنا عليه، بعد التصحيحات الكاملة، في هذه الطبعة من كتاب مام جلال .